ألف ليلة وليلة
للأسرة السعيدة

عندما يشرق الصباح

الدكتور حسّان شمسي باشا
استشاري أمراض القلب
في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة
زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا
زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

دار القلم
دمشق

عندما يشرق

الصباح

دار القلم
دمشق
أسّسها:
محمّد علي دولة
سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

الطَّبعَة الأولى
١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم ـ دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com
الدار الشامية ـ بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير ـ جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

* * *

المقدمة

• عندما يشرق الصباح.. تتلاشى أحزانُ ليالٍ حالكات..

وتتوب نفوسٌ من معاصٍ مهلكات..

• وعندما يشرق الصباح.. تنقشع همومٌ على صدورٍ جاثمات..

وتعود البصيرة لمن تاهَ في الظلمات..

• فالحياة لوحة فنية.. ألوانُها أقوالك.. وزخارفها أعمالك..

والرسامُ أنت..

وما أكثر الأعمال التي تزيد لوحتك روعة وجمالاً..

وما أجملها من لوحة.. عندما تكون مزيّنةً بجميل خلقٍ.. وحسنِ معاملة..

مليئة بأعمال خير.. وقراءة للقرآن.. وأذكار وصدقات..

فإذا انقضتْ حياتك.. اكتملت اللوحة..

وعلى قدر روعتها.. تكون قيمتُها يوم لا ينفع مال ولا بنون..

فلا تبخل على نفسك بأن تكون رساماً مبدعاً..

فما زالت الفرشاة بيدك..

• ويعقوبُ عليه السلام اِنتظر طويلاً عودة يوسف من سنين الغياب..

لم يخفتْ صوتُ رجائه.. ولم يضعف صبره.. أمام شدة الحزن والأسى..

حتى أشرق وجهه للبشرى.. وعاد يوسف ليعود الحب.. وينتصر الوفاء..

• فإذا وقعتَ في أزمة.. فتذكر كم أزمة مرت بك.. ونجاك الله منها..

عندها تعلم أن من عافاك في الأولى سيعافيك في الثانية..

فلا تيأس ولا تتذمرْ..

فوالله ما بكتْ عينٌ..

إلا وفوقها ربٌّ يخبئ لها الأجمل..

وما أجملها من عبــارة: «**ناصيتي بيدك.. ماضٍ فــيّ حكمك.. عدلٌ فيّ قضاؤك**»..

فيها راحة للنفس.. أمان وسلام.. رضاً واستسلام..

فاطمئنَّ.. فأنت في حفظ الرحمن..

و﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩]..

فـ (هيّنٌ).. كلمة تهزُّ الكيانَ وتنفضُ الوجدان!..

تُحيي في النفس الأمل.. وتنزع عنها الإحباط واليأس!..

فأنْ يشفيك ربُّك من مرضك.. أليس عليه هيّن؟!..

وأنْ يفرِّجَ عنك كربك.. أليس عليه هيّن؟!..

وأنْ يكفيك ما أهمّك.. أليس عليه هيّن؟!..

فكيف يُحبطنا اليأس.. وتقهرنا الهموم..

ولنا ربٌّ يقول: (**هو علَيَّ هيّن**)؟!..

• ومَهما كان الواقع يَدعو إلى التشاؤم.. فابحث عن الضوء في نهاية النفق..

والاشتياق لشروق شمس الفرَجِ أمرٌ عجيب!..

هل سمعتَ أنين الشجر حين تسقط منه الأوراق؟!..

وهل تأمَّلتَ الأرض العطشى.. وهي تبكي ألماً على فراق الماء؟!..

هل أحسستَ ألم طفلٍ ضائعٍ من أمه في زحام الأسواق؟!..

هل أحسستَ حال قلبٍ تُسلب منه النبضات؟!..

فلا تحزن من بليّة.. فقد تكونُ لك عطيّة..

ولا تشتكي من الأيام.. فأنت مَنْ يبدّدُ الأوهام..

وثقْ بالله العزيز الحكيم.. تنجح في كل أمر عظيم..

وتوكلْ على الله بعدَ عزْمٍ.. فإنه على كل شي وكيل..

- وإذا أظلمتْ في وجهك الدنيا.. واشــتدت عليك آلامها.. وحاصرتْك الهمومُ من كل جانب..

فتذكَّرْ في غمرة ذلك أنَّ لك ربّاً رحيماً..

يجيب دعواك.. ويكشف بلواك..

فالإنسان من دون أمل.. كنباتٍ من دون ماء..

وامرؤٌ من دون ابتسامة.. كوردةٍ بدون رائحة..

ورجلٌ من دون إيمان بالله.. وحشٌ في قطيعٍ لا يرحمْ..

فاستعدَّ جيداً.. فالحياة بحاجة إلى تخطيط..

تفاءل.. وضعْ خطّتك على هذا الأساس..

لكن كنْ مستعدّاً للأمور حين تسوء..

وللطريق حين يطول..

وللهدف حين يغيبُ عن بصرك!..

اســتعنْ بالله.. فمن اســتغنى عن الله بما عنده من القــدرات.. فقد ولج الفشلَ من أوسع أبوابه.

إذا لم يكن عونٌ مـن الله للفتى فأول مـا يقضي عليـه اجتهادُه

- والسـيرة الحسـنة كشـجرة الزيتون.. لا تنمو سـريعاً ولكنّها تعيش طويلاً..

فقد يأخذ منك بناءُ «السمعة» عشرين عاماً..

ولكن قد تُهدم في خمس دقائق..

فاحرص على ذلك الصرح العظيم..

وإياك أن تلطِّخ سمعتك بما يُغْضب الله..

ولما كان يوسـف في السـجن.. قيل لـه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]..

وعندمـا أصبـح عزيز مصـر.. قيـل لـه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]..

فالمعدنُ الطيب لا تغيِّرُه الأحوالُ.. ولا تُغريه المناصب!..

وهذا يوسف يقول بتواضع جمّ: ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى﴾ [يوسف: ٩٠].. فلم يقل: أنا عزيز مصر.. بل ذكر اسمه خالياً من أي صفة..

فكبير النفس يبقى كبيراً.. لا تغرُّه الألقاب والأسماء!..

* * *

- وبهذا الكتاب تنتهي ـ بتوفيق الله تعالى ـ هذه السلسـلة المباركة من «**ألف ليلة وليلة للأسرة السعيدة**».. والتي بدأتْ بكتاب «سهرة عائلية في رياض الجنـة» و«عندما يحلو المسـاء».. ثـم «قلوب تهـوى العطاء» و«همسة في أذن زوجين»..

وأخيـراً خرج كتـاب «قممٌ تهـوى النجاح» مـع أخيه «عندما يشـرق

الصباح».. ليكملا ـ بفضل من الله تعالى ـ تلـك الرحلة المباركة.. فله وحده الفضل والمِنَّة، وله الثناء الحسن.. أسأل المولى جلّ في علاه أن يجعل فيها الخير والنفع لقارئها وكاتبها وناشـرها وكل من قام عليها.. إنه سميع مجيب..

وكنت أود أن أسمّي هذا الكتاب «وأشرق الصباح».. فرحاً وبهجة بزوال الهموم والغموم من سماء ديار المسلمين..

ولكن.. أما وسـحائبُ الكروب تعجّ بها السـماء في كثيـر من بلدان المسلمين.. فقد أسميتُه: «عندما يشـرق الصباح».. تيمُّناً وتفاؤلاً بفجر قريب.. وصباح مشـرق خلاب.. يزيل الهمـوم والآلام عن كل محزون ومكروب.. في كل مكان..

ويبقى الدعاءُ رياضَ التلاقي.. إذا شحَّ يوماً سبيلُ اللقاء..

فلا تنسـوني من دعواتكـم الطيبـات.. ولنردد معـاً: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

حسان شمسي باشا

جدة ١ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧م

الموافق لـ ٣ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ

«فإنَّ له ربّاً لن يَنْساه!» (١)

• قد تكون جالساً وحسناتك تزداد..

وأنت لا تدري كيف!..

بدعوة محبٍّ لك خافية..

أو بصدقة.. قد نسيتَها جارية..

أو بكلمة طيبة.. اهتدتْ بها قلوبٌ لاهية..

ـ ففي آخر النهار.. وحين يغادر الأطبّاء المستشفى بعد عمل دؤوب طوال اليوم.. دخل عليَّ شخص في الخمسين من العمر.. تبدو عليه علامات الوقار..

وقف عند الباب ينظر إليَّ وكأنَّه ينتظر مني أن أضمّه.. مرحِّباً بلقاء غير مُنتَظر!.

نظرتُ إليه باشّاً وقلت: ماذا تريد يا أخي؟.

فقال: يبدو أنَّك لم تعرفني يا دكتور؟.

قلت: لا والله.. سامحني يا أخي.. فالطبيب يرى عشرات الوجوه كلَّ يوم.. ولا يمكنه أن يتذكَّر تفاصيلها جميعاً بعد فترة من الزمن!.

ثمَّ فاجأني بقوله: منذ أربعة وعشرين عاماً وأنا أدعو لك في كلِّ ليل!..

قلت: جزاك الله خيراً يا أخي.. ولكن لِمَ تدعُو لي كلَّ هذا الدعاء؟ هل أنقذتُ حياتك ـ بإذن الله ـ من هلاك محقَّق؟ أم حياةَ أحدٍ من أقربائك الغالين عليك؟.

فقال: لا.. بل أنقذتَ شيئاً غيَّر مجرى حياتي؟.

فسألتهُ: ما الخبر؟.

استرجعتُ شـريط الذكريات في خيالي علَّني أتذكر وجهاً مشابهاً للذي أراه فلم أجد؟..

تُرى ماذا فعلتُ حتى يدعو لي كل هذا الدعاء؟..

هل هو يهوِّل الأمر إلى تلك الحدود؟ أم أنَّ هناك سرّاً طوته السنون؟..

كانت شفاهه تقطر بالثناء والشكر.. وكنتُ واجماً لا أدري ماذا أقول..

قال: أتذْكرُ يوم دخلتُ عليك في مكتبك ـ وكنتَ وقتها رئيساً لقسم العناية المركَّزة ـ قبل أربعة وعشرين عاماً.. لأعمل في العناية متدرِّباً لأسبوعين في سنة الامتياز؟.

قلتُ خَجِلاً مرة أخرى: لا والله.. ففي كلِّ عام يأتينا عشراتٌ من طلاب الطبِّ يقضون أيَّاماً معدوداتٍ في القسم ثمَّ يغادرون!.

قال: ذهبتُ في اليوم التالي.. للغطس في البحر.. وكنتُ أحنُّ إلى الغطس في البحر الأحمر.. حيث الشعبُ المرجانيَّةُ الخلَّابةُ.. والمناظر الطبيعيَّة الفاتنة..

وما هي إلا دقائق.. حتى شعرتُ بعضَّة مؤلمة في إبهام يدي اليمنى.. كدتُ على إثرها أغشى من الألم..

كانت عضَّةً من كائنٍ بحريٍّ لمحتُه وهو يبتعد عني مسرعاً..

هُرِعتُ للخروج من الماء.. وأخذني أصحابي إلى مستشفاكم..

بدأتِ الإبهام تتورَّم وتتوذَّم.. وكنتُ أصيح من شدَّة الألم..

أخبرني الطبيب أنَّه لا بدَّ من دخول العناية المركَّزة للمراقبة والعلاج..

أُدخلتُ قسم العناية.. وأخذت الأمورُ تسوء من ساعة لساعة..

الليلة ٨٦٧

«فإنَّ له ربّاً لن يَنْساه!» (٢)

ـ التهبتْ إصبعي وتورَّمتْ.. وكاد الالتهاب يصل إلى راحة اليد..

وقرَّر ثلاثة من الأطباء الجراحين ضرورة (بتر الإبهام) لإنقاذ يدي.. بل لإنقاذ حياتي..

ولكنَّك كنتَ أنت الوحيد الذي عارض البتر.. وقرَّر الاستمرار بالعلاج بثلاثة من أقوى المضادَّات الحيويَّة!.

كنتُ أسمعك تقول لهم: أعطوا المضادَّات الحيويَّة فرصةً.. ما دام تحت المراقبة المشدَّدة.. فإنْ لم يستجبْ.. أو بدأت إصابته بالاشتداد.. كان لا بدَّ من البتر!.

عندها تذكرتُ ذلك الموقف العصيب الذي كان يعيشه المريض..

ثمَّ أردف يقول: عشتُ في حيرة وتردُّد.. أأسمع لرأي الجرَّاحين وتنتهي أصبعي بالبتر.. أم أصغي إلى رأيك.. وربَّما أخاطر بأصبعي وحياتي؟..

كنتَ في كلِّ يوم تبعثُ في نفسـي الثقة بالله.. والأمل بالشـفاء.. وأنَّني سوف أتغلَّبُ على محنتي ـ بإذن الله ـ..

كانت الساعات تمرُّ عليَّ متثاقلة كليْلٍ مدلهمٍّ طويل..

وكنتُ أنتظرُ بلهفة شديدة لحظةَ تغيير الضماد.. علِّي أرى بريق أمل في الشـفاء.. فأحتفظ بجزء عزيز على قلبـي.. إنَّه الإبهـام.. وما أدراك ما الإبهام؟!..

وما هي إلا أيَّام.. حتَّى ظهرت بوادر التحسُّن والشفاء..

وفعلاً.. شُفيَتِ الإبهام تماماً من دون بتر!..

قلتُ: ولكنَّني ـ جُزيتَ خيراً ـ لا أستحقُّ ما أكرمْتني به من دعاء.. فما فعلتُ إلا واجبي.. وما شفاك من أحدٍ إلا الله سبحانه..

قال: لعلَّكَ لا تعلم يا دكتور أنَّني ذهبت بعدها إلى فرنسا.. وتخصَّصتُ في جراحة العيون..

وكنتُ كلَّما دخلتُ غرفةَ العمليات نظرتُ إلى أصبع الإبهام.. وحمدتُ الله ثمَّ دعوتُ لك.. فكيف لي أن أمْسك بالمشرط من دون إبهام؟!..

بل كيف لهم أن يقبلوني في ذلك الاختصاص الدقيق.. وفي يدي عجزٌ بيّنٌ؟!..

عدتُ بعدها إلى المملكة لأصبح استشاريّاً في جراحة العيون..

وما زلت في عملي حتَّى الآن..

أجريتُ آلاف العمليات على العيون.. ولولا فضل الله عليَّ أولاً.. ثمَّ إصرارك على عدم بتر إبهامي.. لما أصبحتُ جرَّاح عيون!..

نعم.. **لقد شاء الله أن تكون أحلامي في إبهامي!..**

وأشرق صباح عمري يوم اتخذتَ ذلك القرار..

ـ عندها دمعتْ عيناي.. وقلتُ في نفسي: **هنيئاً لمن يعمل خيراً ثمَّ ينساه.. فإنَّ له ربّاً لن ينساه!..**

* * *

الليلة ٨٦٨

قد أُوتيتَ سُؤْلَك

• ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦]..

سبعُ حاجاتٍ أجابها اللهُ تعالى لموسى عليه السلام دفعةً واحدة!:

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۞ هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۞ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۞ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥]..

احشدْ كل رغباتِك الطيبة.. واهتفْ بكلِّ حاجاتك.. لله وحده..

فرُبَّ لحظةٍ يقالُ لك فيها: قد أوتيتَ سؤلك!..

• فقد تولّى ربنا جلَّ في علاه أمرَ يوسف عليه السلام..

فأحْوجَ القافلة في الصحراء للماء.. ليخْرجه من البئر!..

ثم أحْوجَ عزيزَ مصر للأولاد.. ليتبنّاه!..

ثم أحوجَ الملكَ لتفسير الرّؤيا.. ليخْرجه من السجن!..

ثم أحوجَ مصر كلها للطّعام.. ليصبح عزيز مصر!..

• فإذا تولّى الله أمرك.. هيّأ لكَ كُلَّ أسباب السّعادة.. وأنتَ لا تشعر..

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ..

وقل مُخلصاً: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]..

واستمعْ إلى القرآن يخاطبك بأن ترتفع: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران ١٣٩]..

• فلا يصيبنّك إحباطٌ ولا يأسٌ.. وقد هُديتَ الى تكبيرة الإحرام..

يقول أهل العلم: «**المجد والسموُّ في ثلاث:**

أن تمرّغَ وجهك ساجداً لله..

وأن تأكل الحلال..

وأن تكون سليم الصدر..

ثم لا يضرّك ما فاتك من الدنيا»!..

لا تحمل همّ الدنيا.. فإنها لله وحده..

ولا تحمل همّ الرزق.. فإنه مِنَ الله وحده..

ولا تحمل همّ المستقبل.. فإنه بيد الله وحده..

ولكن احملْ همّاً واحداً فقط هو: **كيف تُرضي الله!..**

فإنْ أرضَيتَ الله.. رضيَ عنك وأرضاك.. وكفاك وأغناك..

وكشَفَ ما نزل بك وأعياك..

وعندما تشتكي همومك للبشر..

كثيراً ما ينتهي الحوار.. بـ(**الله يعينك**)!..

فلِماذا لا تشتكي مباشرة للذي يُعينك؟!..

الذي يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

* * *

العُسْر طارئٌ دخيلٌ..

• اسودّتْ الدنيا في وجهك..

وشعرتَ بانقباضٍ في صدرك..

فتذكر أن بعد كل ليلٍ صباح..

وأن مع العسر يسراً..

وقلبُك المتألم الكسير.. سيجبُرهُ الجبّار العظيم..

والدمعةُ التي جرحتْ خدّك.. يتولاها الودود الحليم..

والطريق المسدود أمامك.. يفتحه الفتّاح العليم..

وأمورك المتعسّرة.. ييسّرها الرحيم الكريم..

فأنتَ مُلْكُ مالكِ الأكوان..

فلا تخشَ كرْباً ولا ألماً.. بعد دعوةٍ من قلب حزين..

وقد بعث الحبيب المصطفى ﷺ ثلاث رسائل إلى المسلمين المضطهدين في كل مكان، فقال:

«واعلَم أنَّ النَّصرَ معَ الصَّبر..

وأنَّ الفَرجَ معَ الكَربِ..

وأنَّ معَ العُسرَ يُسراً»[١]..

فهل بعد هذا الوعد وعد؟!..

---

(١) صحيح الجامع: ٦٨٠٦.

• وقد تكثر خيارات الشواطئ والموانئ أمامك..

ولكن اعلم أن شاطئ الأمان من بينها جميعاً هو الله.. وجهةً.. وملاذاً..

فعشْ مع الله.. ولله..

فذلك الفوز.. في حياتك وبعد مماتك..

• يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إذا رأيتَ سِربال الدنيا قد تقلَّصَ عنك..

فاعلم أنه لطفٌ بك..

لأن المُنْعِمَ لم يَقْبِضْهُ بُخلاً أن يَتمزق..

ولكن **رِفقاً بالساعي أن يَتَعثَّر**»..

فسلامٌ من الروح مع كل قضاء..

وحُبٌّ لكلِّ ما يُحبه الله..

فحتى أقدار الدنيا ومصائبُها..

وأحزانها وآلامها.. تراها خيراً لك..

وكيف لا تكون خيراً وهي من الله؟!..

«عَجَباً لأمرِ المؤمن إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ»[1]..

• وعنوان السعادة في ثلاث:

مَن إذا أُعطي شكر..

وإذا ابتُلي صبر..

وإذا أذنب استغفر..

* * *

(١) رواهُ مُسْلِمٌ.

الليلة ٨٧٠

أمنياتٌ.. وبابٌ لا يُغْلَق..

• إذا ضاقت بك الدنيا.. ومزّق الشكُّ قلبَك..

وتلفتَّ فلم تجد من يساعدك..

وأصبح القريب منك غريباً..

وأُوصدت الأبوابُ أمامك..

فكن موقناً بأن هناك باباً لا يُغلق..

وربّاً يحب منك أن تلجأ إليه..

فَلُذْ به ولا تخف من الناس أحداً..

وإذا قرأتَ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].. فكلُّ المخاوِف تتبدد..

وإذا قرأتَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].. فكلُّ الأحلام تتجدد..

يقول الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]..

فحين يشاء ربك.. لو أمسكتَ بالعُسْر.. واستعملتَ كل قُوَّتِك لإبقائه..

لأفْلتَ منك ورحل!..

فثقْ بالله وكن متفائلاً..

• وربما يكون هناك كثيرون يساعدونك..

لكنْ لن يزيل غمّاً في داخلك إلا الله..

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]..

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران: ١٥٤]..

قـلْ للفـؤاد وإن تعاظـمَ همُّه ربُّ الفـؤاد بلطفـه يرعانـي

• **يا بشرى!:**

يقول الله تعالــى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ [يوسف: ١٩]..

يا منْ مَدَدْتمْ إلى الرحمن أيديَكم لقـد وَقفْتمْ بمـنْ لا يُغلقُ البابا
ســتبلغونَ أمانيكــم بقدرتــهِ هذا هــو اللهُ! مَنْ نـاداه ما خابا

فإذا أذِنَ اللهُ بالفَرَج.. انحلَّت الكُرَبُ واحدةً واحدة..

فأحسنوا الظن بربكم..

فلا تيئسوا وأنتم في بئر أحزانكم..

ستمرُّ قريباً **سيارةُ الفَرَج**.. فتفرحونَ بها بإذن الله..

ولا تحكمْ على مستقبلك من الآن!..

فالأنبياء رعوا الغنم ثم قادوا الأُمم..

وانتظرْ الفرجَ و**كأنك على موعدٍ** معه..

❊ ❊ ❊

لا تَحْرِمْ غيرَك منها

الليلة ٨٧١

• فتاة ممددة على فراشها تعاني من مرض خطير.. سألتْ أختها الكبرى وهي تراقب شجرة بالقرب من نافذتها: كم ورقة باقية على الشجرة؟..

فأجابت الأخت بعين ملؤها الدمع: لماذا تسألين يا حبيبتي؟.

أجابت الطفلة المريضة: لأني أعلم أن أيامي ستنتهي مع سقوط آخر ورقة!..

ردّت الأخت وهي تبتسم: إذن.. فحتى ذلك الحين سنستمتع بحياتنا.. ونعيش أياماً جميلة!..

مرت الأيام.. وتساقطت الأوراق تباعاً..

وبقيت ورقة واحدة!..

ظلَّتْ الطفلةُ المريضة تراقبها.. ظنّاً منها أنه في اليوم الذي ستسقط فيه هذه الورقة سينهي المرضُ حياتها!..

انقضى الخريف.. وجاء بعده الشتاء..

ومرت السنة.. ولم تسقط الورقة!..

والفتاة سعيدة مع أختها.. وقد بدأت تستعيد عافيتها من جديد! حتى شفيت تماماً.. فكان أول ما فعلته أنْ ذهبتْ لترى معجزة الورقة التي لم تسقط..

فوجدتْها **ورقة بلاستيكية** ثبَّتَتْها أختُها على الشجرة!..

فالأمل روحٌ أخرى للحياة.. إن فقدْتها فلا تحرم غيرك منها!..

• وأروع هندسة في العالم أن **تبني جسراً من الأمل فوق نهر من اليأس..**

لا تشغل نفسك بالغد..

واترك الغد حتى يأتيك..

فلا تشغلْ نفسك بما فيه من أحداث..

وتفاءل بالخير تجده أمامك..

واشغل نفسك بيومك فإنه لم ينته بعد!..

علّمتني الحياة أن أصبر على قساوتها.. فان وراء كل ضائقة فرج..

ووراء كل باب مغلق مصباحٌ يضيء ظلمات الطريق..

فلا يأس مع الحياة حتى وإن ضاقت بك الأيام..

إذا أرهقتْكَ همومُ الحياةِ — ومسَّكَ منها عظيمُ الضَّرَرْ

وذُقْتَ الأمرَّيْنِ حتَّى بكيتَ — وضجَّ فؤادُك حتَّى انفجرْ

وسُدَّتْ بوجهِكِ كلُّ الدروبِ — وأوشكتَ تسقط بين الحُفَرْ

فيمِّمْ إلى الله في لهفةٍ — وبثَّ الشَّكَاةَ لربِّ البَشَرْ

• وسورة يوسف التي وُصفتْ بأحسن القصص..

بدأت بحلْمٍ.. وانتهت بتحقيقه..

فأراد الله أن يُعلّمنا التمسك بالأمل وترك اليأس..

فلا تتصور وأنت في ربيع حياتك أنك في الخريف..

اِملأ روحك بالأمل.. فالأمل يزيل اليأس من القلوب..

ويخففُ عنك المتاعب.. ويدفعك إلى النجاح..

لا تيئس!.. فعادة ما يكون **آخر مفتاح** في مجموعة المفاتيح..

هو المناسب لفتح الباب!.

❊ ❊ ❊

لماذا لم يرضَ اللهُ الحزنَ للنِّساء؟

الليلة ٨٧٢

• ففي **أم موسى** قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾ [القصص: ٧]..

ثم قال: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [القصص: ١٣]..

وفي **مريم** عليها السلام قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤].

وفي **نساء النبي** عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥١]..

• فحزن المرأة عميق.. وألمه شديد.. لا تحتمله القلوب..

فرفقاً بالقوارير.. كما أوصانا حبيبنا المصطفى عليه الصلاة والسلام..

فهي إنْ حزنتْ.. انكسر قلبها وتألّمت..

وإن كان الحزن من ابنها أو زوجها.. أو أبيها أو أخيها.. كان أقسى وأشد..

وحين يظلم المرأةَ أخوها أو أبوها.. بحرمانها من ميراثها الشرعي.. أو بإجبارها على الزواج ممن لا ترغب فيه.. أو بالقسوة عليها والتفريق بينها وبين إخوتها الذكور.. ينكسر قلبها.. وتشعر بالوحدة والغربة.. والألم الشديد..

وعندما يقسو ابنها عليها.. ويقاطعها ويهينها.. أو يضربها كما يفعل بعض الأبناء الميتة ضمائرهم في هذا الزمان.. تشعر المسكينة بانهيار

نفسي وعصبي.. وضياع عمرها هباء منثوراً.. وربما تصل إلى حالة من اليأس تجعلها تتمنى الموت للخلاص مما تعانيه..

- فلا تكسرْ قلب أمك الحنون بكلمةٍ.. ولو (أف)..

ولا تجرحْ قلب زوجتك بإهمالٍ أو هجر أو عبوس..

ولا تؤلمْ قلب أختك بجفاء أو استهزاء..

ولا تخيّب ظن ابنتك بحسن تربية وتنشئة..

فتقرّب إلى الله تعالى بالإحسان لهن..

وتمتّع بسماع دعوات طيبات مباركات..

فليس في الدنيا أحنّ من دعوة أمٍّ أو زوجةٍ.. أو ابنةٍ أو أخت..

- قال أحدُهُم لأحمد ديدات رَحِمَهُ ٱللَّهُ : النِّساءُ «سبَبُ الفَسَاد»..

فأجاب: «أنا لا أُنْكِر ذَلك!..

وأكبَر مثال على ذلك: أن المرأة تَتْعَب تِسْـعَة أشْـهُر لِتلِدَ شَـابّاً أحمَق مثلك!..

ثم يأتي فيقول: النِّساءُ سَبب الفَساد»!..

❊ ❊ ❊

لا تهتمَّ لكلامِ الآخَرِين

• ضاع حذاءُ طفل في البحر..

فكتبتْ أمه على رمال الشاطئ: «هذا البحر **لص**»!..

وليس ببعيد منه.. كان رجلٌ صياد اصطاد الكثير من السمك..

فكتب على الرمال: «هذا البحر **سخيّ**»!..

وغرق شابٌ في البحر..

فكتبتْ أمه الثكلى على الساحل: «هذا البحر **قاتل**»!..

وأخرج رجلٌ لؤلؤةً من البحر..

فكتب على الساحل: «هذا البحر **كريم**»!..

ثم جاء الموجُ العالي وغسل ما كُتب على الساحل..

ثم قال البحر بهدوء: «لا تهتمّ لكلام الآخرين.. **إنْ كنتَ تريد أن تصبحَ بحراً**»..

• وملوحة البحر لا تتأثر بالمطر.. فكنْ بحراً.. لايتأثر بكلام البشر..

وكلام الناس صخور:

إما نحملها.. «فيُكسَر» ظهرنا..

أو نبني بها برجاً تحت أقدامنا.. فنعلو «وننتصر»!.

فسواء كنتَ ناجحاً أم فاشلاً.. فالناس ستتحدث عنك بالسوء.. فلا تُبَالِ!..

• ولقد شكا نبي الله موسى عليه السلام ما يلقى من كلام الناس.. فعن وهب بن منبه: أن موسى عليه السلام قال: رب!.. احبسْ عني كلام الناس.. فقال الله تعالى: يا موسى!.. **ما فعلتُ هذا بنفْسي**!.

وانظر إلى عباد الله الكرماء من الرسل والأنبياء.. وصفهم قومُهم بصفات أهل النقص والازدراء.. من سحرة وكهنة وأشقياء..

وهذه ملائكة الله الذين خُلقوا من نور.. وصفوهم بالإناث والضعف المبين!.

ثم بعد ذلك تريد منهم أن لا يصفوك بما يغضبك..

- فما دام الأمر كذلك.. فلا يضرك إنْ عابوك أو انتقصوك.. أو هضموا قدرك.. وحطّوا من منزلتك.

فالواثق بنفسه لا يهمه تنغيصاتُ المنتقصين.. ولا ينتظر تصفيق المعجبين..

فلا تكترث بكلام الناس.. فإنما هو هباء في هواء!.

وكما قال أحد الحكماء:

«الناس لم يجدوا عيباً في الذهب فقالوا: **بريقه يتعب العيون**»!.

ولا تبحث عمن خذلك..

بل اجعل من حالة الانكسار بداية نهوض جديد.

ولا تكره أحداً.. فمن آذاك أعطاك درساً من ذهب.. وهو لا يعلم!..

- **قيمتك عند الله:**

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]..

فلا تألمْ إنْ لم يلتفت الناسُ إلى قيمتك!..

فهذه قريةٌ كاملة.. لم يفتحْ أحدهم بابَه.. ليُطْعم موسى والخضر عليهما السلام..

التفِتْ إلى قيمتك عند الله.. ودَعِ البَشَر!..

وإذا أردت أن تعرف قدْرك عند الله..

فانظر إلى قدْر القرآن عندك..

* * *

الليلة ٨٧٤

مِنْ مذكَّرات السُّلطانِ مرادٍ الرَّابع

• سوءُ الظن مذمومٌ.. وما أكثره في هذه الأيام..

نُلْبسه لباسَ الدِّين.. ونعتقد أننا ظفرْنا بصيْدٍ ثمين..

ثم ننشره غير آبهين ولا مكترثين!..

• فهذه قصة ترويها مذكرات السلطان مراد الرابع.. وتحكي مآلات سوء الظنون..

فقد شكى السلطان مراد في ليلة من الليالي ضيقاً شديداً في صدره.. فنادى على رئيس الحرس وأخبره.. وكان من عادته تفقُّدُ الرعيّة متخفياً.

فقال: لنخرج نتمشَّى قليلاً بين الناس.. فساروا حتى وصلوا حارة متطرفة.. فوجدوا رجلاً مرميَّاً على الأرض.. حرّكه السلطانُ فإذا هو ميت!.. والناس يمرون حوله غير مكترثين!..

فنادى عليهم وهم لا يعرفونه: لماذا هذا الرجل ميت ولا أحد يحمله؟ منْ هو؟ وأين أهله؟..

قالوا: هذا فلان «الزنديق.. شارب الخمر.. الزاني»!..

قال: أليس هو من أمة محمد ﷺ؟.

فاحملوه معي إلى بيته.. ففعلوا..

ولما رأتْه زوجتُه أخذتْ تبكي.. وذهب الناس.. وبقي السلطان ورئيس الحرس..

كانت المرأة تردد: رحمكَ اللهُ يا وليّ الله.. أشهدُ أنك من الصالحين..

فتعجب السلطان وقال: كيف يكون من الأولياء.. والناس تقول عنه: كذا وكذا.. حتى إنهم لم يكترثوا لموته؟!..

قالت: كنت أتوقّع هذا.. فإن زوجي كـان يذهب كل ليلة إلى الخمَّارة.. يشتري ما استطاع من الخمر.. يُحضره للبيت.. ويصبّه في المرحاض.. ويقول: أخفِّفُ عن المسلمين!..

وكان يذهب إلى من تفعل الفاحشـةَ.. يعطيها المال ويقول: هذه الليلة على حسابي.. أغلقي الباب حتى الصباح.. ويرجع وهو يقول: الحمد لله خفَّفتُ عنها وعن شباب المسلمين هذه الليلة!..

فكان النـاس يشـاهدونه يشـتري الخمـر.. ويدخل علـى المرأة.. فيتكلمون فيه..

فقلتُ له ذات مرة: إنك لو متَّ فلن تجد أحداً من المسـلمين يغسّلك.. أو يصلّي عليك ويدفنك..

فضحك زوجها وقال: لا تخافي يا عزيزتي! **فلسوف يصلّي عليَّ سلطانُ المسلمين!..**

فبكى السلطانُ مراد وقال: صدق والله.. أنا السلطان مراد.. وغداً نغسّله.. ونصلي عليه وندفنه.. وكان ذلك.. وشـهدَ جنازتَه مع السلطان العلماءُ والمشايخُ وكثيرٌ من الناس..

فَـلَا تَتْبَـعِ الظَّـنَّ إنَّ الظُّنُـونَ تُريكَ مِـنَ الأَمْـرِ مَا لَـمْ يَكُنْ

ولا تحكمْ على أحدٍ بظاهر عمله.. فلا تدري ما قدْرُهُ عند ربه!..

* * *

الليلة ٨٧٥

العيشُ مَعَ الله

• عندما تضيق الصدور.. وتتكالب علينا الأحــزان والهموم.. نقول من أعماق قلوبنا: يا الله..

وعندما تظلــم الدنيا فــي أعيينا.. ونشــعر بإحباط واكتئــاب.. تصيح جوانحنا: يا الله.

وعندما نرتكب المعاصــي.. ونتمرّغ في الآثام.. ويصير عيشــنا ضنكاً وحسرة.. تلهج ألسنتنا بطلب العفو من الله..

وعندما نســير في درب حياة محفوفة بالشــهوات والشــبهات.. نصرخ خائفين.. طالبين العون من الله..

وعندما نصاب بالعلل والأمراض.. وييئــس الأطباء من دواء أو علاج.. فلا شافي ولا معافي إلا الله..

وعندما تدلّهم الخطوب على المســلمين.. وييئــس الجميع.. فلا مُعين لهم ولا ناصر إلا الله..

أرأيتم كم هو سعيد من عاش في كنف الله؟!..

وكم هو قريب منك عندما تسجد له؟!..

فيقول تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

فلستَ في حاجة للسَّفر لتتقرَّب إليه..

ولا يُشترط أن يكون صوتك عذباً..

فقط (**اسجد**) تكُــن بين يديه.. ثم اسألهُ ما تشاء..

وفي كل سجدة.. اجعلوا في القلب روضة..

في كل سجدة.. اذرفوا في العين دمعة..

في كل سجدة.. أرسلوا للمسلمين دعوة..

• تقول إحدى النســاء: كنت أصلي.. وكان طفلي بقربي يناديني مراراً.. ولم أردّ عليه..

فأتى أخوه الذي يكبره بعامين فقط وقال له:

«عيبٌ عليك تقاطع كلام اثنين.. **(الماما الآن تُكلِّم الله)**»!

تقول: اقشعرَّ بدني عندها.. وسألتُ نفسي: هل حقيقة كنتُ كما ظنّ بي طفلي؟..

وظلَّت هذه العبارة تطرق قلبي وجوارحي.. كلما كبَّرتُ للصلاة!..

• ولما حضرت محمدَ بنَ سيرين الوفاةُ بكى.. فقيل له: ما يبكيك؟.

فقال: «أبكي لتفريطي في الأيام الخالية..

وقلة عملي للجنة العالية..

وما ينجيني من النار الحامية»..

• فالسعيدُ من كان مع الله..

والأسعد منه.. من كان الله معه..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

فاعملْ للأولى.. تُرْزق الثانية..

• وأجمل ما في الليل ساعةُ خَلْوَةٍ.. تُراق لربِّ الكون فيها المدامعُ..

وتصعد فيها دعواتٌ من قلبٍ منيب..

إلى ربٍّ قريبٍ سميعٍ مجيب..

* * *

الليلة ٨٧٦

وليسَ سواكَ يا ربِّي طبيبُ

• قال لقمان لابنه:

«خَفِ الله خوفاً.. لو أتيتَه بعمل الثقليْن.. خفتَ أن يعذّبك..

وارجُه رجاءً.. لو أتيتَه بذنوب الثقلين.. رجوتَ أن يغفر لك»..

• يقول ابن المعتز:

خـلِّ الذنـوبَ صغيرَهـا وكـبـيـرَهـا ذاك الـتـقـى
واصنـعْ كمـاشٍ فـوق أر ضِ الشـوك يحـذرُ مـا يـرى
لا تـحـقـرنَّ صـغـيـرةً إنّ الجبـال مـن الحصـى

• وبكى أحد الصالحين عندما قرأ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فقيل له: لقد أبكتْك آيةٌ ما مثلها يُبكي.. إنها جنة عريضة واسعة..

فقال: يا بن أخي، **وما ينفعني عرضها إن لم يكن لي فيها موضع قدم؟!..**

ومسكين من يجعل علاقته بالله كعلاقته **بالإسعاف والطوارئ..**

لا يتصل بهم إلا عند البلاء!..

وسعيد من يجعل قلبه متعلقاً بالله.. في شدة أو رخاء..

ويذكره على الدوام في السراء والضراء..

ويردد بتضرع وخشوع: ﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]..

وينام الإنسانُ على الشوك ـ مع رحمة الله ـ فإذا هو مِهاد..

• وينام على الحرير ـ وقد أُمسكتْ عنه ـ فإذا هو شوك القتاد..

ويعالج أعسرَ الأمور ـ برحمة الله ـ فإذا هي يُسْرٌ ويُسْر.

ويعالج أيسرَ الأمور ـ وقد تخلّتْ عنه رحمة الله ـ فإذا هي مشقةٌ وعسْر..

وليسَ سواكَ يا ربِّي طبيبُ وأنتَ لكلّ محتاجٍ قريبُ

• قال صالح الدمشقي لابنه:

«يا بنيّ، إذا مرَّ بك يوم وليلة قد سلِمَ فيهما دينُك وجسمُك.. ومالُك وعيالُك.. فأكثِرِ الشكر لله تعالى..

فكم من مسلوبٍ دينه.. ومنزوع مُلْكه.. ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم.. وأنت في عافية»..

• قيل لأحدهم: **كيف تصبر على البقاء لوحدك** أحياناً؟.

فقال: أنا جليسُ ربي!..

إنْ شئتُ أن يُكلِّمني.. قرأتُ القرآن!..

وإنْ شئتُ أن أكلّمَهُ.. صلَّيْتُ ركعتين!..

• وفي الأوقات العصيبة.. أحسنِ الظنَّ بالله..

وفي اللحظات الهادئة.. اذكر الله..

وفي الأوقات الأليمة.. ثق برحمة الله..

وفي جميع الأوقات استغفر الله..

* * *

الليلة ٨٧٧

وراءَ كلِّ ابتلاءٍ عطاءٌ

• ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧]..

فحبُّ الأب شيءٌ رائع في ظاهره..

لكنه كان سبباً لرمي يوسف في البئر!..

ووجودهُ في البئر أمرٌ سيئ في ظاهره..

لكنه كان سبباً في دخوله بيت العزيز..

وقصرُ العزيز مأوى حسنٌ في ظاهره..

لكنه كان سبباً لدخوله السجن..

ودخول السجن أمرٌ سيئ في ظاهره..

لكنه كان سبباً في أن يصبح عزيزَ مصر..

فوراء كل ابتلاء منحةٌ وعطاء..

• ألا تعلم أن مفتاح قلب **عمر بن الخطاب** كان في قطرات الدماء التي سالت من وجه أخته؟.

وأن **حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه قد سرى نور الإيمان إلى قلبه.. حين علم بأن أبا جهل آذى رسول الله ﷺ؟.

وأن **أصحاب الأخدود** آمنوا بعد قتل الغلام.. وفضّلوا القتل حرقاً على النكوص في إيمانهم؟.

ولما عقرَ **سليمانُ بن داود** عليه السلام الخيلَ التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس.. سخَّر الله له الريح يسير على متنها حيث أراد..

ولما تــرك **المهاجرون** ديارهم لله وأوطانهم التي هي أحبُّ شــيء إليهم عوَّضهم الله.. ففتح عليهم الدُّنيا.. وملَّكهم شرق الأرض وغربها..

ولو اتقى اللهَ الســارقُ وترك ســرقة المال المعصــوم لله.. لآتاه الله مثله حــلالاً.. قــال تعالــى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

• ولنْ يكون عمرك كله ربيعاً! ستتناوب عليك الفصول الأربعة:

تلفحك حرارة الظروف والأيام..

وتتجمد في صقيع الهجر والخسران..

وتتساقط أحلامك اليابسات..

لكن حياتك **ستزهرُ** من جديد.

فعش تلك الأيام وكأنك وُلدتَ من جديد..

وانظر الى مئات الأشــجار التــي ترفرف بظلاها.. وتســعدك بثمارها.. وتبعث فيك الأمل..

• ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وكم من همومٍ وآلام.. كنا نظنّ أنها استوطنت فينا.. أزالها الله رغم ظنوننا..

فكلما أكثرَ العبدُ من طَرْقِ أبواب الخير.. فُتِحت له لذّاتُها وبركاتها.. وتيسّر له عملُها.. ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧]..

ويظل الإنســان في هذه الحياة مثل قلــم الرصاص.. تبريــه العثرات.. ليكتب بخط أجمل..

وهكذا حتى يفنى القلم.. فلا يبقى له إلا جميل ما كتب..

❊ ❊ ❊

الليلة ٨٧٨

نورُ الحقّ

• إياك أن تظن أنّ الحق لا يغار عليه أحدٌ إلا أنت..

ولا يحبه أحدٌ إلا أنت..

ولا يدافع عنه أحد إلا أنت..

ولا يُخلص له أحد إلا أنت..

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

«أنا لا أخشى على الإنسان الذي يفكّر.. وإن ضلّ..

لأنه سيعود إلى الحق..

ولكني **أخشى على الإنسان الذي لا يفكّر.. وإن اهتدى..**

لأنّه سيكون كالقشّة في مهبّ الريح»..

ويقول ابن القيم:

«النباتات لا تملك عقلاً.. ولكن لو غطَّيْتها بصندوق فيه ثقب واحد..

لخرجتْ من هذا الثقب.. لأنها تتبع (النور)»..

فلماذا لا نتْبع (**نور الحق**).. ونحن نملك العقول؟!.

• والأحرار يؤمنون بمن معه الحق..

والعبيد يؤمنون بمن معه القوة..

فلا تعجب من دفاع الأحرار عن الضحية..

ودفاع العبيد عن الجلّاد..

فما ترَكَ أحدٌ حقّاً إلا لكبْرٍ في نفسه..

• ولا تستوحش من الحق لقلة السالكين..

ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين..

فمن الناس مَنْ يبيع دينه بعَرَضٍ دنيوي.. فيؤْثرُ زائلاً على باقٍ..

والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [النحل: ٩٥]..

ومن الناس من تـزلُّ قدمه على طريق الحـق.. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٩٤]..

• سُئِل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف ترى الحق من بين كل هذه الفتن؟.

فقال: «**اتَّبعْ سهام أعداء الله ورسوله أين تقع**.. تُرشدك إلى أهل الحق»!..

عرفتُ الشرَّ لا	للشرِّ لكن لتوقّيه
ومن لم يعرف الشرَّ	من الناس يقع فيه

• ولهذا كان من **دعاء عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

«اللهم أرنا الحق حقّاً، وارزقنا اتباعه..

وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه..»(١).

فما أدركتُ عظمة هذا الدعاء مثلما أراه في هذه الأيام..

* * *

(١) ذكره البهوتي في كتابه: شرح منتهى الإرادات (٣/٤٩٧).

أهواءُ أنْفُسِهم..

الليلة ٨٧٩

• ليس المتديّنُ.. فاقداً للشهوات!..

وليست المحتشمةُ.. جاهلةً بأحدث الموضات!..

وليس المُنفق في سبيل الله.. كارهاً للمال!..

وليس من يقوم الليل.. بكاره للنوم!..

ولكنهم عرفوا كيف يواجهون «أهواء أنفسهم».. وينهوْنها عن الهوى..

فكن ممن قال الله فيهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

• وشرّ إلٰهٍ عُبد في الأرض الهوى..

فالنفس إذا هوتْ شيئاً.. طوّعت له كل طاقة..

وإن عافتْ أمراً.. نصبتْ له كل شِراك..

فكن حاكماً حازماً في قيادتها.. تسلمْ وتغنمْ..

• يقول ابن الجوزي في كتابه الماتع (صيد الخاطر):

«رأيت كثيراً من الناس يتحرَّزون من رشاش نجاسةٍ..

ولا يتحاشوْن من غيبة!..

ويكثرون من الصدقة..

ولا يبالون بمعاملات الربا!..

ويتهجدون بالليل..

ويؤخّرون الفريضة عن الوقت!..

ولو نظرتم إلى رجل أُعطي من الكرامات.. حتّــى **يتربّع في الهواء فلا تغترّوا به..**

حتّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنّهي وحفظ الحدود»..

- وقال علي رضي الله عنه:

«إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل..

أما **اتباع الهوى** فيصدُّ عن الحق..

وأما **طول الأمل** فيُنسي الآخرة»..

- وقال بعض السلف:

«إذا أشكل عليك أمرٌ.. فلا تدري أيهما أرشد؟..

فخالف أقربهما من هواك..

فإنَّ أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى»..

- ويقول أحدهم:

احذروا من الناس صنفين:

صاحب **هوى**.. قد فتَنَه هواهُ..

وصاحب **دنيا**.. أعمتْه دنياهُ..

- وقال بشر الحافي رحمه الله:

«البلاء كله في هواك..

والشفاء كله في مخالفتك إياه»..

- وقال ابن المبارك:

ومِــنَ البــلاءِ وللبــلاءِ علامــةٌ ... أن لا يُرى لك عــن هواك نزوعُ

العبــدُ عبدُ النفس في شــهواتها ... والحــرُّ يشــبع تــارةً ويجــوعُ

* * *

الليلة ٨٨٠

درسٌ لا يُنسى!

• يروى أنه كان هناك ملك صالح عادل.. وكان له ولد صغير.. فأراد الملك أن يعلّمه.. فأحضر له معلماً وأعطاه صلاحية كاملة فى تعامله مع ولده..

وذات يوم كان المعلم يعلّم الأمير الصغير فقال: هل وعيت الدرس يا غلام؟

فأجاب الأمير (في أدب): أجل يا معلّمي..

وفجأة **هوى على وجه الأمير الصغير بصفعة هائلة** ارتج لها كيانه!..

أصيب الأمير بذهول شديد!.. وتساءل في نفســه: ماذا فعلتُ كي يفعل بي هكذا؟!..

ولكن الأمير ـ من أدبه ـ لم يسأل المعلم لِمَ فعل ذلك..

وبعد ثلاثين عاماً أصبح الأمير ملكاً خلفاً لأبيه.. وفى أول يوم من جلوسه على العرش.. تذكّر ما فعله به معلّمه من ظلم بدون جريرة ارتكبها..

فواتته الفرصة الآن للانتقام منه...

أمرَ الملكُ بإحضار المعلم فوراً.. وأرسل إلى السياف ليحضر حالاً..

وجيء بالمعلم.. وقد أصبح شيخاً طاعناً فى السن.. وجاء السياف..

سأل الملكُ معلِّمَه: لِمَ فعلتَ بي ما فعلتَ في ذلك اليوم؟.

فأجاب المعلم: يا الله.. ثلاثون عاماً لم تُنْسِكَ تلك الصفعة!.. **لقد أردتُ أن تذوق طعم الظلم** وتعرف معناه عيانــاً.. فإذا ما أصبحتَ ملكاً أصبح معناه واضحاً فى حياتك.. فلا تظلم الناس أبداً!..

عندها قال الملك في دهشة: «يا الله! ألذلك فعلتَ ما فعلت؟!..

اذهبْ فقد عفوتُ عنك.. وسأظل لك شاكراً طوال عمري»..

ولذلك جاء التحذير من النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**»[1].

• فبعد أن فرغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من دفن سليمان بن عبد الملك الخليفة الذي كان قبله.. وبعد أن بايعه الناس.. نزل عن المنبر واتجه إلى بيته يبتغي أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد..

ولم يكد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ولده عبد الملك ـ وكان في السابعة عشرة من عمره ـ وقال له: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟.

فقال: يا بني، أريد أن أغفو قليلاً.. فلم تبق في جسدي طاقة..

فقال: **أتغفو قبل أنْ تردَّ المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟**.

فقال: أي بني! إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان.. وإني إذا حان الظهر صليت في الناس.. ورددتُ المظالم إلى أهلها إن شاء الله..

فقال: **وهل تضمن يا أمير المؤمنين أن تعيش إلى الظهر؟**.

فألهبتْ هذه الكلمة عزيمة عمر.. وأطارت النوم من عينيه.. وقال: ادنُ مني يا بنيّ.. وضمّه إليه وقال: «**الحمد لله الذي أخرج من صلبي، من يعينني على ديني**»..

ثم قام.. وأمر أن ينادى في الناس: «ألا مَنْ كانت له مظلمة فليرفعها إليّ»..

فما أجمل أن نتحلّل من مظالمنا.. ونرد الحقوق لأهلها قبل أن يدركنا هادم اللذات!..

* * *

---

(١) رواه البخاري.

عدلُ حَاكِم

• في عام (١٥٣٠م) كان هناك ملك مسلم يحكم أفغانستان وأجزاء من الهند واسمه «شيرخان».. وكان أعجوبة في العدل قلَّ أن يرى العالم له مثيلاً من بعد زمن الصحابة والتابعين!.

كان للملك شيرخان جيش يحارب على حدود دولته فوق إحدى قمم الجبال.. وكان لأحد الفقراء هناك كوخ يعيش فيه وأسرته..

واحتاج الجيش أن يزيل الكوخ لأمر خاص بخطط الجيش..

وبعدما أزال الجيشُ كوخَ الفقير.. ونزل الرجل عن الجبل إلى السهل المنبسط.. لم يستطع التأقلم والعيش في السهول.. قرر الرجل الذهاب إلى الملك شيرخان ليشتكي له قائدَ الجيش لهدمه بيته.

وعندما وصل المدينة التي بها مقر الحكم.. سأل عن الملك شيرخان فقيل له: إنه عند أطراف المدينة يلعب مع الأطفال.. فظن الرجل أن الناس يسخرون منه لهيئته البسيطة..

ذهب للمكان الذي وصفوه له خلف المسجد الكبير بالبلدة.. فوجد ساحة كبيرة وبها أطفال يلبسون أجمل الثياب وأغلاها.. ووجد الملك شيرخان يلعب مع الأطفال.

ولما سأل من يقف بجواره: من هؤلاء الأطفال؟.

قال له: هؤلاء اليتامى من أطفال المسلمين!.

قال الفقير: ولكن مظهرهم لا يدل على أنهم أيتام!.

فقال الرجل: اليتامى عندنا يلبسون ثياباً أفخر مما يلبسه باقي أولادنا.. وهذا أمر من الملك شيرخان بأن يكون مظهر الأيتام أفضل من باقي الأطفال.

فاستبشر الرجل في الملك العادل خيراً..
فرغ الملك من اللعب مـع الأيتام وذهب إليه أحدهـم يبلغ الملك أن هناك غريب يريد الملك في حاجة له.
فقال لمحدثه: ولِمَ لم توصله لي مباشـرة فور حضوره؟! فربما الغريب جائع أو خائف أو غير آمن.. فكيف رضيت أن تؤخره عنا؟!.
وقف الملك أمـام الفقير وقال لـه بكل تواضع: لبيك يـا عبد الله.. أنا خادمكم شيرخان.. هل لك من مظلمة نقضيها لك بإذن الله تعالى؟.
فانبهر الرجل الفقير من الرد وتلجلج فـي الكلام.. فطمأنه الملك وقال له: تحدث يا عبد الله ولا تخف مـن غير الله.. فوالله لو كان حقك عندي لجعلتك تقتصه مني الآن.
فزاد انبهار الرجل وعدم تصديقه!..
فأخبر الفقيرُ قصتـه.. فقال له شيرخـان: أبشر يا عبـد الله فقد قُضيتْ مظلمتك وهي في ذمتي الآن حتى يصلك حقك.
فأمر من فوره.. عقاباً لقائد الجيش.. أن يُؤخذ بيت قائد الجيش حتى يُبنى للفقير بيتاً فوق قمة الجبل... فزاد تعجب الرجل وهو يضرب كفّاً بكف!..
حاول شكر الملك بكلمات المديح.. فأوقفه الملك من أن يكمل حديثه وقال: يا رجل لا تشكرنا أن أدَّيْنا لك حقـك.. فهذا ليس مالي ولا مال أبي.. بل هو مـال الله استخلفنـا فيه لخدمـة ضعفاء المسـلمين قبل أقويائهم.. فوالله الذي لا إلٰه غيره لأن أخسـر المعركة ويأسرني العدو.. ويقطّعني إرباً إرباً.. وتأكلني السـباع لهو خير لي مـن أن ألقى الله يوم القيامة.. وفوق كتفي مظلمة فقير يحاججني بها بين يدي الله[1].

(١) كتبه: محمد الفاتح.. المراجع: تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر.. تاريخ شاهي، أحمد بادكار.. تاريخ شير شاه، ذي الفقار.

كُنْ مَعَ اللّٰه..

• كُنْ مع الله فــلا حزنٌ على الأمس.. ولا انشغالٌ عــن ربك اليوم.. ولا قلق على الغد..

فالله يكفيك..

كن مع الله.. فــلا خوفٌ من بَشَــر.. ولا رعبٌ من مكْــر.. ولا هلعٌ من غدْر..

فالله يُنجيك..

كن مع الله.. فلا جزعٌ من مــرض.. ولا حذرٌ من هــرَم.. ولا وجلٌ من موت..

فالله يحميك..

• وعندما تعجب النفس بجمال كوني ومنظر بديع.. تصرخ من أعماقها: يا الله..

وعندما يداهمنا خريف العمر وتتساقط أوراق العمر.. ويحدودب الظهر ويضعف العقل.. نردد: يا الله.

وعندما يقترب منــا الموت.. ونرى ملــك الموت وهو ينــزع الروح.. ونطلب الثبات نقول: يا الله.

• كُن مَع الله.. فإذا أخذ مِنك مَا لَم تَتوقَّع ضَياعَهُ..

فسَوفَ يُعطيك مَا لَم تتوقعَ أنْ تَملكهُ..

ولو كان الجسدُ أهمّ من الروح..

لَمَا صعدت الروح إلى السماء..

ودُفِنَ الجسدُ تحت التراب!..

قال علي بن سهل:

«الغافلون يعيشون في حلم الله..

والذاكرون يعيشون في رحمة الله..

والصادقون يعيشون في قرب الله..

والمحبون يعيشون في الأنس بالله»..

فالمؤمن كالورقة الخضراء..

لا يسقط.. مهما هبت العواصف..

وكالسراج.. **أينما وُضع أضاء!**.

- وقد يتحول كل شي ضدك ويبقى الله معك..

فكن مع الله يكن كل شي معك..

وإذا حُوصرْتَ بين القلق والمخاوف.. والأوهام والوساوس..

فاجعل لسانك رطباً بذكر الله..

فكل عسير إذا استعنتَ بالله يسير..

- قيل لأحد الصالحين: **ألا تشتاق لربك؟**.

قال: إنما الاشتياقُ يكون لغائبٍ..

أما ربي فهو رفيقي دائماً..

لا يغيب عني.. ولا أغيبُ عنه!..

* * *

الليلة ٨٨٣

لا تَتَحسَّر

• اشكر الله على ما وهبَ لك..
ولا تحزن على ما ذهبَ عنك..
ففي كلٍّ خير...
ولا تُفسدْ فرحتَك بالقلق.. ولا عقلَك بالتشاؤم..
ولا تفسدْ نجاحك بالغرور.. ولا تفسدْ تفاؤلَ الآخرين بإحباطهم..
ولا تُفسد يومك بالنظر إلى الأمْس!..
فإذا كان الأمسُ قد ضاع... فبينَ يديك اليوم..
وإذا كان اليومُ يجمع أوراقه ليرحل.. فلديك الغد..
ولا تحزن على الأمس.. فهو لن يعود..
«فلا تقُل: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وَكَذا، ولَكِن قل: قدَّرَ اللهُ، وما شاءَ فعلَ، فإنَّ (لو) تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ»[1].

• ولا تأسفْ على اليوم فهو راحل..
وتفاءل دوماً بغدٍ مشرقٍ بسّام..
وربما تفقدُ يوماً أشياءَ جميلة.. وتتحسر عليها فتقول في نفسك: آه.. ذهبتْ ولن تُعوَّض..
فالرسول ﷺ يقول: «**من تركَ شيئاً لله، عوَّضهُ اللهُ خيراً منه**»[2]..
ويقول أيضاً: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً للهِ إِلَّا أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صححه الألباني في حجاب المرأة، ص ٤٩.

(٣) رواه أحمد بأسانيد، رجالها رجال الصحيح.

• وقد تتفاجأ بأشياء أجمل.. تُنسيك ما تحسّرتَ عليه..
فكن واثقاً أنَّ خزائن الله لا تنفد.. وعطاياه ليس لها حدود..
فكن ابن يومك.. وانسَ الماضي مهما كان أمره..
انسَ أحزانه وأتراحه.. فتَذكُّرهُ ينكِّدُ عليك يومك..
ويزيدك هموماً على همومك..
فلا تحطّم فؤادك بأحزانٍ ولَّتْ..
وعشْ حياتك لحظة بلحظة..
وساعة بساعة.. ويوماً بيوم..
تجاهل الماضي.. وارمِ ما وقع فيه في سراب النسيان..
وامسح من صفحات ذكرياتك الهمومَ والأحزان..
فالمؤمن يردد قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۞ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٧].. فكنا في الدنيا ونحن بين أهلنا.. خائفين من ربنا.. مشفقين من عذابه وعقابه..
فآلامك ـ عندها ـ لن تذهب فحسب.. بل ستصير ذكرى جميلة..
ستكون بإذن الله لذة من نعيم الجنة..
وأحزانك الآن.. تصنع لذة الذكريات..
وموقف سيئ أو حتى مجموعة من المواقف لا تعني نهاية الحياة..
فالعمر يمضي مهما حدث.. ومهما كانت حجم خسارتك..
فلا تقف كثيراً عند نقطة محددة.. فكم ذكرى جميلة تُضيّعها على نفسك لمجرد أنك تسمح للذكريات السيئة بالزحف إلى ذاكرتك وتدفن نفسك فيها!..
انهض وأكمل حياتك.. وانفض عنك تلك الذكريات.. قبل أن تصبح أنت إحدى الذكريات!..

❊ ❊ ❊

مُعَاقُون لكنْ فَاعِلُون

• يقال: إنَّ العقل السليم في الجسم السليم..

ولكن قراءة حياة بعض العباقرة قد تخالف هذه المقولة..

فمنهم من لم يكن بأجساد معافاة تماماً... لكن كل هذا لم يمنعهم من المضي قدماً في الحياة.. ليثبتوا لنا جميعاً أن الإعاقة ما هي إلا إعاقة الفكر والروح..

• وفي كل يوم.. يولد العديد من الأشخاص المعاقين أو المصابين بالأمراض..

ولكن هناك مجموعة منهم يرفضون الاستسلام.. وينجحون بتحويل ضعفهم إلى قوة.. والقيام بما لا يقدر عليه الكثير من الأصحاء.

ـ **فربعيُّ بن عامر**.. صحابي جليل.. كان معاقاً لشدة عرجه.. وصعوبة مشيه.. لكنه تميز بطلاقة اللسان.. والقدرة على التفاوض.. فأرسله سعد بن أبي وقاص إلى قائد الفرس رستم.. فكان من أنجح سفراء هذا الدين لصلابة عقيدته وشجاعته..

ـ **وأبان بن عثمان بن عفان**.. كان به صمم وحوَلٌ وبرص.. ثم أصابه الفالج.. ومع ذلك كان من فقهاء التابعين وعلمائهم في الحديث.. وعيّنه عبد الملك بن مروان والياً على المدينة عام (٧٦هـ).

ـ **وعطاء بن أبي رباح** إمام أهل مكة وفقيهها.. فعلى الرغم من أنه كان أشلَّ أعرج.. إلا أنه كان عالماً وفقيهاً.. وكان الآلاف من طلاب العلم يتدافع على النهل من علمه..

ـ والأديب **مصطفى صادق الرافعي** أصيب بالصمم في الثلاثين من

عمره.. ولــم تقف إعاقتــه حاجزاً في وجهــه.. فقد حقق شهــرة أدبية واسعة.. وخدم الإسلام بأدبه وشعره..

ـ و**توماس أديسون** كان يعاني صمماً جزئيّاً.. وطُرد من المدرسة بسبب صممه.. درّستْهُ أمهُ في البيت.. وكان يقول: إن هــذا الصمم الجزئي لهو نعمة.. لأن الضوضاء الخارجية لا تستطيع أن تشوش أفكاري.. كان يعمل (١٨) ساعة فــي اليوم.. وقــد اخترع فــي حياتــه (١٠٩٣) اختراعــاً بما فيها المصباح.. وآلة عرض الصوت.. ومسجل الصوت.. والهاتف.

ـ وأما **بيتهوفين** فقــد قضى (٢٥) عاماً لا يسمــع.. واستطاع خلال هذه السنوات أن ينتج أفضل أعماله الموسيقية دون أن يسمعها.

ـ وهذه **هيلين كيلـر** الصمّاء البكماء العمياء.. التــي تحدَّت كل هذا.. فتعلمتِ الكــلام والخطابة.. والقراءة والكتابــة بلغات عدة.. وحصلت على شهادة الدكتوراه.. وكتبتْ ثمانية عشر كتاباً.

ـ و**جيــن دومينيك** كاتب فرنســي مشهور.. أصيب عــام (١٩٩٥م) بجلطة كبيرة في القلب فدخل في غيبوبة لمدة (٢٠) يوماً.. استيقظ بعدها بمرض عصبي نادر (Locked- in Syndrome) فأصبح مشلولاً شللاً كاملاً.. في حين أنه في كامل قواه العقلية.. ولا يستطيع أن يحرك إلا جفن عينه اليسرى..

ورغم ذلــك.. استطاع تأليف كتــاب (جرس الغــوص والفراشة).. عن طريق إعطاء إشارة بجفنه الأيسر.. عندما يُقــرأ الحرف الصحيح عليه.. وبذلك ألَّف الكتاب كله في عقله.. وكتبه حرفاً حرفاً على مدى عامين.. وتوفي بعد يومين من نشر كتابه![1].

• إنهم ليسوا عاجزين كما يظن البعض، بل هم قادرون ومبدعون وعظماء.. وما الإعاقة إلا إعاقة الجهل والكسل..

---

(١) سنن التمكين: للدكتور وليد فتيحي (بتصرف).

ادْعُوا اللّهَ بِإِخْلاص

الليلة ٨٨٥

• تزوجتْ امرأةٌ رجلاً يدعى (إسماعيل)..

كان عالماً جليلاً درس على الإمام مالك..

وكان ثمرة هذا الزواج المبارك إنجاب طفلٍ أسْمياه (محمداً).

وما لبث أن مات زوجُها إسماعيل.. فأخذت الأمُّ تربي ابنها تربية إسلامية طيبة..

تمنّتْ أن يكون ابنُها عالماً من علماء المسلمين..

ولكن ابنها أصيب بالعمى وهو صغير!..

فلا يستطيع أن ينتقل من بلد إلى بلد طلباً للعلم..

فتحَ اللّهُ عليها بابَ الدعاء.. فأخذتْ تدعو اللّهَ بإخلاص ونيةٍ صادقة..

وفي ليلة من الليالي رأتْ في الرؤيا الخليلَ إبراهيم عليه السلام يقول لها:

«يا هذه قد ردَّ اللّهُ على ابنك بصرَهُ بكثرة دعائك»..

استيقظت المرأةُ فإذا بها ترى ابنها بصيراً!..

وبعد أن ردّ اللّهُ البصرَ لولدها.. أخذتْ توجّهه لطلب العلم..

وفتحَ اللّهُ عليه فألّف كتاباً من أصح الكتب بعد كتاب اللّه.. هو صحيح البخاري..

نعم إنه **(محمد بن إسماعيل البخاري)**!..

• فاطرقوا باب السماء.. ولا تيئسوا من رحمة الله ولا تقنطوا..

ولا تستبطئ الإجابةَ إذا سددتَ طُرقَها بالمعاصي!..

يقول أحد الصالحين:

«إني لأعرف متى يجيب الله دعائي..

إذا شرح صدري لدعائه»..

• وفي هذا المقام يُنكرُ العلماء على من يقولون: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه).. فهذا دعاء بدعي باطل.. ومعناه أنه مستغن.. أي: افعل ما شئت ولكن خفّفْ.. وهذا غلط.. فالإنسان يسأل الله ﷻ رفع البلاء نهائيّاً فيقول: «اللهم عافني».. «اللهم ارزقني».. وما أشبه ذلك.

يقول النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئتَ.. ولكن.. لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغبة.. فإن الله لا يَتَعَاظَمُهُ شيء أعطاه»[1]..

فقولك: (لا أسألك رد القضاء.. ولكن أسألك اللّطف فيه) أشد!.

والدعاء قد يرد القضاء.. كما جاء في الحديث: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ»[2].

وكم من إنسانٍ افتقر غاية الافتقار حتى كاد يهلك.. فدعا ربه.. فأجاب الله دعاءه..

وكم من إنسان مرض حتى أيس من الحياة.. فيدعو.. فيستجاب دعاؤه..

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترغيب: ١٦٣٨.

الليلة ٨٨٦

جَابِرُ الخَوَاطِر

• مَنْ سار بين الناس جابراً الخواطر.. أدركتْهُ العناية ولو كان في جوف المخاطر..

وإذا كان كسر الأذرع والأرجل أمراً يعالجه الطبيب..

فإن انكسار القلوب لا يداويه إلا (الجبار)!..

فمنْ يلمْلم شمْلك إلا الجبار؟!..

ومنْ يجبر قلبك الكسير إلا الجبار؟!..

ومن يمسح دمعك المدرار إلا الجبار؟!..

ومن يخفف من آلامك وأحزانك إلا الجبار؟!..

فهلّا تقرّبتَ إلى الملك العزيز الجبار..

• **واجبرني!..**

كَانَ رسول الله ﷺ يَقُولُ بَيْــنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِــي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[1].

تأملوا هذه الكلمة جليّاً (واجبرني)..

ألسنا نتكسّر في اليوم كثيراً.. فنحتاح أن يجبرنا الله كثيراً؟!..

فالرسول ﷺ في قوله: «**اجبرني**» يسأل الله تعالى أن يجبره لسدّ حاجته.. ويردَّ عليه ما ذهب من خير.. ويعوّضه.. ويصلح ما نقص منه..

فإن من أسمائه تعالى (الجبار)..

(١) صحيح الترمذي: ٢٨٤.

فهو الذي يجبر الضعيف والكسير.. ويغني الفقير.. وييسّر كل عسير..

• وإلى كـل طبيب أو أستاذ جامعـي يتعالى على مرضـاه.. ويغلق الجوال ليرتاح من إزعاج المرضى.. نسوق هذه القصة الحقيقية التي يرويها الأستاذ الدكتور «حسام موافي» الأستاذ بطب القصر العيني بالقاهرة.. يقول:

عالجتُ أحد كبار العلماء.. وبعد أن مـنّ الله عليه بالشفاء سألتُه: ما هو العمل الذي ينبغي أن أداوم عليه ويقرّبني من الله؟.

فقال له الشيخ: «**جبر خاطر**»!..

يقول الدكتـور: وفي اليـوم التالي.. وبعـد أن أنهيتُ عملـي بالقصر العيني.. وخرجتُ من المستشفى.. وقبل الصعود على «طريق المحور» الذي كان مزدحماً.. جاءتني مكالمة من ابـن أحد المرضى يخبرني أن حماه قد أُدخل العنايـة المركزة بالقصر العيني وقـال: «**جبر خاطر**»!.. اذهب لرؤيته.. واختتم كلامه: «ربنا يجبر بخاطرك يا دكتور».

يقول الدكتور: مـا أنْ سمعت كلمة «جبر خاطر» حتـى تذكرت نصيحة الشيـخ.. فاستدرتُ عائـداً لزيـارة والـده.. وبعـد أن زرت المريض واطمأننتُ عليه.. وأنا في العناية المركزة.. شعـرتُ بألم شديد بالصدر وأعراض جلطة القلب!.. فطلبتُ من طبيب العناية المركزة سرعة إحضار الحقن المذيبـة للجلطة.. فسـارع الأطباء بالعناية نحـوي.. وفعلاً ثبت إصابتي بجلطة القلب.. وعافاني الله تعالى.. وتذكرت كلمات الشيخ..

يقول: جبرتُ بخاطـر مريضي فجبرني الله.. ولو أنـي صعدتُ المحور المزدحـم وجاءتنـي آلام الجلطة.. لربمـا متُّ قبل أن أصـل إلى أي مستشفى من الزحام الشديد.. فمن المعروف علميّاً أن نصف المصابين بجلطة القلب تقريباً يموتون قبل الوصول إلى المستشفى!..

❊ ❊ ❊

جَابِرُ عَثَراتِ الكِرَام (١)

• في أيام الخليفة (سليمان بـن عبد الملك) عاش (خُزيمة بن بِشر) في منطقة الرقة في بلاد الشام، وكان صاحب مروءة وكرم..

لكن الدنيا لا تدوم لإنسان.. إذ افتقرتْ أحواله واحتاج إلى أصحابه الذين كان ينفق عليهم فيما مضى.. فواسوه لفترة من الزمن ثم تخلوا عنه.. فلزم بيته.. وانقطع عن مجلس الوالي (عكرمة الفيّاض) ومجلس الخليفة.

وبعد مدة افتقده الوالي (عكرمة) فسأل عنه.. فأخبروه عن حاله.. فصمتَ.. لكنه أضمر في نفسه شيئاً..

فلمّا كان الليل.. أخرج الوالي أربعة آلاف دينار.. ووضعها في كيس.. ثم خرج متنكّراً متخفّياً حتى وصل دار خزيمة..

فقرع الباب.. فخرج خزيمة.. فناوله الكيس.. وقال له: أصلحْ بهذا حالك!.

فسأله خزيمة: من أنت.. جُعِلتُ فِداك؟ فقال: أنا (جابر عثرات الكرام)!.. ثم تركه ومضى.

وفي الصباح.. قام خزيمة وسدد الديون التي عليه.. ثم جهّز نفسه وسافر ليحضر مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك في دمشق..

فلما دخل خزيمةُ عليه.. قال سليمان: ما أبطأك عني؟.

قال: سوء الحال!..

قال سليمان: فبِمَ نهضتَ؟

فأخبره بقصة (جابر عثرات الكرام)...

قال سليمان: هل عرفْتَه؟.

قال: ما عرفتُه! فقد كان متنكراً!..

فتأسّفَ سليمان وقال: لو عرفناه لأعَنّاهُ على مروءته وأكرمناه..

ثـــم إن الخليفة عيّن (خزيمةَ) أميـــراً على الجزيرة (وهـــي المنطقة بين نهري دجلة والفرات).. بدلاً من عكرمة!.

ومضى (خزيمـــةُ) إلى الجزيرة.. وأصبح والياً عليهـــا.. لكنه وجد ديوناً على (عكرمة).. فبعث إليه في أدائها..

فقال عكرمة: ما عندي منها شيء!.

فأمر أن يُسجَن ويُكَبّلَ بالحديد.. فأقام على ذلك شهراً..

فأرسلتِ امرأةُ عكرمة جاريتها لتقول للوالـــي: أهذا جزاءُ (جابر عثرات الكرام) منك؟! فصاح خزيمةُ: واسَوأتاه!.

ثم بعث إلى وجـــوه أهل البلد فجمعهـــم.. وخرج بهم إلـــى السجن.. ودخل هو ومن معه على عكرمة وأكَبّ على رأســـه يُقَبِّلُهُ.. ثم أمر بفك القيد من رِجليّ عكرمة ليوضع في رِجليـــه هو.. لينالَه من الضر مثل ما نال عكرمة.

فقال عكرمة: والله لا كان ذلك!.

❋ ❋ ❋

جَابِرُ عَثَراتِ الكِرَام (٢)

أخذ خزيمةُ معه عكرمةَ وسارا إلى سليمان بن عبد الملك ليعرّفه بـ(جابر عثرات الكرام)..

فرحّبَ الخليفةُ بعكرمة وأدنى مجلسه.. وقال له: ارفع حوائجك كلها..

فقال: اعفني يا أمير المؤمنين..

قال: لا بُدّ. ثم قضى له حوائجه.. وأمر له بعشرة آلاف دينار.. ثم عَيّنه أميراً على الجزيرة وأذربيجان وأرمينيا.. وقال له: أَمْرُ خزيمة لك.. إن شئتَ فاعزلْه.. وإن شئتَ فاتركه في عمله.

فقال: بل أزيده عملاً إلى عمله يا أمير المؤمنين[1].

• **لله درّك يا عكرمة!..** فأنت تعرف أن الكرام إذا كَبَوْا يحتاجون لمن يجبر عثرتهم.. فكنتَ لها!.

وقد أبتْ عليك مروءتك أن ترى رجلاً من كرام الناس في ضيق.. وأنت تعرف قَدْرَه ومكانته.. بل إنك تحمّلتَ الأذى كي لا تمنّ عليه.. وكي لا يعرف معروفَك أحدٌ.

فماذا كنت ستفعل لو رأيت الملايين ممن هُدّمت بيوتهم.. ونزحوا من ديارهم.. فساءت أحوالهم بعد أن كانوا أهل فضل؟!..

لعلك تقول: ما يمنعكم أن تكونوا جميعاً مثل (جابر عثرات الكرام)؟.

لاسيما وأنتم اليوم لا تحتاجون للتخفّي لتوصلوا أعطياتكم..

(١) جابر عثرات الكرام، كتبها: الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولخّصها: د. محمود نحاس (بتصرف).

فالمنظمات الإغاثية المرخّصة والمعتمدة تقوم بهذه المهمة نيابة عنكم..

ولله درّك يا سليمان.. فلم ترضَ أن يسبقك أحد في المروءة والشهامة..

فإذا بك تتلمّس لتعرف من هذا الذي ربما سبَقَك هذه المرة.. فأردتَ أنْ تُكرمه ليزداد عطاؤه.

ولله درّك يا خزيمة!.. فقد أنصفتَ عكرمة مـن نفسك.. وذهبتَ به إلى الخليفة ليكافئه..

ولله درّكم جميعاً فقد ردّدتمْ بلسان الحال والمقال قول الحطيئة:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ ... لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللهِ وَالناسِ

• يروي أحدهم أن رجلاً دخـل إلى مكتبة قرطاسية مـع زوجته لشراء بعض المستلزمـات المدرسية لأبنائهم.. فرأى رجـلاً مسنّاً ومعه بنيّاته الثلاث.. وهن يخترْن ما يُردْن شراءَهُ.. فيأخـذه منهن.. ويذهب به إلى المحاسب ليسأله عن سعره ثـم يعود إليهن.. ويقول لهـن: هذا غالٍ.. ابحثْنَ عن غيره.. وتكرر الموقف!..

فما كان من الرجل إلا أن سلَّـم على المُسنّ وكأنه يعرفه.. واصطنع معه حديثاً عابراً.. في حين أخذت زوجتُه البنات إلى رفوف المكتبة.. ولبَّت جميع متطلباتهن في دقائـق.. ثم قام الرجل مباشـرة بدفع الحساب.. وقال في تواضع جم: هذه يا عمّ هدية من زوجتي للبنات(١)!..

• قال طرفة بن العبد:

لَعَمْـرُكَ! ما الأيـامُ إلّا مُعارَة .. ... فما اسطعْتَ مـن معروفِها فتزوّدِ

ويقول عليٌّ كرم الله وجهه: فاعلُ الخير خيرٌ منه.. وفاعل الشر شرٌّ منه..

* * *

(١) أحمد إبراهيم فقيرة، من يشتري.. الموقف؟ (بتصرف).

سعادتُكَ في عَطَائِك

الليلة ٨٨٩

• في دورة تدريبية كان المحاضر يلقي محاضرته إلى خمسين متدرباً.. وفجأة سكت.. وقام بتوزيـــع خمسين بالوناً علـــى المتدربين.. وطلب منهم أن ينفخوها ويربطوها..

ثم طلب من كل متدرّب أن يكتب اسمه على البالون بخط واضح..

جَمَع المحاضرُ البالونات.. ووضَعها في غرفة صغيرة فَمَلأَتْها تقريباً..

طلب من الحضور أن يدخلوا الغرفة جميعـــاً.. وأن يحاول كل متدرب خلال خمس دقائق أن يجد البالون الذي يحمل اسمه..

هاج المتدربون وحاولوا..

وانتهت الدقائق الخمس.. ولم يستطع أي متدرب أن يجد البالونَ الذي يحمل اسمه!..

طلب منهم بعد ذلك أن يأخـــذ كل متدرب أي بالـــون.. أيّاً كان الاسم الذي يحمله.. ثم يعطيه لصاحبه..

تمت العملية خلال دقيقة واحدة.. وحاز كلُّ متدرب على البالون الذي يحمل اسمه.. وكان الجميع سعداء..

عندها قال المحاضر: هذه البالونات تمثّل سعادتنا التي نبحث عنها!..

وعندما كنا نبحث عن سعادتنا فقط.. استحال علينا أن نجدها..

ولكن عندما قدّمنا السعادة للآخرين.. منَحونا السعادة..

• فالسعادة هي بما تقدّمه لمن تحب ومن يحتاج!.. فيفرح ويبتسم..
وعندها تجد سعادتك في ابتسامته.. وفرَحك بفرَحه.
قدّم لأخيك ما يسعده.. تنلْ ما يُسعدك..
قدّم لعائلتك.. لأصدقائك.. لزملائك في العمل.. ما يُدخل البهجة على أنفسهم.. يقدّموا لك ما يَسرُّك ويبهجك!..

• يقول أحد العارفين:
«مَنْ أحبَّ أن يلحقَ بدرجة الأبرار.. ويتشبّه بالأخيار..
فَلْينْوِ في كل يوم تطلع فيه الشمس نفْعَ الخلْق»..
فالرسول ﷺ يقول:
«أحبُّ الناسِ إلى اللهِ تعالى أنفعُهم للناسِ»[١].
ويقول في حديث آخر: **«أَحَبُّ العِبادِ إلى اللهِ تعالى أَنْفعُهُمْ لِعيالِهِ»**[٢].
ابدؤوا بعيالكم وأهليكم.. ثم انشروا الخير بين الناس.. ولو بابتسامة..
والذين يعلِّمون الناسَ الخير هم من أفضل البشر!..
أما قرأتَ حديثَ رسولِ الله ﷺ:
«إن اللهَ وملائكتَه..
حتى النملةَ في جُحرِها..
وحتى الحوتَ في البحر..
لَيصلُّون على مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ»؟[٣].

(١) السلسلة الصحيحة: ٢/٥٧٥.
(٢) صحيح الجامع: ١٧٢.
(٣) صحيح الجامع الصغير: ١٨٣٨.

جَمَالُ الصَّدَقات

• عبارة كُتبتْ على جدار مقبرة!..

«ليس باستطاعتك أن تأخذ مالكَ معك..

ولكن في استطاعتك أن **تجعلَهُ يسْبقك**»..

هذا هو جمالُ الصدقات..

فلا تمتنع عن العطاء بحجة أن لا أحد يستحق!..

وحتى لو سلّمْنا جدلاً أن لا أحد فعلاً يستحق..

فماذا عنك «أنت»؟!

ألا تستحق أن تستشعرَ لذةَ العطاء وأجْره؟!.

مُدَّ يدكَ للناس بالخير.. بالعطف.. والحنان..

تمتد لك يدُ الله بلطفٍ خفيٍّ..

بخيرٍ.. وغيْثٍ..

ونفحاتٍ من الرحمن...

• وقد خلق الله لنا يديْن لنعطيَ بهما.. فلا تجعل من نفسك صندوقاً للادخار..

وكنْ قناةً يعبرها الخير.. فيصلْ إلى غيرك..

يقول الخليفة المأمون: «لا خير في السرف.. ولا سرف في الخير»..

• ومن **علامات توفيق الله** تعالى لعبده:

أن يجعلهُ «**ملجأً للناس**»:

يُفرّج همّاً.. أو يُنفّس كرْباً..

يقضِي ديْناً.. أو يُعين ملهوفاً..

ينصر مظلوماً.. أو يُنقذ متعثراً..

ينصحُ حائراً.. أو يُرشد عاصِياً..

وما أروعها لو اجتمعتْ كلها فينا جميعاً!..

النَاسُ للناسِ ما دامَ الوفاءُ بهم — والعسرُ واليسرُ أوقاتٌ وساعاتُ

وأكرمُ النَّاس ما بين الورى رَجُلٌ — تُقضى على يده للناس حاجاتُ

لا تَقْطَعَنَّ يدَ المعروف عن أحد — ما دمْـتَ تقدرُ والأيامُ تاراتُ..

واذكرْ فضيلةَ صنع الله إذ جُعلت — إليكَ لا لكَ عند النَّاسِ حاجاتُ..

فماتَ قَـومٌ وما ماتَتْ فضائلُهم — وعاشَ قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ..

يقول أحد الصالحين:

إنما أدرك مَنْ أدرك لا بكثرة صيام ولا صلاة..

ولكن **ببذل الندى.. وكفّ الأذى..**

- اصنَع خَيراً.. لأنّه هُو الشَّيء الوَحيد الذي لا يَموت حِينَ تغيب..

ولن ينسى اللهُ لك خيراً.. قدّمْتَه..

أو همّاً لمكروبٍ.. فرّجْتَه..

أو قلباً كاد يبكي.. فأسعدْتَه!..

فعشْ في حياتك على مبدأ: «كن مُحسناً حتى وإنْ لم تلْقَ إحساناً»..

فأنت لا تعمل من أجلهم..

بل **لأن اللّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ..**

* * *

بهَرَهُمْ إحْسَانُه!

الليلة ٨٩١

• انظر إلى أصحاب **يوسف** عَلَيْهِ السَّلَامُ في السجن.. قالوا: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

لقد كان يوسف أجمل أهل الأرض..

لكن الذي بَهَرَهم: (**إحسانه**).. وليس (**حُسْنه**)..

فالإحسان جمالٌ للوجوه.. وبهجة للنفوس..

وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل رسول الله ﷺ: مَا الإِحْسَانُ؟ فيجيبه الحبيب المصطفى ﷺ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

• أحسنْ في قولك.. فما من كلام إلا أنْ يكون طيباً حسناً.. ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وأحْسِنْ في عملك.. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

والمحسن محبوب عند الله.. وعند عباد الله..

فقد أنعم الله على أناسٍ.. فاختصهم بقضاء حوائج عباده.. جعلهم مفاتيح للخير.. مغاليق للشر.. فالرسول ﷺ يقول: «**إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوّلها إلى غيرهم**»(٢).

• كن محسناً.. فإنك اليوم قادر.. وغداً عاجز..

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ مُحْسِناً ... فَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ مَاضٍ وَتَارِكُهْ

فَكَمْ دَحَتِ الأَيَّامُ أَرْبَابَ دَوْلَةٍ ... وَقَدْ مَلَكَتْ أَضْعَافَ مَا أَنْتَ مَالِكُهْ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) السلسلة الصحيحة: ١٦٩٢.

ـ أحسنْ إلى والديك ببرهما وطاعتهما بالمعروف.. بالدعاء والاستغفار لهما في حياتهما وبعد موتهما..

أحسنْ إليهما في نظرة عينيك.. ونبرة صوتك.. واحفَظ فيهما وصية ربك سبحانه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

ـ أحسنْ إلى أقاربك وأصحابك.. إلى الجار والمحتاج.. ببرّهم وصِلَتهم.. والعطف عليهم.. ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النساء: ٣٦].

ـ أحسن إلى جارك باحترامه.. وبذل الخير له.. وكف الأذى عنه...

ـ أحسن إلى أصحابك بنصحهم.. والأخذ بأيديهم إلى كل خير.. ومنعهم من كل شر..

ـ أحسن إلى خادمك بصون كرامته.. واحترام شخصيته.. بإعطائه أجْره قبل أن يجفّ عرقُه.. وعدم تكليفه ما لا يطيق...

ـ أحسنْ إلى اليتامى بالمحافظة على أموالهم.. وحماية حقوقهم.. وتربيتهم وتأديبهم.. فالنَّبِيُّ ﷺ يقول: «أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هَكَذا» وأشارَ بالسَّبَّابةِ والوُسطى، وفرَّجَ بينَهما شيئاً[1].

ـ أحسن إلى المساكين بسدّ جوعتهم.. وستر عورتهم..: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[2].

ـ أحسن إلى الناس كلهم بحسن معاملتهم.. بالوفاء والصّدق والعدل.. بتعليم جاهلهم.. بتجنب ما يؤذيهم.. فتعامِلهم دوماً بما تحبّ أن يعاملوك به..

* * *

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

سَألوها: لماذا لَمْ تتزوَّجي؟

• معلمة في إحدى المدارس جميلة وخلوقة.. سألتْها زميلاتُها في العمل: لماذا لم تتزوجي مع أنك تتمتعين بالجمال؟.

فأجابت: كانت هناك امرأة لها من البنات خمسٌ.. فهدّدها زوجها إن ولدتْ بنتاً فسيتخلص منها!..

وفعلاً ولدتْ بنتاً!..

فقام الرجل ووضع البنتَ عند باب المسجد بعد صلاة العشاء..

وعند صلاة الفجر وجدها لم تؤخذ.. فأحضرها إلى المنزل..

وفي كل يوم كان يضعها عند المسجد.. ويأتي في الفجر يجدها!..

كانت والدتها تقرأ عليها القرآن كلما أخذها إلى المسجد..

مضت سبعة أيام على هذا الحال.. حتى ملّ الرجل فأحضرها وفرحتْ بها الأم..

حملتْ الأم مرة أخرى.. وعاد الخوف من جديد..

فولدت هذه المرة ذكراً.. ولكن البنت الكبرى ماتت..

ثم حملت بولد آخر فماتت البنت الأصغر من الكبرى!..

وهكذا إلى أن ولدت خمسة أولاد.. وتوفيت البنات الخمس!..

وبقيت البنتُ السادسة التي كان يريد والدها التخلص منها!..

وتوفيت الأم وكبرتِ البنتُ وكبر الأولاد..

قالت المعلمة: أتـــدرون مَنْ هي هذه البنت التـــي أراد والدها التخلص منها؟..

إنها أنا!..

تقول: ولهذا السبب لم أتزوج.. فوالدي ليس له أحد يرعاه سواي.. وقد بلغ من الكبر عتيّاً..

أحضرتُ له خادمةً وسائقاً.. وعكفتُ على رعايته..

وتخلى عنه من ظن يوماً أنهم سيرعونه..

فإخوتي الخمسة منهم من يزوره في الشهـــر مرة.. ومنهم من يزوره كل شهرين!..

أما أبي فهو دائم البكاء ندماً على ما فعله بي!..

آوَتْه من رماها سبع مرات لأنها بنت...

وعقّه من كان يحلم بأنهم سيحملونه في كبره على الأكتاف!..

عقّه من أفنى فيهم عمره ليراهم شباباً كباراً..

وبرّته من رماها ~~كارهاً لها~~.. لأنها أنثى..

* * *

الليلة ٨٩٣

إخلاصٌ مَعَ الله

• **نوحٌ** عليه السلام أغرق الكرة الأرضية كلها بدعاء من **ثلاث كلمات:**

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]..

وامتلك **سليمانُ** عليه السلام الأرضَ كلها بدعاء من **ثلاث كلمات:**

«﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [صٓ: ٣٥]..

فلسنا بحاجة إلى الكثير من الكلمات لنحدث الأثر..

ولكن نحتاج الى صدق وإخلاص مع الله..

وقد أخفى اللهُ القبول.. لتبقى القلوبُ على وجل!..

وأبقى باب التوبة مفتوحاً.. ليعيش الإنسانُ على أمل..

وجعلَ العبرةَ بالخواتيم.. كي لا يغترَّ أحدٌ بالعمل..

وليس الشأن في العبادة.. إنما الشأن كل الشأن بمقدار الصدق فيها..

فقد أضيف **الصدق** في القرآن الكريم لخمسة أشياء:

ـ **مُدْخَل ومُخْرَج** صِدْقٍ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠]..

ـ و**لِسَان** صِدْقٍ: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤]..

ـ و**قَدَم** صِدْقٍ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢]..

ـ و**مَقْعَد** صِدْقٍ: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٥]..

والصلاح مصدر قوة.. فالمستقيم الصدوق قد لا يصبح مشهوراً أبداً..

لكن يصير محترماً ومحبوباً من جميع معارفه..

لأنه محبوب من الله تعالى..

• قَالَ الوَلِيْدُ بنُ مُسْلِمٍ:

«سَأَلْتُ الأَوْزَاعِـيَّ، وَسَعِيْدَ بنَ عَبْـدِ العَزِيْزِ، وَابْنَ جُرَيْـجٍ: لِمَنْ طَلبتُمُ العِلْمَ؟..

كُلُّهُم يَقُوْلُ: لِنَفْسِي!..

غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: **طَلبْتُهُ لِلنَّاسِ**.

يقول الإمام الذهبيّ معلقاً: «مَـا أَحْسَنَ الصِّدْقَ؟.. فاليَـوْمَ تَسْأَلُ الفَقِيْهَ الغَبِيَّ: لِمَنْ طَلبتَ العِلْمَ؟.

فَيُبَادِرُ، وَيَقُولُ: **طَلبتُهُ للهِ، وَيَكْذِبُ**..

إِنَّمَا طَلبَهُ لِلدُّنْيَا، وَيَا قِلَّةَ مَا عَرَفَ مِنْهُ»(١).

فإذا كان هذا حالهم في أيام الذهبي فكيف حالهم في هذه الأيام؟!..

• قال رجل لتميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما صلاتك بالليل؟..

فغضب غضباً شديداً ثم قال: والله لركعة أصلّيها في جوف الليل في سرٍّ أحب إليَّ من أن أصلي الليل كله، ثم أقصّه على الناس».

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]

وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر..

قال ابن عقيل: «كان أبو إسحاق الفيروزآبادي لا يُخرج شيئاً إلى فقير إلا أحضر النية.. ولا يتكلم في مسألة إلا قدَّم الاستعانة بالله وإخلاص القصد في نصرة الحق.. ولا صنَّف مسألة إلا بعد أن صلَّى ركعتين.. فلا حرج أن شاع اسمه واشتهرت تصانيفه شرقاً وغرباً.. وهذه بركات الإخلاص».

❊ ❊ ❊

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبيّ (٦/٣٢٨).

الليلة ٨٩٤

يبيعُ أراضيَ في الجَنَّة (١)

• يحكى أن دجالاً يتظاهر بلباس رجال الدين جاء إلى إحدى المدن في عصر صكوك الغفران.. فاجتمع النـــاس حوله يشترون بضاعته الغريبة.. وفي كل يوم كانت سلعته تزداد رواجاً..

وذات يوم زار المدينةَ رجلٌ حكيم مصلـــح.. فأدهشه إقبال الناس على الدجال.. وسأل عن سبب الزحام الشديـــد حوله فأخبروه أن هذا الرجل يحمل توكيلاً من الله تعالى (أستغفـــر الله العظيم).. وهو يقوم الآن ببيع قطع من أراضي الجنة.. ويمنح سندات تمليك بذلك.. ومن مات ومعه هذا السند.. دخل الجنة وسكن الأرض التي اشتراها هناك.

احتار الرجل في كيفية إقناع هذا الكم الهائل من الناس بعدم صدق هذا الرجل.. وأن من اشترى منه قد وقع في تضليله وتدليسه..

وفي النهاية اهتدى الرجل الحصيف إلى حل عبقري..

تقدم الحكيم إلـــى الرجل الذي يبيع قطعاً في الجنـــة فقال له: كم سعر القطعة في الجنة؟ فأخبره أن القطعة بـ (١٠٠) دينار..

فقال له: وإذا أردتُ أن أشتري منك قطعة في (جهنم).. أتبيعها لي؟..

استغرب الرجل ثم قال: خذها بدون مقابل..

فقال الحكيم: كـــلا.. لا أريدها إلا بثمـــن أدفعه لـــك.. وتعطيني سنداً بذلك.

فقال: سأعطيك ربع جهنم بـ (١٠٠) دينار.. وهــو سعر قطعة واحدة في الجنة!.

فقال له الحكيم: فإنْ أردتُ شراءها كلها؟

فقال الدجال: عليك أن تعطيني (٤٠٠) دينار.

وفي الحال قــام الحكيم بدفــع (٤٠٠) دينار إلى الدجــال.. وطلب منه تحرير سند بذلك.. وأشهد عليه عدداً كبيراً من الناس..

وبعد اكتمــال السند قام الحكيــم ينادي بأعلى صوتــه: أيها الناس لقد اشتريتُ جهنــم كلها.. ولن أسمح لأي شخص منكــم بالدخول إليها.. فقد صارت ملكي بموجــب هذا السند.. أمــا أنتم فلم يتبــقَّ لكم إلا الجنة.. وليس لكم من سكنٍ غيرها سواء اشتريتم قطعاً أم لم تشتروا!..

عند ذلك تفرق الناس من حول الدجال لأنهم ضمنوا عدم دخول النار.. بسند الحكيم.. وأدرك الدجال أنه أغبى من هؤلاء الذين صدّقوا به!.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

* * *

يبيعُ أراضيَ في الجَنَّة (٢)

• لا تستغربوا ولا تستصعبوا شراء جهنم.. فحين يختلط حابل الأمور بنابلها.. يصبح أي شيء ممكناً..

قال الراوي: قصصتُ هذه القصة على رجل كبير السن فقال لي: وهل تعجب من هؤلاء الناس؟.

فقلت: نعم، أيوجد أناس بهذا المستوى من التفكير؟.

فقال: أغلبنا بمثل مستوى تفكيرهم.. غير أنهم أفضل نية منا!..

فقلت: كيف؟.

فقال: من يشرب الخمر هل يجدها ملقاة على الطريق أم يذهب لشرائها بماله الخاص؟!.

فقلت: بل يشتريها بماله الخاص.

فقال: ومن يقصد بيوت الهوى.. ومن يلعب القمار.. ومن يتعاطى المخدرات.. ومن يضيع الأوقات في مشاهدة الحرام.. كلها أموال ندفعها من جيوبنا لنشتري بها قطعاً في جهنم.. أليس كذلك؟!..

بينما نترك الصلاة والصيام والذكر والقرآن.. وغير ذلك من العبادات.. رغم أننا لا ندفع شيئاً من جيوبنا.. ولا نقبل أن نشتري الجنة بأرخص الأثمان وأيسر الأعمال.. فمن أصلح هم أم نحن؟!..

يقول: فأطرقتُ نظري إلى الأرض وأنا أسأل الله أن يجعلني ممن يسعون إلى نيل رضا الله ﷻ بالأفعال والأقوال.. وما رزقني الله من مال..

• قصة توقفت عندها كثيراً.. وأدركتُ حديث رسول الله ﷺ: «**كلُّ أمتي**

يدخلون الجنــةَ إلا من أبى» قالوا: يا رســولَ اللهِ، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبى»[١].

ـ فإذا كان المسلم يؤمن بــالله وبرسوله، ويؤدي الفرائض التي فرضها الله عليه، ولا يشرك به شيئــاً؛ فهو من أهل الجنة، مِصداقــاً لقول النبي ﷺ **«من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصــام رمضان، كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة»**[٢]، ويقول: **«من لقي الله لا يُشرِك به شيئاً دخل الجنة»**[٣].

ـ وإذا اجتنب الكبر والغلول فهو من أهل الجنة.. فالنبي ﷺ يقول: **«من مات وهو بريء من ثلاث: الكبر، والغلول، والدّين؛ دخل الجنة»**[٤].

ـ والصدق يوصل صاحبه إلى الجنة، مِصداقــاً لقول سيدنا محمد ﷺ: **«إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»**[٥].

ـ والابتعاد عن الوقوع في الزنــى طريق إلى الجنة؛ لأن النبي ﷺ يقول: **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**[٦].

ـ والتقــرّب إلــى الله بالنوافل موجب للجنة: **«مــا مِن أحَدٍ يتوضَّــأُ فيُحسنُ الوضوءَ ويصلِّي رَكعَتين، يُقبِلُ بقلبِه ووجهِهِ عليهِما؛ إلَّا وجبَت لَه الجنَّةُ»**[٧].

ـ وهناك أشياء يجهــل بعض الناس قدرها.. فالنبي ﷺ يقــول: **«أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»**[٨].

* * *

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.
(٤) عمدة القاري (٣١٧/١٢).
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه البخاري.
(٧) صحيح أبي داود: ٩٠٦.
(٨) رواه الترمذي.

صِدْقُ النَّوايا

الليلة ٨٩٦

• عندما تحضّرين الطعـــام.. جدّدي نية إطعام الطعـــام.. وأنه سبيل إلى التقوّي على طاعة الله..

وعندما تدرِّسين أولادك.. جددي نية: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١]..

وحين تستقبلين ضيفــاً وتتعبين فى تحضير الضيافــة.. جدِّدي نية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[١]..

وعندما تقومين بتنظيف البيت.. جددي نيــة: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة»[٢].

وحين تتحمّلين كلمةً ثقيلة من حماك أو حماتك.. أو جدّك أو جدّتك.. جدِّدي نية: «ليسَ منَّا من لم يرحَمْ صغيرَنا، ولم يوقِّرْ كبيرَنا»[٣]..

• وإذا رأيتَ أن نصائحك لا تُقبل.. وتوجيهاتك لا تُسمع.. فادعُ الله من قلبك: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]..

قال البخاري: «أي: أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا»..

وربما يظن ظان أن هذا الوصف ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ بعيد المنال.. وأنه يختص بأناس دون آخرين.. ويتطلب العلم الغزير..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع: ٤٢.

(٣) صحيح الترمذي: ١٩١٩.

والحقيقة أن أحدهم قد يبلغ بصدق نيتــه.. وحسن خلُقه من التأثير في الناس.. ما لا يبلغه من يفوقونه علماً وفقهاً!..

فرجل يتصدق بصدقة ثم يقول: «اللهم هذه عن أموات المسلمين الذين لا يجدون من يتصدّق عنهم».. فلله دَرُّه!.

ومعلّمة تتفقــد طالباتها كل صباح.. تصلح شعورهــنّ وترتب لباسهنّ.. فمنهنَّ يتيمات لا يجدْن مَنْ يفعل ذلك.. فلها من الله الجزاء..

• جاء رجــل إلى رسول الله ﷺ فقــال: أرأيت رجلاً غــزا يلتمس الأجر والذكر؛ ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول الله ﷺ: «**لا شــيء له**». ثم قــال: «**إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصاً وابتغي به وجه الله**»[1].

• يقول العلامــة عبد الكريم المــدرس رحمه الله رئيس رابطــة العلماء في العراق.. والمــدرّس في مسجد الشيخ عبد القــادر الكيلاني في بغداد: «أخشى ألا أثاب على تدريسي؛ لأن التدريس أصبــح بالنسبة لي طبعاً وجِبِلَّة وحُبّاً، حتى إني لا أستطيع مفارقته!».

رحم الله الشيخ.. ما أدَقَّ نظَرَه! وما أشَدَّ تحرِّيَه في نيته!..

إنه ورعُ الكبار من العلماء الربانيين..

ودرسٌ لنا بالغٌ في تحري النية.. والتدقيق في خفاياها ومتاهاتها!..

• رأى الفُضَيلُ بن عِيَاض ابنه يَمْسَحُ كفَّةَ الميــزان بِطَرَفِ ثَوْبِهِ.. فسأله: لماذا تفعل ذلك؟ فقال الولدُ: حتى لا أَزِنَ للمسلمين غُبَارَ الطَّرِيق!..

فبكى الفضيل وقال: إنَّ عَمَلَكَ هذا يا بُنَيَّ أَفْضَلُ عِنْدي مِن حَجَّتَيْنِ وعُمْرَتَيْنِ!..

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه النسائي (٦/٢٥) في الجهاد، وقال الأرناؤوط: سنده حسن، انظر: جامع الأصول (٢/٥٨٤).

الليلة ٨٩٧

ما الحِكْمَة؟ (١)

• ماذا تفعل حين يحلّ بك بلاء عظيم.. يزلزل عقلك ويهز كيانك؟..

تظن أنه نهاية العالم.. وتسودُّ الدنيا في عينيك..

وتضيق عليك الأرض بما رحبت.. فتلجأ في النهاية إلى الله مرغماً ذليلاً.. فليس لديك بديل آخر..

هو البديل الوحيد.. هو الباب الأخير..

أُغلقت كل الأبواب إلا بابه..

وأظلمت الدنيا كلها... إلا نوره..

فما لنا إلا الدعاء والصبر..

• تقول إحداهن: كانت لي صديقة.. تحدثني عن مشاكل أم زوجها معها.. وكيف أنها كانت تكيد لها.. وتثير قلب زوجها عليها.. بقصص وهمية حول نواياها وتصرفاتها معها.. ومع ذلك فلم تكن لتردَّ لها الصاع صاعين.. ولم تقطع علاقتها بها لترتاح من إساءاتها.. بل كانت دائماً هي المبادرة بالإصلاح.. هي الصابرة المحتسبة..

بل الأدهش من ذلك أنها كانت تحمد الله وتشكره على كل حال..

وهذا ما يذكّرنا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فرغـم أن المصيبة عظيمة.. وأن الآيـة كانت تتطلـب أن تنتهي بقوله: «وسيجـزي الله الصابريـن».. إلا أنهـا جاءت بقولـه: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾..

فلماذا قال تعالى: الشَّاكِرِينَ، وليس الصابرين؟..

يقول الدكتور فاضل السامرائي: «سيجـزي الله الشاكرين معناها: سيثيب الثابتين على دين الإسلام الذين لم ينقلبوا على أعقابهم.. أي: صبروا.. فثبتوا.. فشكروا.. فالشكر مرحلة بعد الصبر وأعـمّ منها.. صبروا على المصيبة وثبتوا فشكرهم الله على صبرهـم وثباتهم.. لأن الشكر اقتضى الصبر وزيادة».

وهو ما يعني أن **أعلى مراتب الصبر عند الله هو الشكر..**

وقد يكون من الصعب الصبر على المصيبة.. ولكـن الله يعِدُ الصابرين والشاكرين بالأجر العظيم.. وهنا يأتي قوله ﷺ: «**إنما الصبرُ عند الصدمةِ الأولى**»[1].. فيكون الصبر في أولى اللحظـات.. بمثابة الانحناء لهبوب العاصفة.. حتى تهدأ الأمور وتسكن الرياح..

• والعطاء قد لا يكون إكراماً.. والمنع ليس حرماناً..

إنما العطاء ابتلاء.. والحرمان دواء..

ونحن نفرح بالعطاء.. وننسى أنه ابتلاء..

ونسخط من الحرمان.. وننسى أنه دواء..

* * *

(١) رواه البخاري.

الليلة ٨٩٨

ما الحِكْمَة؟ (٢)

• ثم تأتي فترة التأمل.. والتفكر.. لماذا؟ ما الحكمة؟..

فخلف كل شيء يواجهك في الحياة.. تختبئ رسالة مبطنة من الله إليك..

كل ما تواجهه ويمر بك في يومك.. هي رسائل مبثوثة هنا وهناك من الله ﷻ.. توجّهك.. وتصحّح مسارك..

وأكبر مصيبة أن تأتي المصيبة وتفهمها فهماً على خلاف ما أراد الله ﷻ لك..

فتذكَّر أنَّ العطاء قد يكون ابتلاء.. والحرمان دواء..

ولن يحرمك ربك من شيء إلا ليعلِّمك أن الدنيا ما خُلقتْ إلا لتكون ناقصة.. فلا تتعلق بأحد.. لا ببشر ولا حجر.. لا تتعلق بأمك أو أبيك.. ولا بأختك.. ولا بزوجك.. ولا أولادك.. لا بوظيفة ولا منصب.. فكلهم متغيرون.. ولن يبق على حاله أحد إلا الله..

• فيا من تعاني من جامعتك.. أو وظيفتك..

يا من تعانين من زوجك أو حماتك..

يا من تعاني من وضعك وحالتك..

تذكَّر أنه لن تنزل بك المصيبة.. إلا ويرسل الله إليك الرسائل القصيرة هنا وهناك.. ليخبرك حكمته فيها.. وما عليك إلا أن تجمعها لتتشكل لك الصورة الكبيرة.. وفيها الإجابة على سؤالك: لماذا؟ ما الحكمة؟..

فكلما انحرفتْ بوصلتك.. كان العلاج في الحرمان..

وكلما كان تعلُّقك بغيره أكثر.. ورجاؤك من الدنيا أكبر.. كان العلاج في الحرمان[1]..

فلا تطرق إلا بابه.. ولا تستغني إلا به.. بحبه وبرحمته..

أليست هي علاجات تستوجب منا الشكر؟!..

وحينما ينظر إليك ويشفق لحالك.. يقول: عبدي.. لقد ابتعدتَ عني وتحتاج إلى تصحيح مسار وعلاج!..

وبالمقابل ما أشقاك وأتعسك.. لو طردك من رحمته..

فاستدرجك وأغدق عليك من النعم.. فجحدْتها..

فسخط عليك وقصم ظهرك!..

* * *

(١) الأستاذة خلود الغفري: الحكمة خلفها.. (بتصرف كبير)..

الليلة ٨٩٩

«رِحْلَةُ البحثِ عن مَعْنى» (١)

• هذا عنوان كتاب كتبتْه الدكتورة نور محمد علـي البار ـ رحمها الله ـ بعد إصابتها بسرطان الثدي وهي في الثلاثين من عمرها.. أصابها وهي حامل.. وأصـرّت على الاستمرار فـي حملها إلـى أنْ وضعت طفلتها مريم.. امتد المرض لثلاث سنوات.. وانتهى بانتشار السرطان إلى الكبد والعظام حتى وافتها المنية في مايو (٢٠١٥م).

يقول المفكر الطبيب الدكتور وليد فتيحي في تقديمه للكتاب: «إنْ كنتَ تبحث عن قبس من نور تجسَّد في قصــة.. فهاهي لشابة طبيبة مسلمة.. حافظة لكتاب الله.. فافتح قلبك لعلك تجد نــوراً يستيقظ من داخلك.. ويعيد نور الحياة فيك»..

• تقول الدكتورة نور رحمها الله: في هذا الكتاب أشاطر قارئي جزءاً من روحي خلال تجربة فريدة.. تجربة إصابتي بالسرطان وأنا حامل.. حيث يصبح المــوت قريباً جدّاً والخيــارات شائكة.. وحيــث يصبح الإيمان بخالق عظيم مدبر وقادر هو طوق النجاة..

• وتتساءل: **أيــن الحكمة** في أن تتبدل حياتها بهــذه السرعة.. فلا تعود كالسابق أبداً؟.

فتقول: كانت حياتي قبل المرض دوامة.. أسيــر فيها معصوبة العينين.. كنت في السنة الأولى من اختصاص الطب النفسي.. وكان ضغط العمل كبيراً.. كان كل ما أعمله خلال أسابيــع وأسابيع.. هو الذهاب للعمل.. وفي خضم هــذا الركض السريــع.. نسيت مــن أنا وماذا أريــد.. وما

الهدف.. لماذا تركتُ أهلي ووطني وجئت لأتغرّب أنا وزوجي وابني.. فنحن لا نجـد حتى بعض الوقـت لنرى بعضنـا.. وابنـي يتنقّل بين الحضانة وجليسة الأطفال تسع ساعات يوميّاً حتى أعود من العمل..

وتبدأ بشكر الله تعالـى على هذه المحنة فتقـول: أردت أن أكتب إليك يا ربي قبل كل شيء.. لأقول لك: لا أدري حقّاً كيف أشكرك.. ما أعظم هذه النعمة!.. أخذْتنـي من وسط كل الضوضـاء والركض.. لأقف في سكون بين يديـك.. وأنعم بقربك.. فتغمرنـي برحمتك.. وأستعيد لذة مجالستك.. كم من زمن مـرَّ دون علاقة حقيقيـة وإن كنت أصلي لك خمس مـرات!.. كم من زمن مـرَّ والأحداث تُوقف كـل محاولة مني للقرب منك!.. فلا أجد نفسي إلا أغـوص أكثر وأكثر في وحل الغفلة.. فقدَ كلُّ شيء طعمه بدونك.. وصارت كل الألـوان باهتة.. فيا لفرحتي بالمرض الذي أعطاني الفرصة لأترك كل شيء خلفي وأجلس إليك كما كنت قبل سنين.. حقّاً اشتقت إليك..

- ويسألها مَنْ حولها أن تزيد من الدعاء فتقول: رفعتُ يديَّ ربي أسألك الشفاء.. فكان أكثر ما استعذبتُ من دعاء قـول أيوب عليه السلام: «**ربِّ.. إني مسني الضرُّ.. وأنت أرحم الراحمين**».. فما أرقه من سؤال!..

«مسّني الضـرّ».. لم يقل: أهلكني الضرّ.. لم أعـد أحتمل.. قالها مهوناً من شأن البلاء.. وهو يعلـم أنك أعلم به من نفسـه وتعلم كم يعاني.. «ربِّ.. إني مسني الضرّ».. ثم ماذا؟.. أين قائمة الطلبات بإزالة المرض، ثم ردّ الأهل، ثم كذا وكذا؟..

لم يفصّل أيوب.. ولعله استحيى أن يفصّل.. وهو يعلم أن ربّه يعلم كل شيء.. ويعلـم أفضل مخرج لما هو فيه.. كان كـل ما قاله هو.. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]..

• وتناجي ربها قائلة: هذه حالي من الضرّ.. وهــذه حالك من الرحمة.. ولن أريد.. فأنت تعرف كل شــيء.. تشعر بألمي.. ترى حالي.. تعلم ما أحتاج وما يصلح لــي في الدنيا والآخرة أكثر مــن نفسي.. فلماذا أقول أكثر.. الحمد لله.. الحمد لله.. هذا فقط هو ما ينبغي عليَّ ترديده.. لأني ومهما شكرتك.. فلن أشكر نعمة مجالستك..

• وتردف فتقول: وربنا لا يعجزه شيء.. لا يعجزه القضاء على حفنة من الخلايا السرطانية.. لكن السؤال هنا ليس سؤال قدرة بل سؤال حكمة.. هل القضاء عليها هو الخيــر لي في الدنيا والآخرة؟ ومــاذا أفعل ببقية العمر إن عُمّرت؟..

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٠٠

«رِحْلَةُ البحثِ عن مَعْنى» (٢)

• وتقف هنا متسائلة: فإن كنتُ أريد أن أسأله الشفاء وطول العمر.. فعليَّ قبلها أن أسأله أن يجعلني في كل يوم يمدُّ فيه من عمري أحبَّ إليه.. وأنفع لعباده.. وإلا فالرحيل هو الخير الأكبر.

• وتتساءل عن حقيقة الهدف من الحياة فتقول: جاء خبر السرطان.. فصار المستقبل المهني والنجاح الوظيفي آخر همّي.. وصرت أنظر لما وراء ذلك.. ما الهدف من وراء الدراسة والوظيفة؟.. أهو السير إلى الله والوصول إليه؟ وجلب النفع لعباده وجلبهم إليه؟.. جاء خبر السرطان.. فاكتشفت أن القلق على الغد حماقة.. فلا أحد يعلم أيعيش للغد أم لا.. وأنَّ حمْل الهمّ.. والتباكي لثقل الحمل.. من قلة التوكل على رب كريم عظيم.. لا يزيدُ الحِمْلَ إلا ويقوّي الظهرَ!.

• وتقول: ثمة حديث للرسول ﷺ لم يزل يخيفني.. أول من تسعّر بهم النار.. عالم وشهيد ومتصدّق.. أما العالم فيقول: يا ربّ تعلّمت فيك وعلّمت، فيقول له الله: كذبت.. تعلمت ليقال عالم.. وقد قيل.. ألقوا به في النار..

فهذه رسالة لكل المبتعثين وطالبي العلم «والشهادات».. كم منّا من جاء وتغرّب وترك الأهل.. ليتعلّم فيقال: «صاحب شهادة».. «جاء من أمريكة».. «جاء من أوروبة».. وليعود فيتشدّق على العباد بالعبارة الشهيرة: «عندما كنت في أمريكة».. تذكروا.. أول من تسعّر بهم النار!.. وأعيدوا حساباتكم بسرعة..

• وتعبّر عن رضاها بقضاء الله فتقول: لكن الله شاء أن يخرجني من تلك الدوامة.. لأستعدّ وأتجهّز.. فإن كانت النهاية بإذن الله وبكرمه جنّة ونعيماً.. فلماذا أخشى الموت؟.. ولماذا أعيش في قلق إن كانت النهاية اجتماعاً جميلاً بالنبي ﷺ وصحبه وكل أتقياء الأرض؟..

وتردف قائلة: أزال هذا التفكير عني الكثير من القلق.. فلم يَعدْ لدى الأطباء ما يخوّفونني به.. فالخبر الأسوأ لم يعدْ سيئاً.. بل هو بداية لحياة أخرى سعيدة..

• وتستغرب نور حين يستعجل الناسُ العلاجَ ليقضي على المرض بأسرع ما يمكن.. فتقول: أنا لست مستعجلة أبداً.. فإن كانت نهاية هذه المرحلة الشفاء والعودة للعمل ولدوامة الحياة.. فإني أريد أن أتزود أولاً بإيمان راسخ.. وعلم نافع.. قبل أن أعود لحلبة السباق.. وعالم الراكضين.. لأعود بفكر مختلف وعطاء مختلف..

وإن كانت النهاية هي الرحيل.. والعودة لجوار الله.. فإني أريد أن أستعدّ للقائه.. وأتزود للرحيل.. وأتمتع فيما بقي من أيامي برؤية ابني قبل أن أودعه.. فعلام العجلة وهذه ـ في كل الأحوال ـ أيام مميّزة في حياتي لن تعود بعد ذلك أبداً؟!.

• وتدرك أن هذا هو الطريق الأمثل لها فتقول: وأغلى ما في الدنيا عندي.. كان العمل الأكاديمي.. كان الزمالة والطب النفسي.. ولعل هذا الباب لم يكن لي.. رغم قناعتي العقلية أني قد فُصّلت للطب النفسي تفصيلاً.. لكن ربما ليس هذا طريقي إلى الجنة.. ربما يريد الله لي طريقاً آخر أقصر وأنفع وأخلص.. فسبحان مَنْ منَّ عليَّ بالثقة فيه.. وفي كل ما يصنع ويدبّر.. حتى صرت أرى كل دواعي القلق.. وتخويف الأطباء..

ومشاكل الدنيا.. حقيرة صغيرة.. وأرى كل الناس مهما عظمت مكانتهم وقدرتهم «الظاهـــرة» في التأثير على مستقبلـــي وحياتي مجرد «عبيد».. مجرد أقزام صغار.. لا يتحركون إلا بإذن سيّدهم.. رب العزّة والجلال.. فعلام القلق؟.. والأمر كله له وإليه.. وعلام التعلّـــق بالناس.. أَعطَوْا أمْ منعوا.. مـــا دام هو وحده مالـــك خزائن كل شيء.. الصحـــة والرزق.. والعلم والسعادة.. فكلها خزائنه وكلها ملكه وحده»[١]..

• رحمكِ اللهُ يا نور.. فقد كنتِ لنا أستاذة ومعلّمة ومرشدة..

* * *

(١) من كتاب: رحلة البحث عن معنى، للدكتورة نور محمد علي البار رحمها الله.. والكتاب موجود على النت مجاناً فاقرؤوه..

جَنَّةُ الرِّضَا

الليلة ٩٠١

• تَمرُّ برجل فاقدٍ لبصره.. تتعجَّب من ابتسامة تمـلأ وجْهَه.. وعبارات الحمد والرضا يَلهج بها لسانُه.. لا يشكو لأحـدٍ ولا يَضْجَر من حاله.. فتتعجَّب: كم مِن مُبصرٍ يشكو هموم الدنيا ولا يدري قيمة البصر؟!..

وتزور مريضـاً لازَمَ السَّرير لسنوات.. لا يتحـرَّك منه شيء سوى رأْس يحرِّكه يمنة ويسرة.. ولسان ذاكر شاكر..

تَشعر بانشراح صـدْره وتقَبُّله لمرضِه فتتعجَّب.. كـم من معافًى يتحرَّك ويذهب.. ويغدو ويروح.. ومع ذلك يَمقُت حاله.. ويشكو ظروفه!..

وترى عاملَ نظافة تحت أشِعَّة الشمس الحارقة.. يُمارس عمله ويحمد الله..

وترى رَجلاً في سيَّارته المُكَيَّفة.. يشكو من الحرِّ وأشعة الشمس!

وهذا موظف بسيـط.. يأخذ راتبـاً قليلاً.. ولكنَّـه مُنظَّم فـي نَفَقاته.. ويَستهلك حسب حاجته.. شاكرٌ لله.. يتصدَّق مـن ماله مبتغياً وجْه الله.. فيدخر من راتبه!..

وآخَرُ راتبُـه أعلى.. ومَنصبه أكبـر.. يشكو من ازديـاد النفقات.. ونفاذ الراتب في وسط الشهر![1].

• **فما حال الساخط؟..**

يكون حاله مُضطرباً.. ووضعه مُحزناً.. يتقلَّـب بين حُزن وهمٍّ.. وشقاءٍ وتعبٍ.. تراه مُتضجـراً مُتجهِّماً.. إنْ وقَعَ البلاء سَخِـط وتألَّم.. ضاقَت عليه الدنيا بما رَحُبَت.. فقلبه مُظلم دامس.

(١) أ. عبد الله بن محمد بادابود، جنة الرضا (بتصرف).

- قال عمر بن عبد العزيز: «ما بَقِي لي سرور إلّا مواقع القَدَر، قيل له: ما تشتهي؟ قال: ما يقضي الله تعالى».

ومن يعشْ في خوف وقلق.. فلن يكـــون حرّاً أبـــداً.. فالقلِقُ يمارس نشر نشارة الخشب.. ويستسلم لأحزانه وحسراته على ما فاته.. وكان الأوْلى به أن يقول: ما مضى فات، والمؤمَّل غيْبٌ... ولك الساعة التي أنت فيها..

- والمؤمن يطمئن إلى جنب الله.. ويرضى بقضائه..

وصاحب النفس المطمئنة إنسانٌ ذو ثقة بنفسه.. ربَّاها على مرضاة الله.. ولن يتأتى ذلك إلا بترويض النفس الأمارة بالسوء.. فالطريق إلى النفس المطمئنة ليس سهلاً[1].

يقول الرافعي:

«الثقة بالله أزكى أمل..

والتوكل عليه أوفى عمل»..

- تقدَّم شابٌّ فقيرٌ لخطبةِ فتاةٍ.. فَلَمْ يُوَافِق عليه الأب..

بعد ذلك.. تقدَّم شابٌّ غنيٌّ وفاسقٌ، فوافَقَ عليه الأب.. وقال: سَيَهْدِيْهِ اللّهُ!!..

أليسَ الهادي هو الرَّازق؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤].

فَوِّضوا أموركم إلى الله.. فلما قال يعقوبُ: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]..

اختفى يوسف.. وأصيب هو بالعمى..

وحين قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]..

عاد له يوسف وأخوه وعيناه!..

* * *

(١) أحمد السيد كردي، الثقة بالنفس من الثقة بالله (بتصرف).

الليلة ٩٠٢

المِحَنُ لا تَدُوم

• تذكّر دوماً المحن التي فرّجها الله عنك.. لتحمد الله..

ولتعلم أن المحن لا تدوم!..

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر: ٨]..

قد يكون في قلبك وروحك.. من الداء.. والهم.. والقلق.. والخوف.. والضيق.. ما لا يعلمه إلا الله!..

عالج كل ذلك بسجدة تنثر فيها لله كل أشجانك..

فالذاكر لله كثيراً.. والمُسبّح بحمد ربه.. لن تكسره الكربات..

والملتجئ لحمى الرحمن.. لن تُوقفه العثرات..

فهو سائر إلى الله بقلبه.. يعرف طريقه المستقيم..

فالله ﷻ يَرى ويَسمَعُ دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء..

• فقد يصاب الإنسان بأقدار مؤلمة.. ومصائب موجعة.. وربما جزع أو أصابه الحزن.. وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية، والفاجعة المهلكة لآماله وحياته.. فإذا بذلك المقدور منحة في ثوب محنة.. وعطية في رداء بلية..

وكم أتى نفع الإنسان من حيث لا يحتسب!..

ربَّ أمرٍ تتقيه ... جرَّ أمراً ترتضيه

خَفيَ المحبوبُ منه ... وبدا المكروهُ فيه

والعكس صحيح: فكم من إنسان سعى في شيءٍ ظاهره خيرٌ.. واستمات في الحصول عليه.. فإذا بالأمر يأتي على خلاف ما يريد..

والله تعالـــى يقـــول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• وإذا حلَّ لطفُ الله انقلبت النقم نعماً.. وتحوّلت المِحنُ مِنَحاً.. وصار العسر يسراً.. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فكم من محنة كانت في حقيقتها منحة..

وكم من بلاء تجلى بعد ذلك عن نعماء..

فتقدير الله تعالى للمؤمن كله خير..

وكلّ التأخيراتِ في حياتِك هي لحكمة بالغة يَعلَمها الله وحدَه..

فسلِّم أمركَ له.. وثِق به.. ولا تَيئس..

ولا تأسَف على ما مضى وفات..

وتيقّن أن الله سيُعوّضك خيراً.. حتّى تَطيب نفسك..

* * *

الليلة ٩٠٣

هنالِكَ سَتَرى عجائِبَه..

• لا يأس مع الحياة ولا مستحيل..

إنْ كان ظنّك بالله جميلاً.. وأمَلُكَ به كبيراً..

وحتى لو اختفتْ كلُّ الأسباب..

فربك ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]..

وقد ترسم في خيالك أموراً ترجوها.. وتتمنى نوالها..

ولكن.. قد تقف كل الظروف عائقاً ضد تحقيقها..

فتأكد أن قدرة الله لا يقف أمامها شيء..

وأيقنْ أنْ ليس هناك مستحيل.. لأن الله على كل شيء قدير..

وقد ورد ذكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في القرآن في **ثمانية** مواضع، وهي:

١ ـ ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

٢ ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]..

٣ ـ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

٤ ـ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

٥ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل: ٧٧].

٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥].

٧ ـ ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

٨ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر: ١].

• فإذا دعوتَ الله فأحسن الظن به..

يقول أحدهم:

وإني لأدعو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانعُه..

فإذا سُدَّتْ كل الأبواب..

ونفضْتَ يديك من كل الوسائل..

وتعلّق الرجاءُ بالله وحده..

هنالك سترى عجائبه..

* * *

أنتَ مِنَ المُلُوك!

الليلة ٩٠٤

• روى مسلم في صحيحه: أنَّ رجلاً قـال لعبد اللهِ بن عمرو بن العاص: ألسنا من فقراءِ المهاجرين؟..

فقال له عبد الله: ألكَ امرأةٌ تأوي إليها؟..

قال: نعم..

قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟..

قال: نعم..

قال: فأنت من الأغنياء!..

قال الرجل: فإنَّ لي خادماً..

قال عبد اللهِ بن عمرو: **فأنت إذاً من الملوك**»!..

فاحمدوا الله على تلك النعـم.. واسألوه أن يعيدهـا لأولئك المشرّدين والمقهورين.. ويديم نعمة الأمن والأمان في سائر ديار المسلمين..

• ولا تحتاج أن تفقد النعمة حتى تعرف قيمتها..

فقط تأملْ فاقدها.. تظهر لك قيمتها..

اخلُ بنفسك.. وعدّدْ النّعم التي أنعم الله بها عليك..

ستذرف عيناك الدموع دون أن تشعر امتناناً لله!..

يقول أحدهم: قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه.. مع كثرة ما نعصيه..

فلا ندري أيهما نشكر: أجميلُ ما ينشر.. أم قبيح ما يستر؟!..

وقطعة الخبز التي تصلك بدراهم معدودات.. وكثير من الناس فيها من الزاهدين..

زُرعت ثم سُقيت ثم حُصدت..

ثم طُحنت ثم عُجنت ثم خُبزت..

ثم غُلّفت ثم بيعتْ!..

حتى تستشعر عظمة قول النبي ﷺ:

«من أَكَلَ طعاماً فقــالَ: الحمدُ للهِ الَّذي أطعمَني هــذا، ورَزقَنيهِ (مِن غيرِ حَولٍ منِّي، ولا قوَّةٍ)، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ»[1].

لذلك قال العلماء: «**ما من نعمة إلا وسُبقتْ بألف نعمة**»!..

وقيسوا ذلك على نِعَمه التي لا تعدّ ولا تحصى!..

- ومن لم يعرف نعمة الله إلا في مطعمه ومشربه.. فقد قلّ علمُه.. وحضر عذابُه..

فكم من شخص تمنّى لــو أنه يملك مثل سيارتــك وبيتك.. أو مركزك ووظيفتك..

~~وكم من عاطل عن العمل.. وأنت موظف!..~~

وكم من الناس يمشون حفاة.. وأنت تقود سيارتك!..

وكم من الناس ينامون في العراء.. وأنت تنام في بيتك!..

وكم هناك من يتمنى فرصة للتعليم.. وأنت تملك الشهادات!..

~~كم وكم..~~

(١) صحيح ابن ماجه: ٢٦٧٣.

ألم يأنِ لك أن تقول: يــا رب.. لك الحمد كمــا ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك؟!..

- وفي غمرة نجاحاتك.. وبلوغ غاياتك.. وامتلاكك للمال والقوة..

تذكّر أنك وُفّقت لذلك كله.. فلا تنس أن تشكر الله عليه..

وأن تستعد للوقوف غداً بين يديه..

- وأخيراً.. تبسّم سليمانُ لقــول نملة.. وكان ضاحكاً شاكراً لله على تلك النعم.. فلنتعلمْ منــه.. ولنبتسم شكراً لله على نعمائــه.. ولنرسمْ جميعاً ـ على صفحات وجوهنا ـ أروع لوحات الأمل والإيمان..

* * *

الليلة ٩٠٥

وقفاتٌ معَ قصَّةِ يُونُس (١)

• لو ذُكِــرت لنا قصة يونس عليه السلام فــي غير القرآن والسُّنــة.. لم تصدقها العقول!..

• دعا يونس عليه السلام قومه طويلاً..

فأعرضوا عنه.. فتركهم.. قبل أن يأذن الله له..

لأنه ظن أنهم لن يهتدوا!..

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].. يعني أن لن نُضيّق عليه..

كان يتصور يونس أن الله لن يُعاتبه على صنيعه..

ركب البحر في قارب مع مجموعة من الناس..

وفي وسط البحر.. هاجت الأمواج..

قرروا تخفيف أحمالهم.. ونزول بعض رُكابهم..

ثلاث مرات من القرعة.. يظهر فيها اسم يونس!..

فنزل.. إلى مصيره العجيب الذي صار خالداً..

ففي حياتك.. ضعْ قاعدة عامــة.. لن تتغيّر.. أنــك إذا عصيت الله.. أو خالفْته..

فهيّئ نفسك.. لعقوبة.. فــالله تعالى يقــول: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]..

لأن الله يُريد تطهيرك وليس الانتقام منك!..

• والعجيب أن يونس عليه السلام لما رجع من كــرب الحوت.. وجد قومه قد آمنوا بالله!..

فلا تيئس من هداية أحد.. مهما كان مُعرضاً مذنباً..

• وفي حادثة القرعة وثبوت اسم يونس فائدة..

فتشعر في حياتك أحياناً.. أن الله يُريد لك طريقاً.. قد تكرهه نفسك..

ولكنه في النهاية خيرٌ لك!..

• أمرَ اللهُ حوتاً.. من أقصى البحار وعميقها..

أن يبتلع يونس.. ولا يكسر له عظماً.. ولايأكل منه لحماً..

فإذا حفظ الله يونس في بطن الحوت..

فاعلم حينها.. أن الله عز وجل .. قد يبتليك.. ويحميك..

ليرفع لك قدراً.. ويغفر لك ذنباً..

• ولم ينفع يونس في بطن الحوت شيء.. كما نفعه الإيمانُ بالله.. وعمله الصالح..

اجعل لك مع الله زاد.. ينفعك في بطن حوت أحزانك..

فحينما أدرك يونس عليه السلام أنه في مكان.. لا يــراه.. ولا يسمعه.. أحد من الكائنات..

علم يقيناً.. أنه لا ينفع إلا الاستغاثة بالله (وحده)..

وقد تكون في بعض أحوالك غارقاً في ظلمات أحزانك..

فلا يقشع عن قلبك سوادها إلا أنوار الدعاء..

* * *

وقفاتٌ معَ قصَّةِ يُونُس (٢)

الليلة ٩٠٦

• فلما هتف يونس عليه السلام بدعائه المشهور.. سمعت الملائكة تسبيحه..

فقالوا: يا ربنا إنا نسمـــع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبـــة! قال: ذلك عبدي يونس.. عصاني فحبسْته في بطن الحوت في البحر..

قالوا: العبد الصالح! الذي كان يصعـــد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم.

قال: فشفعوا لـــه عند ذلك.. فأمـــر الحوت فقذفه فـــي الساحل[1] ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥] !..

فحين تكون مع الله.. فإن الملائكة تشفع لك..

• تأملوا جيداً في السلاح الذي استعمله يونس.. سلاح عجيب.. وتأثيره رهيب لِما حوى جميلَ الثناء على الله.. والاعتراف بذنبه.. وحُبه لربه..

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

كلمات خلّدها الله.. تُشعّ بالنور.. تروي الظمآن.. وتغيث الملهوف..

اغرسها في قلبك غرساً..

في ضيقك لن ينفعك إلا الله..

وفي عُسرك لن يُغنيك إلا الله..

في رغباتك وأمنياتك.. لن يعطف عليك أحد إلا الله.. فلا تطرق باباً غيره..

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]..

أهل التسبيح.. كتب الله على نفسـه.. أن كربهم لايطول.. وضيقهم لابد يزول..

• الله ربك ورب يونس.. فالذي أعطاه سيُعطيك..

والذي فرّج همّه سيفرّج همك..

والذي أنجاه سيُنجيك..

ولكن قل لله مثل ما قال: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾..

فلن تُصلح أخطاءك.. حتى تعترف بها..

ولن تُغفر لك الذنوب.. حتى تتبرأ منها..

قال يونس: اللهم يا رب إني أدعوك في مكان لم يدعك فيه أحد..

وسجدتُ لك في مكان لم يسجد فيه أحد..

ثم هتف بدعائه.. فشقّت هذه الدعوات حالكَ الظلمات!..

فإياك أن تظن أنَّ لك ذنباً ـ مهما كان عظيماً ـ لن يغفره الله..

أو أن عليك كرباً قاتلاً.. لن يفرّجه الله..

ألقِ حِملك على الله.. سيحملُك ويحملُ حِملك..

• كل واحد فينا له حوتٌ من الأحزان يناسبه..

لكن الذاكر لله كثيراً.. والمُسبّح بحمـد ربه.. لن تكسره الكربات.. ولن تُوقفه العثرات..

فهو سائرٌ إلى الله بقلبه.. أحلامه مُحققة.. وخطواته مُوفقة[1].

❊ ❊ ❊

(١) أ. لافي العوني، تغريدات في قصه يونس عليه السلام (بتصرف).

الليلة ٩٠٧

يا ربّ

• ليس هناك حروف تُستمَدّ منهـا القوة أكثر من حروف أربعة هي: (ي) (ا) (ر) (ب).. (**يا رب**)..

نصدع بها من قلوبنا وجوارحنا.. للمسلمين في كل مكان..

نرفعها إلى قاضي السموات والأرض..

وسنظل نقول: (يا رب) ما دام هناك قلب ينبض..

وما دامت فينا قطرة من دم..

فقولوها من قلوبكم أجمعين..

وافعلوا كل ما تستطيعون.. لإنقاذ المظلومين والمنكوبين من المسلمين في كل مكان..

• ربي! هم يقولون: إن حُلم المظلومين والمضطهدين بعيد..

ولكننا نردد قولك: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

• وعندما تترك أمانة عند أحدٍ تثق به.. ويقول لك: إنها (بعيوني).. تشعر بالأمان..

فبِمَ تشعر عندما يقول لك رب العالمين: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]؟..

• وإذا ضاعت عليكَ فرصة..

واحترقَ قلبك عليها..

فأطفئ لَهيبَ القلب بهذه الآية: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ [القلم: ٣٢].. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١] كلامٌ يشعرك بالطمأنينة والسكينة..

فهو السند القوي لك..

يأخذ بيدك إنْ تعثّرْت..

ويدافع عنك إنْ خُذلْت..

وينصرك ما دمت على الحق المبين..

- وما أروع حسن الظن بالله!..

حين تثق بأن بعد شقائك «سعادة»..

وبعد دموعك «ابتسامة»..

وبعد تعبك «راحة»..

وبعد دنياك «جنة» تدخلها برحمته..

* * *

الليلة ٩٠٨

كيفَ تتعاملُ مع الشَّدائِد؟

• تذكر أولاً أنك لستَ وحدك.. وأن الله لا يقدّر شيئاً إلا لحكمة..

وأنَّ جالب النفع ودافع الضر هو الله.. فلا تتعلّقْ إلا به..

وما أصابك لم يكن ليخطئك.. وما أخطأك لم يكن ليصيبك..

وأن اختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك..

فنحن نَسعَى وَ نَمضِي.. وَ نَتعبّ وَ نَبكِي..

وَ يَبقَى ما اختَارهُ الله هُوَ ﴿ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]..

• وكلما اشتدت المحنة قرُب الفرج..

ولا تفكر فى كيفية الفرج.. فإن الله إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه.. بشكل لا يخطر على بال.. فأحسن الظن بربك..

يقول ابن القيم:

«لو كشفَ اللهُ الغطاء لعبده.. وأظهر له كيف يدبّر له أمره..

وكيف أن الله أكثر حرصاً على مصلحة العبد من نفسه..

وأنه أرحم به من أمه!.. لذاب قلب العبــد محبة لله.. ولتقطّع قلبُه شكراً لله»..

• فوّض أمــرك إلى الله.. فــالله تعالى يقــول: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥]..

تأمل هذه الآيــة.. فتشعر بالطمأنينة والسعــادة.. وعليك بدعاء من بيده

مفاتيح الفَرَج[1].. وقل في نفسك: «الله أكبر»..

فـ«الله أكبر».. كلمتان تريحان كلَّ حزينٍ ومقهور..

«الله أكبر».. طاقةٌ تبعثُ في اليائسِ الأملَ والحبور..

«الله أكبر».. دعاءٌ يقصم من الجبابرة الظهور..

يقول الإمام عبد الرحمن السهيلي في واحدة من روائع الشِّعر الإلٰهي التي تفيضُ بالحب والصَّفاء، والضَّراعة والدعاء:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى وَالمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ (كُنْ) ... امْنُنْ فَإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِفَضْلِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِياً ... الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

• وبعضهم يؤمن أن العين حق.. وينسى أن الله خيرُ الحافظين.. فهذه الآية ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].. قالها يعقوبُ عليه السلام لمّا ضاع منه يوسف.. وتذكّرَ أن الفرقة حلّت بينه وبين ابنه الحبيب..

قال بعض العلماء: فقدَ يعقوبُ ابنه يوسف عليهما السلام أكثر من عشرين سنة تقريباً.. فردّه الذي هو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين..

* * *

(١) د. عمر المقبل، القواعد العشر للتعامل مع الشدائد (بتصرف).

أَيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى

الليلة ٩٠٩

• قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. كم تطمئن النفس وترتاح عندما تقرأ هذه الآية!..

فلن يفلت الظالم من ظلمه.. ولن يضيع أجر من أحسن عملاً..

يقول الطبري في تفسيره: «أيظن ابن آدم أن يُتْرَك سدى؛ أي: أن يُخلَّى مهملاً.. فلا يُؤمَر ولا يُنهى؟»..

ويقول ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير»:

«فإن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم لا يليق بحكمته أن يهمله..

فيجعل الصالحين كالمفسدين.. والطائعين لربهم كالمجرمين..».

• فهل سأل الإنسان نفسه يوماً عن حقيقة حياته؟..

هل خُلق بلا معنى أو دون غاية؟..

هل حقيقة الحياة الأكل والشرب.. والزواج والأثاث.. والترقية والترفيه..

وكل ما فيه ضياع للعمر.. دون رصيد مدَّخر للآخرة؟!..

أم أن هناك ما هو أعظم؟..

أينتهي كل شيء؟!.. أهذا كل شيء؟!..

أيموت الغني غنيّاً والفقير فقيراً؟!..

أيموت المظلوم مظلوماً.. والظالم مُلوَّثة يداه بآلاف البشر قتلاً وسرقةً وقهراً؟!..

أهذه حقيقة الحياة؟!..

أحقيقة الحيـــاة ركضٌ وراء شهرة وشهـــوات.. وتقليد أعمى لكل ساقط ولاقط؟!..

هل حقيقة الحياة وسعادتهـــا ركض وراء الموضـــات.. وإنفاق للأموال على الملذات والشهوات؟!..

أهذه سعادة تخرج بها من دنياك لتلقى بها مولاك؟!..

لا.. لن يُترك الإنسان سدًى.. لن يترك عبثاً..

سيظل الإنسان يشقى بصنيعة يديه.. ويتألم في شكواه مهما ارتفع صوته ضحكاً وقهقهة فارغة..

سيظل في خـــوف مستمر.. يترقب المصائب.. مخفيـــاً ألمه عبر ابتسامة للكاميــرات والفيديو كليبـــات.. ما دام أنـــه بعيد عن الإيمـــان وطاعة الرحمن..

ما دام أنه بعيد عن السجود والقرآن..

• فأبشر يا مظلوم!.. ستوفّى مظلمتك ممن لا يُظلم عنده أحد..

وأبشر يا أيها الظالم.. فالحساب قريبٌ قريب...

يقول ﷺ: «لَوْ أنَّ أهلَ السمـــواتِ والأرضِ اجْتَمَعُوا علـــى قَتْلِ مسلمٍ؛ لكَبَّهَمُ اللهُ جَمِيعاً على وُجُوهِهِمْ في النار»(١).

• ولمَّا قدمَ جعفرٌ مـــنَ الحبشةِ قالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما أعجبُ شـــيءٍ رأيتَ؟» قالَ: رأيتُ امرأةً على رأسِها مِكْتَـــلٌ (سلة من القش) من طعامٍ فمرَّ فـــارسٌ يركضُ.. فـــأذراهُ (أوقعه علـــى الأرض).. فجعلـــتْ تجمعُ

(١) صحيح الترغيب: ٢٤٤٣.

طعامَها وقالَت: ويلٌ لَــكَ يومَ يضعُ الملِكُ كرسيَّــهُ فيأخذُ للمظلومِ منَ الظَّالمِ.. فقالَ النَّبيُّ ﷺ تصديقاً لقولِها: «**لا قُدِّسَت أمَّةٌ ـ أو كيفَ قُدِّسَت أمةٌ ـ لا يؤخَذُ لضعيفِها من شديدِها وَهوَ غيرُ مُتَعْتعٍ**»(١).

فإذا كان هذا في رمي سلة طعام على الأرض.. فكيف بما هو أكبر؟!..

* * *

(١) رواه الذهبي في المهذب (٤٠٧٧/٨) وقال: إسناده صالح.. **تعتع في كلامه**: تردد فيه من عجز..

الثَّباتَ.. الثَّبات!..

الليلة ٩١٠

• عبارة في القرآن تهز الوجدان.. يقول تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]..

فلم يقل: بعد تذبذبها؛ بل قال: بعد ثبوتها!..

يقول الطبري في تفسيره: «وَهَذَا مَثَلٌ لِكُلِّ مُبْتَلًى بَعْد عَافِيَة.. أَوْ سَاقِط فِي وَرْطَة بَعْد سَلَامَة.. فيقال: زَلَّتْ قَدَمه..

كَمَا قَالَ الشَّاعِر:

سَيَمْنَعُ مِنْك السَّبْق إِنْ كُنْت سَابِقاً   وَتُقْتَل إِنْ زَلَّتْ بِك القدمان»

فالحياة فتن.. والثبات صعب!..

• و(الثبات) لا يكون بكثرة الاستماع للمواعظ فحسب.. وإنما يكون (بفعل) هذه المواعظ.. ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۞ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٦٦، ٦٧].

• قيل لأحد العلماء: إن فلاناً انتكس بعد أن اهتدى..

فقال: «لعل انتكاسته من أمرين:

إما أنه لم يسأل الله الثبات!..

أو أنه لم يشكر الله على الاستقامة»..

• فحين اختارك الله لطريق هدايته..

فليس ذلك لتميزك على غيرك..

بل هي رحمة منه شملتك..

وقد ينزعها منك في أي لحظة!..

• يقول الإمــام الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يسأل سائــل: كيف يقول الله تعالى ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [البقــرة: ٢٥٠].. وفي المعركة لا تثبــت الأقدام.. بل تتطلب الحرب من المقاتل أن يكون صوّالاً وجوّالاً..

فمعنى ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ إذن يعني «لا تجعلنا نفرّ من أرض المعركة أبداً»..

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في أي منطقة.. وفي أي معركة..

وعلينا ألا نبرح أماكننا.. لأننا ساعــة أن نبرحها فهذه أول هزيمة.. وهذا أمر يُجَرِّئ العدو علينا.

في فرنسا نيشان يسمونه «نيشان الذبابة»!..

لمــاذا الذبابة؟ لأن الذبابــة إن طردْتَها عن مكان لا بــد أن تعود إليه.. فكذلك المفــروض على القائد ـ ما دام انسحب مــن منطقة ـ أن يوطّن نفسه على العودة إليها.. فيعطوه نيشان الذبابة[1].

• قال تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]..

فكلمة ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ هي حيثية.. فما داموا قد قالوا: ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فهم إذن مؤمنون ومؤمنون بحق..

ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول قولته المشهورة:

«إنكم تنتصرون على عدوكم بطاعة الله..

فإن استويتم أنتم وهم في المعصية..

غلبوكم بعُدتهم وعَددهم»..

* * *

(١) تفسير الشعراوي.

أَرُوني مَنْ يَستطيع!

• أروني من يستطيع ردَّ مشيئة الله تعالى عندما يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦]..

أروني من يستطيع إطفاء النور الإلٰهي مهما أرادوا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]..

أروني من يستطيع تكذيب هذا الوعْد الإلٰهي: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]..

أروني من يستطيع انتزاع هذا الإرث: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]..

فأبشروا يا من استُضعفتم في الأرض.. فسيجعلكم الله أئمة.. ويمكّن لكم في الأرض.. وهذا وعد الله.. ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧]..

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٢]..

• قال رجل لأحد الحكماء: إن لي (أعداءً)!..

فقال له: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

فقال الرجل: ولكنهم (يكيدون) لي!..

فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

قال الرجل: ولكنهم (كثيرون)!..

فقال له: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

• وعندما تكون في موقف عصيب.. أحسنْ الظن بالله..

وفي لحظاتك الهادئة.. اذكر الله..

وحين تكون في يأس شديد.. ثقْ برحمة الله..

وفي كل الأوقات.. استغفر الله..

يقول ابن مسعود رضي الله عنه:

«إن الله سيغفر يوم القيامة مغفرة لا تخطر على قلب بشر.. حتى يظن إبليس أن الله سيغفر له!»..

فاستغفروا الله يغفر لكم.. فالله يغفر الذنوب جميعاً إلا أنْ يُشرَك به..

وتذكروا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

* * *

الليلة ٩١٢

أَمَّنْ يُجيبُ المضْطَرَّ إذَا دَعَاه (١)

• قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].. فالمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله.. يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء..

وعندما تتخاذل القوى.. وتتهاوى الأسناد.. وينظر الإنسان حواليه.. فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص.. وكل ما كان يعدُّه لساعة الشدة عنه تخلّى.. وكل من كان يرجوه للكربة عنه تولّى..

عندها تستيقظ الفطرة.. فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة.. ويتجه الإنسان إلى ربه.. ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء..

فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه..

هو وحده دون سواه.. يجيبه ويكشف عنه السوء.. ويردُّه إلى الأمن والأمان..

• وبعض الناس يغفلون عن الله تعالى في ساعات الرخاء..

فيلتمسون النصرة والحماية في قوة من قوى الأرض الهزيلة..

ولكن حين تُلجئهم الشدة.. ويضطرهم الكرب.. تزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة.. ويرجعون إلى ربهم منيبين.. مهما كانوا من قبل عنه غافلين..

ولو خلق الله ضِيقاً دون سعة.. وكرباً دون فرج.. وحزناً دون سرور.. ما طاب عيش لمخلوق!..

ولكنه جعل بعد العسر يسراً.. وبعد الشدة فرجاً وبِشراً.. فاطمئن واستبشر!..

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى	ذَرْعاً وعندَ اللهِ منها المَخْرَجُ
ضاقَتْ فلمَّا استحكمتْ حَلَقَاتُها	فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفْرَجُ

تذكّر دوماً المحن التي فرّجها الله عنك.. لتحمد الله.. ولتعلم أن المحن لا تدوم!.. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر: ٨]..

وكل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر.. إلا المُصيبة فإنها تبدأ كبيرة ثم تصغر.

- **وإذا** نزلت بالمرء المصيبة؛ فــإن أول علاج لحلها أن يسترجع ويقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]..

فالرسول ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبــه مصيبة، فيقول ما أمر الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهم اؤجرني فــي مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها...**».

تأنَّ وفكر في الأمــر ولا تستعجل في اتخاذ القــرار.. فربما تغير رأيك غداً.. خاصة مع هدوء النفس وانطفاء الغضب..

وما إن يطرق سمعك كلمة المصيبــة، إلا ويأتي في الكفة الأخرى كلمة الصبر.. وقد أعد الله ﷻ للصابرين أجــراً عظيماً: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**»(١).

والصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب..

- ولا يظن أن المصائب في الأمور العظيمة كالموت والطلاق مثلاً.. بل كل ما أهمَّك فهو مصيبة.. فقد انقطع شسع نعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسترجع وقال: كل ما ساءك مصيبة..

* * *

(١) رواه مسلم.

أَمَّنْ يُجيبُ المضْطَرَّ إذَا دَعَاه (٢)

الليلة ٩١٣

• أحسن الظن بالله ﷻ وأن الفرج قريب، وأن مع العسر يسراً..

يُروى أنه لَمَّا عَاتَبَ اللهُ نُوحاً فِي ابْنِهِ، فَأَنْزَلَ: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، بَكَى ثَلاثَمِئَةِ عَامٍ، حَتَّى صَارَ تَحْتَ عَيْنَيْهِ أَمْثَالُ الْجَدَاوِلِ مِنَ الْبُكَاءِ.

يقول ابن الجوزي: «ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار..

فآدم عليه السلام يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا..

ونوح عليه السلام بكى ثلاثمئة عام..

وإبراهيم عليه السلام يكابد النار وذبح الولد..

ويعقوب عليه السلام بكى حتى ذهب بصره..

وموسى عليه السلام يقاسي فرعون ويلقي من قومه المحن..

وعيسى عليه السلام **ابن مريم** لا مأوى له إلا البراري والعيش الضنك فيها..

ومحمد ﷺ يصابر الفقر، وقتل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه.. ولو خلقت الدنيا للذة لم يكن حظ المؤمن منها»[1].

وإذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها فكتمانها من نعم الله ﷻ..

يقول ﷺ: **«من البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة»..**

قال **الأحنف**: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتُها لأحد..

(١) محمد شمس الدين المنبجي، تسلية أهل المصائب.

وقال **شقيق البلخي: من شكا مصيبة به إلى غير الله**.. لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً.

ويقال: «من إجلال الله، ومعرفة حقه: أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك».

• لما تأيمت حفصة بنت عمر رضي الله عنهما عرضها أبوها على أبي بكر رضي الله عنه فلم يجبه بشيء، وعرضها على عثمان رضي الله عنه فقال: بدا لي ألا أتزوج اليوم.. فوجد عليهما وأنكر (أي: دخله حزن وكدر) وشكا حاله إلى النبي ﷺ فقال: «**يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة**» ثم خطبها فزوجه عمر، وزوج رسول الله ﷺ عثمان بابنته رقية بعد وفاة أختها.

• ومن أسوأ المشاكل ظهوراً المشاكل العائلية.. فتجد الزوجة إذا وقع بينها وبين زوجها أمر من الأمور.. اشتكته إلى أهلها وذمت الزوج بأمور لا دخل لها في المشكلة.. وعددت معايبه القديمة والجديدة حتى يكرهه أهلها وإخوانها.. وعندئذ تنقطع حبال الوصال ويحصل النفور.. حتى وإن وُجد حلٌّ للمشكلة.. ظلت تلك الترسبات التي نطق بها اللسان.. تؤثر على مستقبل العلاقة مع الزوج!.. ادفع بالتي هي أحسن ولا تصعّد المواقف، وكم من امرأة عاقلة عاملت زوجها الغاضب بالإحسان والهدوء فإذا به يرجع إليها.

• لا تكبّر من حجم المصيبة.. فبعض الناس إذا ألمَّتْ به مصيبة أظلمت الدنيا في عينيه.. وحسب أنها نهاية الدنيا.. وقد يكره الإنسان أمراً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦].

❊ ❊ ❊

الليلة ٩١٤

واللهُ غالبٌ على أمْرِه

• كان أحدهم يبكي حزناً على ما ألمّ بأمّتنا وأصاب إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها..

فإذا بصاحبه يقول له: علام البكاء والنحيب؟..

فقال: على الدين!..

فأجاب: لا تحزن على الدين.. فالله ناصره ومؤيده.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١]؟!..

فقال: أبكي على المقتولين غدراً وظلماً..

فأجاب: هم شهداء عند ربهم يرزقون: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]..

فقال: أبكي على الجرحى والمكلومين.. والمسجونين ظلماً وعدواناً..

فأجاب: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(١)..

فقال: أبكي على الأرامل واليتامى..

فأجاب: الله يتولاهم: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]..

فقال: أبكي على من فقد البنين والأحباب..

---

(١) رواه البخاري.

فأجاب: ألم تسمع قول منزل الكتاب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]..

فقال: أبكي لِتَمَكُّن أهل الباطل وبطشهم بأهل الحق..

فأجاب: ألم تسمع قول رب العباد: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧]..

فامسح دموعك وثق بموعود ربك.. وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]..

• قال الصبر: يا رب! خلقتَ من كل شيء زوجين اثنين.. وخلقتني وحيداً!..

فقال له: اذهب فأنا معك..

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال ٤٦].

* * *

الليلة ٩١٥

آلامٌ وَآلام..

• قد نرضى أن نعيش.. ونحن نحمل الألم طوال الحياة..

ولكن هل يرضى الألم بأن يعيش معنا عندما نرضى به؟..

ألسنا نسمع في كل يوم أشياء عجيبة.. تجد أحدهم في مصيبة فتسأله: أليس لك أب أو أخ.. أو أهلٌ أو أقرباء؟..

فيقول: أسرتي مفككة وممزقة.. كل واحد مشغول بنفسه..

وليس عجباً أن يرتمي البعض من هؤلاء في أحضان الشياطين.. فيقع في المخدرات.. أو تقع الفتاة فريسة لذئب من الذئاب البشرية.. بعد أن ضيعهم أهلهم وأهملوهم..

• يقول أحد الفضلاء: جاءتني امرأة في الستين من العمر تطلب الطلاق بعد سبع وثلاثين سنة من الزواج!..

وعندها من الأولاد تسعة!.. خمسة من الذكور وأربع من الإناث!..

وعندها من الأصهار أربعة ومن زوجات البنين ثلاث!..

وعندها من الأحفاد عشرة!..

أما السبب فإنها لم تستطع أن تتفاهم معه!..

فقال لها: هلا انتظرتِ بضع سنوات.. لعل الله يفصل بينكما بوفاة أحد الزوجين؟..

فأجابت: لم أعد أحتمله.. ولا أستطيع التفاهم معه!..

وهنا تنطلق تساؤلات وتعجبات..

ـ ألم يستطع أحد الزوجين أن يخفض جناحه للآخر؟..

ـ ألــم يستطيعا ـ بعد كل هذا العمــر ـ أن يجدا نقاطــاً مشتركة يسيران عليها في حياتهما؟..

ـ ألم يستطع كلٌّ منهما أن يبتعد عما يزعج الآخر؟..

ـ ألم يتدخل الأولاد والبنات والأصهار في إصلاح ما بينهما؟..

• ولكن.. أليس العديد من أفراد المجتمع المسلم يشبه هذه الأسرة الممزقة؟..

يبغض بعضهم بعضاً.. ويحسد بعضهم بعضاً..

يتهم البعض منا أخاه.. ولا يرى للآخر عليه فضلاً..

يظن أحدهم أن الإسلام بدأ عنده.. ولربما فكر بأنه سينتهي عنده أيضاً[1]!..

ونسي أن الإسلام أمر بالاعتراف للآخرين بالفضل والمعروف..

ألم يقل رسـول الله ﷺ: «**إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياءِ مِـن قبلي، كمَثَلِ رجلٍ بنى بيتـاً، فأحسَنه وأجمَلـه إلَّا موضِعَ لبِنـةٍ من زاويـةٍ، فجعَلَ النَّاسُ يطوفونَ به، ويعجَبـونَ له ويقولون: هلَّا وُضِعَت هـذه اللَّبِنةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ**»[2].

فانظر كيف اعتــرف الرسول الكريم بالبناء كامــلاً.. ولم يحقر شيئاً من هذا البناء..

إنما جاء مكملاً له ومتمماً.. وأنه مجرد لبنة.. ولبنة واحدة فقط!..

أليس كل مسلم حلقــة من سلسلة حلقات.. فلا بـد أن يعترف بالحلقة التي قبله.. ويمسك بالحلقة التي بعده.. حتى تصبح هذه الحلقات متينة البنيان فـ«**المُؤْمنُ للمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشدُّ بعْضُهُ بَعْضاً**»[3]..

* * *

(١) م. عبد اللطيف البريجاوي، ألم وآلام (بتصرف).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

لَوْلَا الله

• لولا الله «**العفوّ**»..

لقنطتِ القلوب.. ويئس المذنبون.. وأظلمت الدنيا في وجوههم..

- ولولا الله «**اللطيف**»..

لكانت المصائب من دون ثواب.. لكنــه جعل على البلاء أجراً عظيماً.. حتى الشوكة يُشاكها المؤمن فيؤجَر..

- ولولا الله «**الواسع**»..

لضاقت بنا الدنيــا.. وضاق الناس بعضهم من بعــض.. ولكن الله وسّع على عباده فلم يكلّفهم فوق طاقتهم..

- ولولا الله «**المُجيب**»..

لما اطمأنتْ نفوسنا ونحن ندعوه.. ونشكو إليه ما ألمَّ بنا وحلّ..

- ولولا الله «**الحليم**»..

لأهلكتْنا الذنوب.. لكن حلمه علينا عظيم.. ورحمته بنا من غير حدود..

- ولولا الله «**الرحيم**»..

ما تراحم العباد ولا أشفقوا.. ولما ضمّتْ أمٌّ ابنها وهو لها عاق!..

- ولولا الله «**الواحد الأحد**»..

لتشتَّتَتْ قلوبنــا عند المخلوقين.. لا ينفعنا منهــم أحد.. لكنه هو الرب المقصود..

ـ ولولا الله «**الحفيظ**»..

لطاشت القلوب والعقول خوفاً على أنفسنا وأهلينا..

لكنه الحفيظ نستودعه أحبّتنا.. ونحن عليهم مطمئنون..

ـ ولولا الله «**الستّير**»..

لما جالَسنا أحدٌ.. ولما أحبّنا أحد..

لكنه الستير.. يستر القبيح وينشر الجميل..

• يقول الإمام الغزالي:

«العَفُوُّ: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.. وهو قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه..

فإن الغفران ينبئ عن الستر.. والعفو ينبئ عن المحو..

والمحو أبلغ من الستر».

سألتُ ربي خمساً من أمانينا
فقلْ بعدهنَّ بصدق القلب آمينا
أمناً وأماناً لأوطاننا وأهلينا
وشفاءً لمرضانا فعافهمْ وعافينا
ومن النار بُعداً ورحمةُ الله تنجينا
وتفريجاً لكل همٍّ ورزقاً على الأيام يكفينا
ورشفةً من الهادي (ﷺ) على الحوض يسقينا

* * *

كيفَ تَنْسَى المَاضِي؟!

• لعل كثيراً من الناس مَنْ يسأل نفسه هذا السؤال: كيف أنسى جراح الماضي؟..

فكلما تذكَّر المرءُ ما مرَّ به من ألم وويلات.. تفجرتْ بداخله مشاعرُ مؤلمة مدمّرة..

ولعلك تشعر أن هذا الألم لن يزول مهما مرَّت الأيام... فهو منقوش في الذاكرة بمبضع الغضب والاستياء!.

فلماذا تعاقبُ نفسَك بإحياء تلك الأحداث والمواقف كل يوم.. وتعيد إلى النفس بؤسها وآلامها.. وما فيها من تأثيرات قاتلة!.

ما مضى مضى.. ولن ترجع عقارب الساعة ولو ثانية للوراء!.

وما تملكه هو «اليوم فقط».. فحتى مستقبلك لا تعلم ما إذا ستحياه أم لا.

فتعلَّم أنك تستطيع القضاء على ما يؤلمك بالنسيان..

• ولكي تنسى يجب أن تصفح..

وليس معنى الصفح أن تنسى الشخص أو الحدث الذي مررت به في حياتك وآلمَك..

ولكن المقصود أن تنسى مشاعر الألم والمعاناة.. وجلد الذات..

مارس الصفح لأن الله غفور رحيم.. فسامحْ إخوتك في الله..

وكلما سامحتَ ورحمـــتَ.. غفر الله تعالى لك معاصيــك الكثيرة بمنّه وفضله.. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

التمس لأخيــك سبعين عذراً.. فجعفر بن محمد يقــول: «إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكــره.. فالتمس له عذراً واحداً إلــى سبعين عذراً.. فإن أصبْته.. وإلا.. قل: لعل له عذراً لا أعرفه»!.

ابــدأ بنفسك واصفــح... فعندمــا ترفض الصفــح.. فأنــت لا تعاقب الآخرين.. بل تعاقب نفسك.. فمَــنْ أغضبَك هزَمَك.. يقول ﷺ: «**ليس الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ الناسَ، إنَّما الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نفسَهُ**»[١].

• فانفض اليوم عن نفسك تراب السنين.. وانسَ آلام الماضي.. وضمّدها بالصفح والغفران.

جرّب اليوم أن تصفح.. لتدرك أن الآخرين لا يستطيعون إفساد حياتك.. أو تعكير صفوك[٢].

القرار لك.. فلا تعاقب نفســك بعد اليوم.. بخسارة كــل ما تجنيه من الصفح والنسيان..

فاليوم كســرتَ قيودك وقيود مَــنْ أساء إليك بعفوك عنــه.. فلا تسجن نفسك في زنزانة آلامك مرة أخرى...

فمن يزرع حبّاً يجد حبّاً..

ومن يزرع شوكاً يجْنِ الألم والجراح..

❊ ❊ ❊

(١) صحيح الترغيب: ٢٧٥٠.

(٢) د. أماني محمد، كيف تنسى وتودع الماضي؟ (بتصرف).

الليلة ٩١٨

لَيْتَني لم أَرْتَكِبْ هذا الخطأ

• ينكسر الزجاج.. ويختفي الصوت بسرعة!..

وتبقى قطعُ الزجاج تجرحُ من يلمسها..

كذلك الكلام الجارح ينتهي..

ويبقى القلبُ يتألمُ طويلاً..

يقول الشاعر يعقوب الحمدوني:

وقد يُرجى لجُـرْح السيفِ برْءٌ   ولا بــرءٌ لمـا جَـرَح اللِّسـانُ

جراحـاتُ السِّنـانِ لهـا التئـامٌ   ولا يلتـامُ مـا جَـرَح اللسـانُ

الاعتذار الحقيقي ليس في كلمة «أنا آسف»..

بل يكمن في شعورك الحقيقي «ليتني لم أرتكب هذا الخطأ في حقك»!..

عوّد نفسك على الاعتـذار لإخوانك.. فقد قال ابـن المبارك: «**المؤمن يطلب معاذير إخوانه.. والمنافق يطلب عثراتهم**»..

فما أحلاه من موقف شجـاع.. حينما يأتي الاعتـذار بتسامُح الألسنة.. بكلمات معطرة لحياة القلوب..

فكم يَشدُّنا العناد فـي قبول الاعتذار.. وتُقيّدنا الجـراح في عدم مبادلة الصفح بحلم أكبر منه..

ولكن ما جدوى هذا العناد؟..

ليس فيه إلا تضخيم آلام الأحداث.. فيكبر الحقد والكره ليس إلا..

• والخير لمن يبدأ بالسلام..

وفي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم.. يقول ﷺ:

«**وإنما يَرحَمُ اللهُ من عِبادِهِ الرُّحَماءَ**»..

فإذا رأيت من نفسك رقة وليناً لعباد الله.. فأبشر بالخير..

فإن هذا عنوان على رحمة الله إياك!..

وإن رأيت عكس ذلك.. فعالج نفسك.. وعوّدها على الرحمة..

وصدق رسول الله ﷺ الذي يقول: «**الراحِمونَ يرحمهم الرحمنُ.. ارْحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).

• نحن في زمن لو قيل للحجر كن إنساناً لاعتذر وقال: أنا لست قاسياً بما يكفي..

ونحن في زمن تستحيي الوحوش أن تفعل ما تفعله كائنات تدّعي أنها بشر!..

يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيبُ فينا ... وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانا
وَلَيسَ الذِئبُ يَأكُلُ لَحمَ ذِئبٍ ... وَيَأكُلُ بَعضُنا بَعضاً عَيانا

يقول رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ اللهَ**»(٢).

عاتب اللهُ نبيّاً أحرق نملاً بسبب نملة قرصته.. فكيف بمن أحرق البشر؟!..

* * *

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

الليلة ٩١٩

مَتَى تَسْقُطُ كرامتُك؟

• تسقط كرامتُك إذا ارتفع صوتُك على مَنْ تعبوا في تربيتك!..

• يقول أحدهم: جاءني مرة قريبٌ لنا وأمي المسنّة جالسة عندي..

فلما دخل قال: ما شاء الله!.. الوالدة عندك؟ (يقصد: في البيت).

فقلت: لا.. أنا عندها! (من باب الإكرام لها)..

فقالت الوالدة: لا يا بنيّ.. عندما كنتَ صغيراً كنتَ عندنا..

ولكن لما كبرْنا صرنا نحن عندك.. ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]..

يقول الابن: كأني لأول مرة أسمع هذه الآية!..

• فكل شيء في الوالدين يضعف مع تقدم السن ورقّة العظم..

إلا عاطفة الأبوة والأمومة.. فلا تزداد إلا قوة!..

فاحذروا أن تطفئوا هذه العاطفة ببرودة مشاعركم..

ـ لا ترهقوا آباءكم بعصيانكم لندائهم..

فدمعة واحدة تجري على خدّ أمّ أو لحية أب متحسّر.. كفيلة بإغراقكم في ظلمات الحياة!..

ـ إذا خاطبت أحد والديك.. فاخفض صوتك ولاتقاطعه.. واستمع جيداً حتى ينتهي كلامه.. وإذا احتجت إلى النداء على أحد والديك.. فلا ترفع صوتك أكثر مما يسمع! ولا تكرر النداء عليه إلا لحاجة..

ـ لا تنادهما بأسمائهما، بل (يا أبتِ، يا أمي) حتى لو كانا كافرين.. قال إبراهيم ﷺ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢].

ـ لا تخرج من البيت إلا بعد أن تتأكد أنهما لا يحتاجان إليك.

ـ إذا خرج أحد والديك من البيت لعمل أو مهمة فقل لأمك: «في حفظ الله يا أمي».. ولأبيك: «أعادك الله لنا سالماً يا أبي»..

ـ احفظ أسرار والديك.. ولا تنقلها لأحد.. وإذا سمعت عنهما كلاماً يكرهانه فردّه.. ولا تخبرهما به حتى لا تتكدر نفوسهما أو تتأثر..

ـ اتصل بهما بالجوال عندما تكون بعيداً عنهما.. واحذر من التقصير في حق والديك.. فان عاقبة ذلك وخيمة..

ـ كن باراً بهما فإنهما عن قريب راحلين.. وحينئذ تعض أصابع الندم ولات ساعة مندم.

ـ أكثِرْ من قول: «**ربِّ اغفر لي ولوالديّ رب ارحمهما كما ربّياني صغيراً**»..

فإنها تجمع بين ثلاث عبادات: الدعاء.. والبرّ.. والاستغفار!..

* * *

لِمَاذَا تَبْكي النِّسَاء؟

• سأل الولدُ أمَّه: لماذا تبكين؟..

فقالت: لأني امرأة!..

فقال الولد: أنا لا أفهم هذا!..

فاحتضنتْه وقالت: ولن تفهمَهُ أبداً!..

ثمّ سأل أباه: لماذا تبكي أمي بلا سبب؟..

فأجابه: جميع النساء يبكين بلا سبب!..

كبُر الولد وأصبح رجلاً.. وما زال يجهل لماذا تبكي النساء!..

وفي النهاية سأل أحدَ الحكماء: لماذا تبكي النساء؟..

فأجاب الحكيم: البكاء آية من آيـات الله عز وجل مثله مثل الحياة والموت.. فهو القائل سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۞ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۞ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۞﴾ [النجم: ٤٣ ـ ٤٥] فهـو سبحانه الـذى خلق البكاء وسبب دواعيه..

• وعندما خلق الله المرأة جعـل لها أكتافاً قويـة.. لتحمل عليها أحمال الدنيا.

وجعل لها ذراعين حنونتين.. تمنح بهما أطفالها الراحة والطمأنينة..

وأعطاها قوة داخليـة.. لتحتمل ولادة الأطفال.. وتحتمـلَ رفضهم لها عندما يكبرون!..

وأعطاها صلابة.. لتحتمل أعباء أسرتهــا.. أمراضهم ومتاعبهم.. وتعتني بهم.. وتبقى صامدة في أحلك الظروف ودون تذمّر..

وأعطاها الله القوة لتستمر عندما يتخلى عنها الجميع..

وأعطاها محبــة لأطفالها لا تنتهــي.. ومن دون شــروط.. حتى عندما يجرحونها بعمق..

وأعطاها القوه لتحتمل أخطاء زوجها.. وتبقى بجانبه بدون ضعف..

وأخيراً أعطاها الدمــوع.. لتذرفها عنــد الحاجة.. تُطفئ بهــا الهموم.. وتواصل رحلة الحياة..

فاحترموا دموع نساء العالم جميعاً.. حتى وإن كانت بلا سبب!..

• وإنْ كنا لا نحتمل دمعــة صديق مقرّب.. فكيف لنــا أن نحتمل دمعة أم؟!..

فإن رأيتَ أمك يوماً تبكي.. فاقترب منها وخففْ عنها..

لا تدعْ نفسك تقول لك: دعْها تبكي فأنت لستَ السببَ..

بل لا تتركها حتى تجد الابتسامة قد عادت إلى محياها..

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٢١

دِينٌ ودَيْن!

• شاب يهجر والده لأتفه سبب.. وفتاة تسبُّ أمها لأنها منعتْها من الخروج.. وآخر يتجاوز ذلك بالضرب والتعدي على أمه أو أبيه!..

ـ وكثير من أبناء اليوم.. في تأفف وضجر.. وإظهار للسخط وعدم الرضا.. بل بعضهم يهرب من أبيه عند كبره.. ولا يزوره إلا مرة في الشهر..

ـ وربما عق أحدهم والديه من أجل إرضاء صديق له.. أو أبكاهما من أجل سفرةٍ أو قضاء متعة.

ـ والبعض يسمع كلام زوجته في أمه وأبيه.. فهي التي توجهه وتحدد علاقته بهما سلباً أم إيجاباً..

ـ **ومن العقوق:** أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب.. أو يتعاظم عن تقبيل يدي والديه.. أو لا ينهض لهما احتراماً وإجلالاً..

فمن قال: أفٍّ؛ فقد عقّ والديه.. فكيف بمن قال أعظم من ذلك؟!.. وكيف بمن قاطعهما أو أساء إليهما؟!.

ـ وهو أكبر الكبائر بعد الشرك بالله.. كيف لا وقد قرن الله برّهما بالتوحيد فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

ـ جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه فقال: يا رسولَ اللهِ إنِّي جئتُ أريدُ الجِهادَ معَكَ أبتغي وجهَ اللهِ والدَّارَ الآخرةَ، ولقد أتيتُ وإنَّ والديَّ ليبكِيانِ.. قالَ: «**فارجع إليْهما فأضحِكهما كما أبكيتَهما**»[1].

(١) صحيح ابن ماجه: ٢٢٦٠.

ـ فكل معصية تؤخر عقوبتها بمشيئة الله إلى يوم القيامة إلا العقوق.. فإنه يعجل له في الدنيا، وكما تدين تُدان.

• **وبر الوالدين** من أفضل الأعمال.. فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة في وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[1].

ـ وهو سبب من أسباب مغفرة الذنوب.. فالله تعالى يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥] إلى أن قال في الآية التي بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

ـ وسبب في زيادة العمر.. فالرسول ﷺ يقول: «**مَن سَرَّه أن يُمَدَّ لهُ في عُمرِه، ويُزادَ في رِزقِه؛ فَلْيبرَّ وَالدَيه، ولْيصِل رَحِمَه**»[2].

ـ وسبب في حصول مبرة الأبناء لمن بر والديه.. فالرسول ﷺ يقول: «**بِرُّوا آباءَكم تبرَّكم أبناؤُكم، وعِفُّوا تعفَّ نساؤُكم**»[3].

• **فبرُّ الوالدين دِينٌ ودَيْن..**

فالأولى: تأخذك إلى الجنة..

والثانية: يردُّها لك أبناؤك..

* * *

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الترغيب: ٢٤٨٨.

(٣) الترغيب والترهيب (٢٩٤/٣) وإسناده حسن.

عندَما تَرَاه مُمدَّداً!

الليلة ٩٢٢

• الأب هو سند أولاده ومرجعهم وقدوتهم.. يعرّفهم واجباتهم والتزاماتهم..

هو منبع الحنان في بيته وأصل الصلاح.. وهو روح الحياة..

وهو النور الذي يضيء حياة أطفاله..

والأب هو الشخص الوحيد الذي لا يحسد ابنه على موهبته..

وليس هناك فرح أعظم من فرح الابن بمجد أبيه.. ولا أعظم من فرح الأب بنجاح ابنه..

• وعندما يوبّخك أبوك.. فهو لا يكرهك..

وعندما يضغط عليك بنصائحه.. فهو يتمنى لك الأحسن..

وعندما تراه ينظر إليك صامتاً.. فهو يفكر في مستقبلك..

وعندما يُنفق عليك رغم حاجته للمال.. فاعلم أنه يحرم نفسه...

وعندما تراه يتنهد.. فربما تكون أنت السبب...

وحين تراه يضحك لك.. فاعلم أنك أنت من أسعده..

وعندما تراه قاسياً عليك قليلاً.. فاعلم أنك لا تتبع نصيحته...

وحين ترى نفسك ضائعة تائهة.. فقد يكون غاضباً عليك...

وعندما تراه ممدداً على الفراش لا يتكلم.. فاعلم أنك خسرت سنداً عظيماً.. ووقعتَ في فراغٍ لا تملؤه الذكريات..

• يقول رسول الله ﷺ: «**الوالدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ؛ فإن شئتَ فأضع ذلِكَ البابَ أوِ احفظْهُ**»[١].

أَطِــــعِ الإِلَــــهَ كَــمَــا أَمَــرْ وَإِمْــــلأْ فُــــؤَادَكَ بِـالـحَـذَرْ
وَأَطِــــــعْ أَبَـــــاكَ فَــإِنَّــهُ رَبَّـــاكَ مِــنْ عَــهْــدِ الـصِّـغَـرْ

• اكسب طاعة ابنك بطاعة والديك.. فلا يُغلَق أمامك باب إلا ومفتاحه ببرّ والديك..

يقول محمد بن سيرين:

«من مشى بين يدي أبيــه ـ أي: أمامه ـ فقد عقّــه.. إلا أن يمشي يميط الأذى عن طريقه..

ومن دعا أباه باسمه فقد عقّه، إلا أن يقول: يا أبت»..

• وإذا كانت الأمومة هي الحنان.. فالأبوّة ـ بإذن الله ـ هي الأمان..

وإذا جَعلك والداك أميراً مُدلّلاً في صِغرك..

فَاجْعلْهُم مُلوكاً في كِبرك..

* * *

(١) صحيح الترمذي: ١٩٠٠.

دَعْوَةُ أَب

• يروي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُـوفُ مَعَ أَبِي حَوْلَ الْبَيْتِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، وَقَدْ رَقَـدَتِ الْعُيُونُ، وَهَدَأَتِ الأَصْـوَاتُ، إِذْ سَمِعَ أَبِي هَاتِفاً يَهْتِفُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ شَجِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ ... يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفْدُكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا ... وَأَنْـتَ عَيْنُكَ يَـا قَيُّومُ لَـمْ تَنَمِ
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ جُرُمِي ... يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لا يُدْرِكُهُ ذُو سَرَفٍ ... فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

قَالَ: فَقَالَ أَبِي: يَا بُنَيَّ، أَمَا تَسْمَـعُ صَوْتَ النَّادِبِ لِذَنْبِهِ، الْمُسْتَقِيلِ لِرَبِّهِ؟ الْحَقْهُ فَلَعَلَّ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ. فَخَرَجْـتُ أَسْعَى حَوْلَ الْبَيْتِ أَطْلُبُهُ، فَلَمْ أَجِدْهُ حَتَّى انْتَهَيْـتُ إِلَى الْمَقَامِ، وَإِذَا هُـوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقُلْـتُ: أَجِبِ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَوْجَزَ فِي صَلاتِهِ وَاتَّبَعَنِي، فَأَتَيْتُ أَبِي، فَقُلْتُ: هَذَا الرَّجُلُ يَا أَبَتِ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: مِمَّنِ الرَّجُلِ؟ قَـالَ: مِنَ الْعَرَبِ. قَالَ: وَمَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مُنَازِلُ بْنُ لاحِقٍ. قَالَ: وَمَا شَأْنُكَ؟ وَمَا قِصَّتُكَ؟..

قَالَ: وَمَا قِصَّةُ مَـنْ أَسْلَمَتْهُ ذُنُوبُهُ، وَأَوْبَقَتْهُ عُيُوبُهُ، فَهُـوَ مُرْتَطِمٌ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا. فَقَالَ لَهُ أَبِي: عَلَيَّ ذَلِكَ، فَاشْرَحْ لِي خَبَرَكَ..

قَالَ: كُنْتُ شَابّاً عَلَى اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ لا أُفِيـقُ عَنْهُ، وَكَانَ لِي وَالِدٌ يَعِظُنِي كَثِيراً، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ احْـذَرْ هَفَوَاتِ الشَّبَابِ وَعَثَرَاتِـهِ، فَإِنَّ للهِ سَطَوَاتٍ وَنَقَمَاتٍ، مَا هِيَ مِـنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيـدٍ، وَكَانَ إِذَا أَلَحَّ عَلَـيَّ بِالْمَوْعِظَةِ

أَلْحَحْتُ عَلَيْهِ بِالضَّـــرْبِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ أَلَــحَّ عَلَيَّ بِالْمَوْعِظَةِ، فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبــاً، فَحَلَفَ بِاللهِ مُجْتَهِــداً لَيَأْتِيَنَّ بَيْتَ اللهِ الْحَــرَامِ، فَيَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَيَدْعُو عَلَيَّ، فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحُجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا ... عُرْضَ الْمَهَامِهِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعُدِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَــنْ لا يُخَيِّبُ مَنْ ... يَدْعُوهُ مُبْتَهِــلاً بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
هَذَا مُنَــازِلُ لا يَرْتَدُّ عَــنْ عُقَقِي ... فَخُذْ بِحَقِّي يَا رَحْمٰنُ مِنْ وَلَدِي
وشِــلَّ مِنْهُ بِحَــوْلٍ مِنْــكَ جَانِبَهُ ... يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُولَــدْ وَلَمْ يَلِدِ

قَالَ: فَــوَاللهِ مَا اسْتَتَــمَّ كَلامَهُ حَتَّى نَزَلَ بِــي مَا تَرَى، ثُمَّ كَشَــفَ عَنْ شِقِّهِ الأَيْمَنِ، فَإِذَا هُوَ يَابِسٌ. قَالَ: فَأُبْتُ وَرَجَعْتُ، وَلَمْ أَزَلْ أَتَرَضَّاهُ، وَأَخْضَعُ لَهُ، وَأَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي إِلَى أَنْ أَجَابَنِي أَنْ يَدْعُوَ لِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي دَعَا عَلَيَّ.

قَالَ: فَحَمَلْتُهُ عَلَى نَاقَةٍ عُشَرَاءَ، وَخَرَجْتُ أَقْفُو أَثَرَهُ حَتَّى إِذَا صِرْنَا بِوَادِي الأَرَاكِ طَــارَ طَائِرٌ مِنْ شَجَــرَةٍ، فَنَفَرَتِ النَّاقَــةُ، فَرَمَتْ بِهِ بَيْــنَ أَحْجَارٍ، فَرَضَخَتْ رَأْسَهُ، فَمَاتَ فَدَفَنْتُهُ هُنَاكَ، وَأَقْبَلْتُ آيِساً، وَأَعْظَمُ مَا بِي مَا أَلْقَاهُ مِنَ التَّعْيِيرِ، أَنِّي لا أُعْرَفُ إِلا بِالْمَأْخُوذِ بِعُقُوقِ وَالِدَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَبْشِرْ فَقَدْ أَتَاكَ الْغَوْثُ، فَصَلَّــى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَكَشَفَ عَنْ شِقِّهِ بِيَدِهِ، وَدَعَا لَهُ مَرَّاتٍ يُرَدِّدُهُــنَّ، فَعَادَ صَحِيحاً كَمَا كَانَ، وَقَالَ لَهُ أَبِي: لَوْلا أَنَّهُ قَدْ كَانَ سَبَقَتْ إِلَيْكَ مِنْ أَبِيكَ فِــي الدُّعَاءِ لَكَ بِحَيْثُ دَعَا عَلَيْكَ لَمَا دَعَوْتُ لَكَ.

- قَــالَ الْحَسَنُ: وَكَانَ أَبِــي يَقُولُ لَنَا: احْــذَرُوا دُعَاءَ الْوَالِدَيْــنِ، فَإِنَّ فِي دُعَائِهِمَا النَّمَاءَ وَالانْجِبَارَ، وَالاسْتِئْصَالَ وَالْبَوَارَ[1].

(١) كتاب التوابين، لابن قدامة.

الليلة ٩٢٤

الأبناءُ خَمْسَة

• **الأبناء خمسة:**

الأول: لا يفعل ما يأمره به والداه.. فهذا (عاقّ)..

والثاني: يفعل ما يُؤمَر به.. ولكن يُتْبعه بالمنّ والتأفّف.. فهذا (يأثم)..

والثالث: يفعل ما يُؤمَر به وهو كاره.. فهذا (لا يؤجر والله أعلم)..

والرابع: يفعل ما يُؤمر به عن طيبة نفس.. فهذا (يُؤجَر).. وهم قليل..

والخامس: يفعل ما يريده والداه.. قبل أن يأْمرا به.. فهذا (بارٌّ موفق).. وهم نادرون..

ولا تسأل عن بركة أعمار الصنفين الأخيرين.. ولا عن سعة أرزاقهم وانشراح صدورهم.. أو تيسير أمورهم.. فـ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]..

• وتذكّر دوماً أن برّ الوالدين ليس مناوبات روتينية.. تتقاسمها بينك وبين إخوتك.. بل هي مزاحمات على أبواب الجنة!..

فأيّ الأبناء أنت؟..

• قُطع حبلُك السريّ لحظة خروجك للدنيا..

وبقي أثره في جسدك..

ليذكّرك دائماً بإنسانة عظيمة..

كانت تغذيك من جسدها!..

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى عليها، فقيل له في ذلك.. فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

• ثم قل لي: من أحق بالبر؟..

هذه الأم المسكينة هي سبب وجودك.. حملتك في بطنها تسعة أشهر.. وكابدت آلام وضعك.. سهرتْ ونمتَ.. وتألمتْ لآلامك.. وسهرت لراحتك.. وحملت أذاك وهي غير كارهة.. فإذا عقلتَ ورجتْ منك البر عققتها؟

أيها العاق.. لا تغتر بحلم الله عليك.. فإنك مجزي بعملك في الدنيا والآخرة.

• يقول العلماء: كل معصية تؤخر عقوبتها بمشيئة الله إلى يوم القيامة إلا العقوق.. فإنه يعجل له في الدنيا.. وكما تدين تدان.

وَاخْضَعْ لأُمِّكَ وَارْضِهَا   فَعُقُوقُهَا إِحْدَى الكُبَرْ

• إحساس رائع أن ترى نظرة الرضا على وجه أمك وأنت تقبّل يدها.. ودعاؤها لك يخترق طبلة أذنك فيرقص قلبك له طرباً.

• مرض أحد التّابعين فلمّا زارته أمّه قام فلبس وتأنّق كأنْ لمْ يكنْ به بأس..

فلمّا خرجتْ سقط مغشيّاً عليه..

فسئل عن ذلك فقال: إنّ أنين الأبناء يعذّب قلوب الأمّهات!.

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٢٥

فَتشُوا عَنِ المرأةِ الصَّالِحَة

• المرأة التي قالت: «آلله أمرك بهذا؟ اذهب فلن يضيّعنا الله»..

هي مَنْ أنجبتِ الولد الذي قال: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

هذا هو توريث اليقين بالله..

ففتشوا عن المرأة الصالحة...

• وزواج الرجل بالمرأة لجمالها.. كشرائه بيتاً لجمال واجهته فقط..

لم يحب أحدهم مشيةَ زوجهِ بالكعب العالي فهمس لها «حبيبتي.. أشفقي على قدميك فهي جنة أبنائي»..

فلمْ ترتديه بعد ذلك..

زوج مهذب.. وزوجة تقدّر..

فالمرأة العاقلة تضيف السكّر في كل حديثها لزوجها.. وتنزع الملح من كل ما يقوله لها.

• يقول الشيخ علي الطنطاوي:

«أنا من مدمني النظر في آداب الأمم كلها، ولا أحصي القصص التي قرأتها لكبار الأدباء.. في موضوع الزواج الذي يُبْنى على الحب.. كلها انتهت بالشقاق والفراق.. فلا تغتروا بأمثال آلام فرتر ورفائيل وماجدولين وبول وكرازبيلا وجوسلان والأجنحة المتكسرة..

فهذه كلها صور لمرحلة الرغبة التي تكلمت عنها.. ولو تزوج كل واحد من أبطالها بالتي يعشقها زواج حب فقط لكانت خاتمة القصة الطلاق..

لا.. لا يصح أن يُبنى الزواج على الحب وحده..

إلا إن صَحَّ أن تبنى العمارة الضخمة على أساس من الملح في مجرى الماء..

إنما يُبنى الزواج على التوافق في الدين والتفكير والسلوك وحتى الوضع الاجتماعي والحالة المالية..

وبعد هذا كله تأتي العاطفة.. فينظر إليها وتنظر إليه.. أي: ينظر إلى وجهها وكفيها فقط بحضور وليها أو أحد محارمها.. فإن ألقى الله في قلب كل منهما الميل إلى الآخر صار هذا الميل مع الزواج حبّاً هادئاً مستمرّاً..

وإن أحسا نفرة أو عزوفاً أغنى الله كلاً منهما عن الآخر»[١]..

- فمن تزوج للجمال فقط، تلاشى الوفاء في علاقته عند فقد الجمال.

ومن تزوج للمال فقط، ضاع الوفاء مع فقد المال.

لكن من كانت الأولوية عنده في هذا العقد الدين والخلق.. مراعياً قول خير البرية ﷺ: «**فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَداكَ**»[٢].. وقوله: «**إذا جاءَكم مَن ترضَونَ دينَه وخُلقَه فأنكِحوهُ، إلَّا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ**»[٣].. فحريٌّ بهذا أن ينعم بالوفاء والهناء..

* * *

(١) الشيخ علي الطنطاوي، من حديث النفس.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح الترمذي: ١٠٨٥.

الليلة ٩٢٦

خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهْلِه (١)

• الآيات والأحاديث التي تُثبت «القوامــة».. وترتب درجة للرجال على النساء واضحة:

- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤]..

- ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ [البقرة: ٢٢٨]..

- «**كلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رعيَّتِه**»[١]..

- «**كفَى بالمرءِ إثماً أنْ يُضَيِّعَ منْ يقوتُ**»[٢]..

- ~~«**إنما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**» **فمن منا يرضى أن يكون لئيماً؟!..**~~

• أما كيفيتها فنجدها في تطبيق النبي محمد ﷺ القائل: «**خيرُكُم خيرُكم لِأهْلِه، وَأَنَا خيرُكم لِأَهْلِي**»[٣].

قالها ﷺ وعاشها، فما ضرب خادماً، ولا سأله عن شيء فعله لِمَ فعلته، أو عن شــيء لم يفعلــه، لِمَ لــمْ تفعله.. فمــا بالك بزوجاتــه أمهات المؤمنين.. وقد صدر عنهن أحياناً مــا يدعو إلى «التأديب».. فما ضرب رسول الله ﷺ بيده إلا في سبيل الله.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع: ٤٤٨١.

(٣) صحيح الجامع: ٣٣١٤.

• ولا يمكــن فهــم «القوامــة» إلا فــي إطــار مفهــوم ودور «الرعاية» و«المسؤولية» التي أرشد إليها حديث: «**كلكم راعٍ**».

فالقوامة: حكمة وخبرة وغفران وتغــاضٍ.. لا حماقة وخفة.. ومناطحة وتقريع!..

والكبير يتورع عن الخوض فــي الصغائر.. فلا ثورة بسببها.. ولا غضب منها..

والكبير يسكت في غير عجز.. ويتغاضى فــي غير ضعف.. ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.. ويمنح من بســط وجهه وحسن خلقه ما لا يستطيعه ضيّقُ الصدر أو لئيم الطباع..

فالبعض يكرر: «**لــو كنتُ آمِراً أحداً أن يسجدَ لأحــدٍ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها**»[1]، وينسى أو يتناسى قولــه ﷺ: «**إنَّ مِن أكملِ المؤمنينَ إيماناً أحسنَهم خُلقاً وألطفَهم بأهلِهِ**»[2].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً ذلك: «أي: من يعاملهن بالصبر على أخلاقهن.. وطلاقة الوجه والإحســان.. وكف الأذى وبذل النــدى.. وحفظهن من مواقع الريــب.. ولهــذا كــان المصطفى ﷺ أحســن النــاس معاشرة لعياله»[3]..

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في ذلك تنبيه على أعلــى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به.. هو من كان خير النــاس لأهله.. فإن الأهل هم الأحقاء بالبِشْر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضر.. فإذا

---

(١) صحيح الجامع: ٥٢٩٤.

(٢) تخريج مشكاة المصابيح، وقال: حديث حسن.

(٣) فيض القدير (٢/٩٧).

كان الرجل كذلك فهو خير الناس.. وإن كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشــر.. وكثيراً ما يقع الناس فــي هذه الورطة.. فترى الرجل إذا لقي أهله كــان أسوأ الناس أخلاقــاً.. وأشحهم نفساً.. وأقلهم خيــراً.. وإذا لقي غيــر الأهل مــن الأجانب لانــت عريكته.. وانبسطت أخلاقــه.. وجادت نفسه.. وكثر خيــره.. ولا شك أن من كان كذلك فهو محــروم التوفيــق.. زائــغ عن ســواء الطريــق.. نسأل الله السلامة»[1].

* * *

(١) نيل الأوطار (٢٦٠/٦).

خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهْلِه (٢)

• وفي الحديث كمال خلق النبي ﷺ، الذي لم تُغفله أعباء الرسالة وأمور الأمة عن رعاية أهله.. فالقيام بحق الأهل من التعبد لله تعالى.. فذلك من الواجب الشرعي عليك.

وإذا نويتَ بذلك إسعاد أهلك وإكمال حاجياتهم قربة إلى الله فأنت مأجور.. كان بعض السلف يقول: والله إني **لأتقرب إلى الله بإخراج القمائم من بيتي**.. لأن النية تجعل العادة عبادة..

وفيه الرد على من زعم أن عمله اليومي.. والدعوة إلى الله.. أو طلبه للعلم.. يمنعه من القيام بحق أهله.. فهذا جهل وعدم بصيرة.. فالنبي عليه الصلاة والسلام أكثر الناس شغلاً.. كان يدعو الناس.. ويستقبل الوفود.. ويعلِّم الناس أمور دينهم.. ويجهز للمعارك والغزوات.. ويعود المرضى.. وتأخذ الجارية بيده إلى أعالي المدينة ليقضي حاجتها.. وعلى الرغم من انشغالاته الدائمة ﷺ فإنه كان يخصف النعل.. ويحلب الشاة.. ويكون في خدمة أهله..

أما إهمال البيوت وتضييع الأولاد بدعوى عدم وجود الوقت.. فهذا مأزور وليس بمأجور.. فالسبب كثيراً ما ينجم عن الفوضوية في استغلال الوقت.. والفوضوية في ترتيب المشاغل.. فأعطِ كل ذي حقه.

• روي: أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه ليشكو إليه خلق زوجته، فوقف

ببابه ينتظره، فسمع امرأتـه تستطيل عليه بلسانهـا، وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف قائلاً: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي؟!..

فخرج عمـر فرآه مولياً فناداه: مـا حاجتك؟ فقال: يـا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك خلـق زوجتي واستطالتها علـي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كـان هذا حال أميـر المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟!..

فقال له عمر: يـا أخي إنـي احتملتها لحقـوق لها علـي؛ إنها طباخة لطعامي، خبازة لخبـزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولـدي، وليس ذلك بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أحتملُها لذلك.. فقال الرجل: يا أمير المومنين وكذلك زوجتي. قـال: فاحتملْها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة»[1].

• سئل الشيخ ابن عثيمين: ما حكـم الزوجة التي ترفع صوتها على الزوج في أمور حياتهـم الزوجية؟ فأجـاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «نقول لهـذه الزوجة إن **رفع صوتها على زوجها من سـوء الأدب**.. وذلك لأن الزوج هو القوام عليها.. وهو الراعي لها.. فينبغي أن تحترمه وأن تخاطبه بالأدب.. لأن ذلك أحرى أن يؤدم بينهمـا وأن تبقى الألفة بينهمـا.. كما أن الـزوج أيضاً يعاشرها كذلك.. فالعشـرة متبادلة.. فالله تعالى يقـول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]».

• وقد لحظ المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن هناك بعـض المنغصات ربما تحدث بين الزوجيـن، فنبه على ذلك ليسد بـاب البغض فقـال: «**لا يفرِكنّ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر**»[2].

---

(١) ابن حجر الهيتمي في كتابه: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٥٠).

(٢) رواه أحمد ومسلم.

فلا وجــود للبغض.. بل حــب وتسامح من قبل الزوجيــن.. ولا داعي للمنغصات فإن وجد شيء منها فلا بــد من إزالته.. وذلك بالرجوع إلى العهد الذي بينهما: عهـد المودة والرحمة.. عهـد المحبة والاستقرار.. فالمشاحنات اليومية.. والخلافات المستمرة لا وجود لها بين زوجين.. أحبا بعضهما حبّاً خالصاً في الله لا تشوبه شائبة.

* * *

الليلة ٩٢٨

استِثْمارُكَ الأمثلُ هو (أولادُك)..

• أبناؤك وبناتك رياحين عمرك.. وشعاع الأمل الذي ينير مستقبلك.. فاحرص على غمرهم ببحر حنانك.. وعاملهم بحب وود واحترام.. فابتسامة عطف منك ستشعرهم بالأمان.

• ولنجاح استثمارك في أولادك وبناتك تذكّر ما ورد عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يصلي في الليل وابنه الصغير نائم.. فينظر إليه قائلاً: «من أجلك يا بنيّ».. ويتلو وهو يبكي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

أين نحن من هذا الصحابي؟! يقوم الليل وينوي بركعاته وسجوده التقرب إلى الله عز وجل بصلاح ابنه..

فالله يحفظُ العبدَ بصلاحه بعدَ موته في ذريَّته كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾..

• فكثير من الآباء والأمهات يبذلون جهوداً كبيرة في تربية أبنائهم وإصلاحهم.. ويسيطر هذا الهاجس في إصلاح الأبناء على فكر وعقل أغلب الآباء والأمهات إن لم يكونوا كلهم.. لكن كثيراً من الآباء يركن إلى بعض الأسباب المادية.. ويغفل عن كثير من الأسباب الخفية التي قد يكون لها أثر عظيم في صلاح الأبناء؛ مثل: الدعاء، والكسب الحلال، والأمانة، وبر الوالدين.. وغيرها.

• يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة.. بشفاعته فيهم.. ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقرّ عينه بهم»..

• ومن أجمل من استشعر هذا المعنى **سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «لأزيدنَّ في صلاتي مِنْ أجلِك، رجاءَ أنْ أُحْفَظَ فيكَ».. يريد بذلك أن يصل إلى مرتبة الصالحين، فينال بصلاحه صلاح أبنائه من بعده.

ـ وهذا **والد الإمام البخاري** يقول عند موته: «والله لا أعلم أني أدخلت على أهل بيتي يوماً درهماً حراماً أو درهماً فيه شبهة».. فجاء حديث الرسول الصحيح مجموعاً على يد ولده «محمد بن إسماعيل البخاري» أصح الكتب بعد كتاب الله.

ـ **أما عمرُ بن عبد العزيز** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيقول:

«ما من مؤمن يموتُ إلَّا حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبه»..

ـ وكان **محمد بن المنكدر** يقول لولده: «والله يا بني إني لأزيد في صلاتي ابتغاء صلاحك». فانظر كيف كان فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقضية صلاح الذرية.. فعلِمَ ما هو الشيء النفيس الذي يكتنزه لولده.. حتى ينفعه فيما هو مقبل عليه من الأيام..

لقد أدرك ابن المنكدر الطريق فهل نبصره نحن؟.

• نعم هذه هي الوصفة السحرية لصلاح أبنائنا.. فإذا كان الوالد صالحاً وعلاقته بالله قوية.. حفظ الله له أبناءه بل وأبناء أبنائه!..

* * *

الليلة ٩٢٩

أرجوكَ يا أبِي لا تقلْ لِي..

• ولد صغير يقول لوالده: **أرجوك يا أبي لا تقل لي**: (**إن شاء الله**)!..

لأنك إن قلتها.. فمعناها أنك لن تُحضر لي ما أريد!..

لا تفسدوا هذه الكلمة الجميلة في أذهان أبنائكم..

• ومهما بلغ أبناؤك من السوء في نظرك..

فلا تُرِهِمْ إحباطك في تربيتهم واستسلامك..

ـ استعن بالله في تهذيب سلوكهم..

وادعُ لهم في كل حين.. ولا تعجز!.

ـ وعند بكاء أولادك أو غضبهم..

تأكد أن أفضل طريقة لتهدئتهم هي «حَضْنُهم»..

دون كلام أو نقاش أو عتاب..

فقط حضنٌ هادئ.. فله أثر عجيب!..

ـ وإذا لم تستطع شرح فكرتك لطفل عمره ست سنوات..

فهذا يعني أنك أنت لا تفهمها..

ـ اقضوا بعض وقت مع أولادكم.. كل منهم على حدة.. مارسوا رياضة المشي مع آخر.. أشعروهم بأنكم تقدرون كل واحد منهم.

ـ ابنوا داخلهم ثقتهم بنفسهم بتشجيعكم لهم.. وتقديركم لمجهوداتهم..

وليس فقط تقدير النتائج..

ـ احتفلوا بإنجازات اليوم.. فأقيموا مأدبة غـــداء خاصة لأن ابنكم فلان حصل على درجة جيدة في الامتحان.. وأشعروا كلّاً منهم أنكم مهتمون به.. وبأحداث حياته.. حتى لا تثيروا الغيـــرة بين أبنائكم.. فتنشأ بينهم العداوة بدلاً من التحابب..

ـ علّمي أولادك التفكير الإيجابي.. فمثلاً بدل أن تعاتبي ابنك لأنه رجع من مدرسته وجلس على مائدة الغداء وهو متسخ.. قولي له: «يبدو أنك قضيت وقتاً ممتعاً في المدرسة اليــوم.. أليس الأجمل أن نجدد نشاطنا بأن نغير ثيابنا؟!»..

ـ أخرجي ألبوم صور أولادك وهم صغار.. واحكي لهم قصصاً عن هذه الفترة التي لا يتذكرونها.. وذكريهم بشيء قد تعلّمته منهم.

ـ اجعلي أطفالــك يختارون بأنفسهــم ما يلبسونــه.. فتريهم كيف أنك تحترمين قراراتهم..

ـ اعرفي جــدول أولادك.. ومدرِّسيهم وأصدقاءهــم.. حتى لا تسأليهم عندما يعودون من الدراسة بشكل عام: «ماذا فعلتم اليوم؟».. بل تسألين ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت المدرّسة فلانة؟ فتشعر البنت أو الولد أنك تتابعين تفاصيل حياته وتهتمين به.

ـ وعندمــا يطلب منــك ابنك أن يتحــدث معــك لا تكلميه وأنت مشغولة في شيء آخر.. كالأم عندمــا تحدّث طفلها وهي تطبخ.. أو وهي تنظر إلى التلفاز.. ولكن أعطي تركيــزك كله له.. وانظري في عينيه وهو يحدثك.

ـ شاركهم في وجبة الغداء ولو مرة واحدة في الأسبوع.. وعندئذ تتبادل أنت وأولادك الحديث عن أحداث الأسبوع..

ـ أسمعْ طفلَك بشكل غيــر مباشر وهو غير موجود.. (كـأن ترفع نبرة صوتك وهو في حجرته) حبك له وإعجابك بشخصيته.

ـ عندما يرسم أطفالك رسومات صغيرة.. ضعهـا لهم في مكان خاص في البيت وأشعرهم أنك تفتخر بها.

ـ لا تتصرفي مع أطفالك بالطريقة التي كـان يتصرف بها والداك معك دون تفكير.. فإن ذلك قد يوقعك في أخطاء مدمرة لنفسية ابنك.

ـ احضني أولادك وقبليهم وقولي لهم كل يوم: إنك تحبينهم..

* * *

الليلة ٩٣٠

لا تكمُّوا أفْوَاهَ الأطْفَال!

• من الأهمية أن يعرف الوالدان كيف يتجاوبان برفق وحزم في آن واحد مع مشاعر الولد.. كما ينبغي أن تكون معاملة الوالدين ثابتة على مبادئ معينة.. فلا تمدح اليوم ابنك على شيء زجرته بالأمس على فعله.. ولا تزجرة إن عمل شيئاً مدحتــه بالأمس على فعلــه.. ولا ترتكب أبداً ما تنهى طفلك عن إتيانه..

• ولا يمكن للتربيــة أن تتم دون حُب.. فاحرصــوا على حب أطفالكم ولكن بحكمة.. وليس معنى الحب أن يستولي الأطفال على الحكم في البيت أو المدرســة.. فإن حبَّ رسول الله ﷺ لأصحابــه.. لم يمنعه من تكليفهم بالواجبات وسوقهم إلى ميدان الجهاد..

• وانتبهــوا أيها الآبــاء والأمهــات إلى ضــرورة التقليل مــن التوبيخ الأوتوماتيكي وغير الضروري.. فالطفل ليس آلة نديرها حيثما نشاء..

ـ استمعوا إلى أطفالكم.. دعوهم يعبِّــرون عن مشاعرهم وأحاسيسهم.. ساعدوهم على تنمية شخصيتهم.. وإطــلاق مواهبهم.. وأحيوا الثقة في أنفسهم..

ـ لا تستعملوا كلمــات مثل: «اسكت يا ثرثار».. «كفــاك هراءً».. «كفاك شيطنة وصخباً»[1]..

(١) حسان شمسي باشا، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟.

• تروي الدكتورة نــور محمد علي البــار رحمها الله قصــة ابنها في المصعد فتقول:

«مع ابني في المصعــد تصعد معنا سيدة.. تطلب مــن ابني ذي الأربع سنوات أن يضغــط على الرقم الــذي تريده فيفعــل.. فتشكره بحماس وتثني على ذكائه.. ويبقى هو صامتاً..

حتى تصل للطابق الــذي تريده ويفتح بــاب المصعد.. ثــم يبدأ ابني بالحديث..

أتعلميــن.. اليوم كان عيــد ميلادي.. وقــد احتفلتْ به «مــس لينزي» معلمتــي.. وحصلت علــى الهدايا.. وأخــذ يقص عليهــا تفاصيل عيد ميلاده.. والسيدة تقف على باب المصعــد، وتمنعه من أن يُغلَق بيدها، وتستمعُ بكــل ذوق لحكاية ابنــي.. انتهى من كلامــه فهنَّأتْه على عيد ميلاده.. وتمنتْ له ولي يوماً سعيداً وانصرفتْ..

تأملتُ ما حدث وتخيّلتُ لو حدث هذا في بلادنا.. لو كانت سيدة على وشك الخروج من المصعد ثم بدأ طفــل بالكلام.. هل كانت ستقف له وتُعطِّل المصعــد وتنتظر لتسمع قصته حتى لا تحرجــه.. لأنها تحترمه كإنسان؟!.

تخيلتُ لو حدث هذا فــي بلادنا، وأكاد أجزم أن أحــداً لم يكن ليقف ليستمع لهراء طفل، ثم تأملتُ أكثــر.. فأيقنتُ أنه ما من طفل في بلادنا سيتحدث مع غريب بهذه الأريحية والثقة.. لأنه في بلادنا يُلقّن الأولاد أن السكوت هــو الفضيلة.. وأن التحــدث إزعاج.. فتــرى الأطفال إن حاولوا الكــلام لا يعطون أي أذن صاغية، أو يطلــب من الإخوة الأكبر أخذهم بعيداً لأنهم «يسببون الإزعاج»!.

لم نتعلم منذ صغرنا أن من حقنا أن نُحترم.. أن يكون لنا رأي وأن نعبِّر عنه.. وجاءت مدارسنا لتعزز هذا المفهوم.. فيكون **الطفل النموذجي هو الطفل الصامــت** الهادئ الذي **لا يناقش ولا يجــادل ولا يسمع صوته..** فأين هذا من احتــرام الإنسان الذي أراه هنا فــي أمريكا.. حيث تخجل امرأة مشغولة.. بالكاد تعود لابنها من يوم طويل في العمل.. تخجل من مقاطعة حديثِ طفلٍ لا تعرفــه.. وهو يحدِّثها بحمــاس عن حفلة عيد ميلاده!»[1].

* * *

(١) د. نور محمد علي البار، رحلة البحث عن معنى (بتصرف).

الليلة ٩٣١

أَحْسِنُوا إِلَى جِيرانِكم

• كَانَ لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حَتَّى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً فطبخه، أَوْ سمكة فيشويها، ثُمَّ لا يزال يشرب، حَتَّى إِذَا دبَّ الشرابُ فيه غنّى بصوت، وَهُوَ يَقُولُ:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هَذَا البيت حَتَّى يأخذه النوم..

وَكَانَ أَبُو حنيفة يسمع جلبته كل يوم، وَكَانَ أَبُو حنيفة يصلي الليل كله.. ففقد أَبُو حنيفة صوته، فسأل عَنْهُ، فَقِيلَ: أخذه العسسُ(١) منذ ليال، وَهُوَ محبوس، فصلّى أَبُو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن عَلَى الأمير، قَالَ الأمير: ائذنوا لَهُ، وأقبلوا بِهِ راكباً، ولا تدعوه ينزل حَتَّى يطأ البساط، ففعل، فلم يزل الأمير يوسع لَهُ من مجلسه، وَقَالَ: ما حاجتك؟.

قَالَ: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، فهل يأمر الأمير بتخليته، فَقَالَ: نعم، وكل من أخذ في تِلْكَ الليلة إلى يومنا هَذَا، فأمر بتخليتهم أجمعين.

فركب أَبُو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فَلَمَّا نزل أَبُو حنيفة مضى إِلَيْهِ، فَقَالَ: يا فتى، **أضعناك**؟ فَقَالَ: لا، بل حفظتَ ورعيتَ،

---

(١) مَنْ يطوفون باللَّيل يحرسون البيوتَ ويكشِفُون عن أهل الرِّيبة واللُّصوص.

جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق، **وتاب الرجل** ولم يعد إلى ما كان[(١)].

أحسنوا إلى جيرانكم.. وتفقَّدوا أحوالهم..

• وفي اختيار الجار قبل الدار قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

قال العلماء: فطلبتْ كونَ البيت عنده.. قبل طلبها أن يكون في الجنة.. فإن الجار قبل الدار[(٢)]..

اطلبْ لنفسِكَ جِيراناً تجاوِرُهم لا تصلُحُ الدَّارُ حتَّى يَصْلُحَ الجارُ

• والذي يحسن إلى جاره هو خير الناس عند الله: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»..

• اكتم على جارك ثلاثاً: عورته.. وثروته.. وكبوته..

وانشر عن جارك ثلاثاً: كرمه.. وصيانته.. ومودته..

• جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشكو جارَه، فقال: «**اذهب فاصبرْ**» فأتاه مرتين أو ثلاثاً فقال: «**اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّرِيقِ**» ففعلَ، فجعلَ الناسُ يمرونَ ويسألَوْنَهُ، فيخبرُهُمْ خبرَ جارِهِ، فجعلوا يَلْعَنُونَهُ: فعلَ اللهُ بهِ وفعلَ، وبعضُهمْ يدعُو عليهِ. فجاءَ إليهِ جارُهُ فقال: ارجعْ فإنَّكَ لنْ ترَى منِّي شيئاً تكرهُهُ[(٣)].

* * *

(١) ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.
(٢) تفسير ابن كثير.
(٣) صحيح الترغيب: ٢٥٥٩.

الليلة ٩٣٢

لقد سقطتْ «رجولتُك»!..

• صدمَ شابٌّ امرأةً عجوزاً بدراجته..

ما اعتذر إليها.. ولا ساعدها لتنهض..

بل أخذ يضحك عليها!..

ثم استأنف سيره..

نادتْه العجوز: لقد سقط منك شيء!..

فعاد الشاب مسرعاً..

وأخذ يبحث فلم يجد شيئاً..

فقالت: لا تبحثْ كثيراً... **لقد سقطتْ «رجولتك»!.. ولن تجدها أبداً..**

• أليس البعض منا يفعلُ مثلما فعل هذا الشاب..

يؤذي غيره في الشارع أو العمل.. ثم لا يأبه بمشاعرهم وأحاسيسهم؟!..

تقول إحدى النساء: فكم من شباب أسقطوا رجولتهم على مرأًى من الناس.. ولكني امرأة لا أنحني لألتقط شيئاً.. سقط من عيني!..

• وأعظم ألم نمرُّ به في حياتنا.. حينما نحكي همومنا وأسرارنا لأقرب الناس إلينا.. كي يواسونا.. فيضحكون بسخرية!.

والألم الأشدّ.. ألّا تجد من تخبره بحزنك!..

لاحظوا ما قال إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١]..

فحتى التعبير بالأخوّة (إن أخانا).. قد تخلّوْا عنه!..

فما أصعب أن يجتمع على المفجوع.. ألم المصيبة..

وعدم شعور القريب بمصابه؟!

• ومن تسبب في إحزان مؤمن.. فقد شاركَ الشيطانَ في سعيه الخسيس!..

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المجادلة: ١٠]..

والتحريم في كل هذا لسبب واحد.. أنه يُحزِنُ الذين آمنوا.. يُحزِن فقط.. وليس «يقتلُ» أو «يعذّبُ» الذين آمنوا..

وإذا كان الله تعالى ينزل الآيات ليمنع إحـزان المسلم فقط.. فما بالكم بالاعتداء عليه.. بشتْمه.. بل بقتله وتعذيبه؟!..

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: إذا سَمعت الكلمةَ تُؤْذِيك فطَأْطِئ لها حتى تَتخطاك![1]..

وجاء غلام لأبي ذر رضي الله عنه وقد كسر رجل شاة له..

فقال له: من كسر رجل هذه؟..

قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك.. فتضربني.. فتأثم..

فقال: لأغيظنَّ مَنْ حرّضك على غيظي.. فأعتقه.

وقال رجل لوهب بن منبه: إن فلاناً شتمك..

فقال: ألم يجدِ الشيطانُ بريداً غيرك؟!..

* * *

(١) العقد الفريد (١/١٨٠).

الليلة ٩٣٣

أَلَيْسَ عَجِيباً أنْ تَرَى

• **أليس عجيباً أن ترى:** مراهقيـــن ومراهقات يرسلن صوراً يستحيي منها الحيوان!..

ـ **أليس عجيبـــاً أن ترى:** آباءً وأمهات يهتمون بطعـــام أبنائهم ولباسهم.. وينسون غرس القيم والأخلاق عندهم؟!..

ـ **أليس عجيباً أن ترى:** موظفاً لا يخلص فـــي عمله بحجة قلة الراتب.. وينســـى أن الله تعالى يبارك في الرزق الحلال وإن قـــلّ.. ويمحق المال الحرام مهما كثُر؟!..

ـ **أليـــس عجيباً أن تـــرى:** شبابـــاً وفتيات يقضـــون الساعـــات لهواً في الأسواق.. ويتعبون من بضع ركعات؟!..

ـ **أليس عجيبـــاً أن ترى:** رجالاً يرون زوجاتهـــم وبناتهم يلبسن ما يُظهر مفاتنهـــن.. ولا تتحرك فيهـــم نخوة الرجـــال بدعوى أنهـــم متحرّرون ومتحضّرون؟!..

ـ **أليس عجيباً أن ترى:** مَن يشتري ما لذَّ وطاب بالمئات.. وعندما تُطلَب منه الصدقة.. يبحث عن القروش والهَلَلات؟!..

ـ **أليس عجيباً أن ترى:** شباباً وفتيات يسمعـــون الأغاني بصدر رحب.. وإذا سمعوا كلام الله ضاقت صدورهم كأنّما يصّعدون في السماوات؟!..

ـ **أليس عجيبـــاً أن ترى:** مَنْ يعتمـــد على المنبّه خوفاً مـــن التأخر على الدوام.. ولا يفعل ذلك لمقابلة الله في صلاة الفجر؟!..

ـ **أليس عجيباً أن تــرى:** ولداً في المتوسطــة أو الثانويــة.. يعطى جوالاً وسيارة.. ومبلغاً كبيراً من المال.. ولا يُسأل مــن أين أتيتَ.. ولا إلى أين ذاهب؟!..

ـ **أليس عجيبــاً أن ترى:** نساءً يقمْــنَ بتخريب البيــوت.. بنشر الأسرار الزوجية في كل البيوت؟!..

ـ **أليس عجيباً أن ترى:** أناساً يمتنعون عن الطعام والشراب في رمضان.. ثم يقضون نهاره بالنوم.. وليله بالتنقل بين الأفلام والمسلسلات؟!..

ـ **أليس عجيباً أن ترى:** أناساً يحتقرون البشر؟!..

• يقول الإمام السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كنت جالساً بدهليز دارنا.. فأقبل كلبٌ فقلت: اخسأ كلب ابن كلب!..

قال: فزجرني والدي من داخل البيت!..

قلت: سبحان الله.. أليس هو كلباً ابن كلب؟..

فقال: شرط الجواز عدم قصد التحقير(١)..

وأقول: إذا كان هذا في حق الحيوان.. فكيف بمن يحتقر.. بل ويقتل من البشر الأبرياء؟!..

* * *

(١) فيض القدير (١٥١/١).

الليلة ٩٣٤

لَوْ كانَ للمُنافِقِين أذْنَابٌ

• قال تعالــى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]..

هؤلاء هم سبب انهيار «الجبهة الداخلية» لأي بلد!..

فإن قالوا.. فاحذر أن تسمع لقولهم..

المنافقون!.. يتغلغلون في صفوف المؤمنين..

ويسعوْن إلى تفتيتها من الداخل..

يتولّون الكافرين.. ويتنكّرون للمؤمنين..

يلبسون أقنعةً متعددة..

ما لهم من هَمٍّ عند المحن.. إلا التخويف وتثبيط العزائم..

يفرحون لما يصيب المؤمنين من سوءٍ ومحن..

ويحزنون لكل خيرٍ يحصل للمسلمين..

هؤلاء أخطر أهل الأرض على الإسلام وأهله!

فماذا قال الله تعالى عنهــم؟!.. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

• عن جُبَيْر بْنِ نُفَيْــرٍ قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الــدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ بِحِمْصَ،

فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ.. فَلَمَّا جَلَسَ يَتَشَهَّدُ، جَعَلَ **يَتَعَوَّذُ بِاللهِ مِنَ النِّفَاقِ..**

فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! مَا أَنْتَ وَالنِّفَاقُ؟..

قَالَ: «اللَّهُمَّ غَفْراً، ثَلاثاً، مَنْ يَأْمَنُ الْبَلاءَ؟ مَنْ يَأْمَنُ الْبَلاءَ؟..

وَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَتَنُ فِي سَاعَةٍ فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ»[١].

• يقول أحد الصالحين: **لو كان للمنافقين أذناب** لما استطعنا السير في الشوارع والطرقات من كثرتها!..

• والحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] ولم يقل: (في صلاتهم) لأنه لو قال: (في صلاتهم) لكانت في المؤمنين..

والمؤمن قد يسهو في صلاته.. ولكنه أراد بهم المنافقين.. لأنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها.. وهذا هو السر في التعبير بـ «عَنْ»..

• جاء طائر في زمن النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.. إلى بركة ليشرب الماء..

لكنه وجد أطفالاً بالقرب من البركة..

انتظر حتى غادر الأطفال وابتعدوا عن البركة..

وبالصدفة جاء رجل ذو لحية إلى البركة..

فقال الطير في نفسه: هذا رجل وقور ولايمكن أن يؤذيني..

فنزل الطائر إلى البركة ليشرب الماء..

ولكن الرجل رمى الطائرَ بحجر ففقأ عينه..

فذهب الطائر إلى نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ شاكياً..

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي.

استدعى النبيُّ سليمان هذا الرجل فقال: ألك حاجة بهذا الطائر ورميْتَه..

قال: لا.. فأصدر النبي عليه السلام حكمه بفقوء عين الرجل..

ولكن الطائر اعترض وقال: إن عين الرجل لم تؤذني.. بل إن **اللحية هي التي خدعتْني**.. لذا أطالب بقصّ لحيته عقوبــة حتى لا يخدع بها أحداً غيري..

تُرى لو حضر هذا الطائر زماننا هذا.. فكم لحية سيطالب بقصها؟!..

* * *

مُتَدَيِّنون بَغَّضُوا اللّهَ إلى خَلْقِه

• يروى أن صاحب مصنع في الصين وقــف مذهولاً حين رفض بعض التجار العرب مشاركته في وليمة العشاء التي رتّبها لهم.. لأن اللحم لم يُذبح وفق الشريعة الإسلامية!..

وكان هؤلاء التجار قد طلبوا منه بضاعــة صينية بشرط أن يُكتب عليها: «صُنع في ألمانيا»!..

وتساءل: أي دينٍ هذا الذي يعتنقه هؤلاء التجار؟!..

• وواقع بعضنا نسخةٌ من هؤلاء التجار.. تتّسع أو تضيق!..

فكم مــن شخص لا يسمــع الموسيقى بــل ربما يتفاخــر بأنه شخص ملتزم..

وتذهل عندما تراه يكذب ويظلم ويفتري على الناس!..

وكم من شخص لسانه لا يتوقف عن ذكر الله..

وتذهل من قسوة قلبه وسوء معاملته..

فمشكلة البعض منا أنه ينسى أو يتناســى أن الدين المعاملة.. ولا يأخذ من الدين إلّا ما يعجبه!..

• يقول الدكتور مصطفى السّباعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أشدُّ المجرمين عذاباً عند اللهِ مَن حرَّفَ دينَهُ.. واستغلَّ عبادَهُ..

وسايرَ الظّالمينَ في أهوائهم.. وعادى المصلحينَ في آرائهم..

ثمّ لم يخجَلْ أن يلبسَ لباسَ المتَّقينَ.. ويعملَ أعمالَ الفاسقين»..

• يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«إن انتشار الكفر في العالم يحمل نصف أوزاره متديّنون بغّضوا اللهَ إلى خلْقه بسوء صنيعهم وسوء كلامهم..

وقد تأملتُ في أحوال أناسٍ يعملون في الحقل الإسلامي..

ويتحمّسون لنصرة دينهم..

ولكنهم يحملـون في دمائهـم جراثيم الفوضـى القديمـة.. والجهالة المدمّرة..

فأدركتُ أن هؤلاء يتحركون في مواضعهم..

وأنهم يومَ يستطيعون نقلَ أقدامهم..

فسيتَّجهون إلى الوراء لا إلى الأمام..

وسيضيفون إلى هزائمنا الشائنة هزائمَ قد تكون أنكى وأخزى»..

وأقول: رحمك الله يا إمام فكأنك اليوم بين ظهرانينا!..

• ويقول الشيخ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً:

«إذا تصالح ندامى الحانات[1]...

وتشاكس إخوان المسجد..

فستنكسر المئذنة..

ويستولي السكارى على المحراب!»..

* * *

(١) **النديم**: الرَّفِيقُ الْمُصَاحِبُ على الشراب..

الليلة ٩٣٦

كُنْ صَالحاً مُصْلِحاً

• سئل أحد كبار الدعاة رَحِمَهُ اللهُ عن نصيحته للدعاة..

توقّع السائل أن يجيبه بإسهاب لساعة من الزمن!..

فإذا هو يجيب بأربع كلمات.. قال فيها: «**ليحذر الدعاة أن يراهم أتباعهم على خلاف ما يدعونهم**».

وليعلم الداعية أنه ما دام إنساناً.. فهو معرض للعجب بأي عمل يقوم به.. أو نعمة يغدقها الله عليه.. لذلك علّمنا الرسول ﷺ قوله: «**فلَا تكلْنِي إلى نفسِي طرْفَةَ عيْنٍ**»[1].

• ولا تقبل أن تكون صالحاً فقط! بل **كن صالحاً مصلحاً**..

فالمصلح ينجو برحمة من الله لأنه باذلٌ ناصح..

تأملوا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

نعم إن القرى لا تهلك وفيها المصلحون..

• قال هرم بن حيان:

«ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله.. إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.. حتى يرزقه ودهم».

---

(١) صحيح الجامع: ٣٣٨٨.

كان الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ اللهُ يقول متألماً: مَـنْ ينقذني من الحساب يوم يشكوني الناس في إفريقية.. بأنني لم أسعَ إلى هدايتهم؟!

فماذا ترانا نحن قائلون؟!..

• لا تجعل لك سيئة جارية:

مِنَ الناس مَنْ يموت وتموتُ سيئاته.. وتبقى حسناته..

ومِنَ الناس مَنْ يموت وتموتُ حسناته.. وتبقى سيئاته!..

فمنْ نشر صوراً غير لائقة أو أغانيَ هابطة.. أو أحاديث موضوعة.. ماتت حسناته بعد موته وبقيت سيئاته! وحمَل ذنْب كلّ من نظر أو استمع إليها إلى يوم الدين..

ومن نشر علماً يُنتَفع به ومات.. ماتت سيئاته وبقيت حسناته!..

فله أجر كل من عمل به واستفاد منه إلى يوم القيامة..

وأخيراً.. إنْ لم تكن لك صدقة جارية..

فحاول ألا تكون لك سيئة جارية!..

• وإذا رأيت الله عَزَّ وَجَلَّ يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره..

فإنما هو استدراج منه يستدرجك به..

• ما أتعس أولئك الذين أبلوا أجسادهم في غير طاعة الله..

وما أتعس الوجوه العاملة الناصبة التي لم تسجد لله سجدة..

بل ما أتعس الذين كبّلوا أنفسهم بذلّ المعاصي..

فأثقلتهم في الدنيا قبل الآخرة..

* * *

الليلة ٩٣٧

عِزَّتُكَ فِي إِيْمَانِك

• وصل الرئيس البوسني «علي عــزت بيجوفيتش» (١٩٢٥ ـ ٢٠٠٣م) إلى صلاة الجمعة وهو متأخر..

وكان قد اعتاد الصلاة في الصفّ الأول.. ففتــح له الناس الطريق حتى وصل الصف الأول..

استــدار للمصليــن بغضبٍ وقــال مقولتــه الشهيرة: (هكــذا تصنعون طواغيتكم)!..

فمن اعتز بغير الله قَلّ وضَلّ وذَلّ..

فما نَفَع فرعونَ عظيمُ منصبه..

ولا نفعَ قارونَ غزيرُ ماله..

ولا نفع أبا لهب علوُّ نسبه..

فكلها إلى زوال.. ولله العزة جميعاً...

تذكــر أن المؤمن يستطيــع أن يحتمل الجــوع.. ويستطيــع أن يحتمل الحرمان.. يستطيــع أن يعيش في العراء.. ولكنــه لا يستطيع أن يعيش ذليلاً.. والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ومقام «العبودية» أعظم مقام يمدح الله تعالى به أحداً مِنْ خلْقه.. فقد قال تعالى في محمد ﷺ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ (بِعَبْدِهِۦ) لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وأثنى على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿وَٱذْكُرْ (عَبْدَنَا) دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ١٧]..

ومدح أيوب عليه السلام فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]..

- **الله أكبر:**

«الله أكبر».. نداءٌ نرفعه فيُذْهِب عنا الغرور..

«الله أكبر».. كلمتان تريحان كل حزين ومقهور..

«الله أكبر».. نداء يبعث في نفس يائسٍ الأملَ والحبور..

«الله أكبر».. دعاء يقصم من الجبابرة الظهور..

ودائماً وأبداً «الله أكبر» في كل وقت وكل حين..

ترددها ألسنة الموحدين رغم مكر الحاقدين.. وكيد الكائدين..

يُرفَع بها الأذان إلى العنان.. ويُنصر بها أهل الإيمان في كل زمان ومكان..

تُدخل السرور على القلب المكسور..

فيبتهج ويقول: «الله أكبر»..

هي دواء القلوب وشفاء المكروب.. ونصرة المظلوم على عدو مغرور..

فدائماً وأبداً «الله أكبر»..

فالله هو النور الأزلي..

وكلما اقتربت من هذا النور.. أصبحت الرؤية أوضح..

وكلما ابتعدتَ ازداد الظلام.

* * *

مُتْ وأنْتَ دِيكٌ..

الليلة ٩٣٨

يُحكى أن ديكاً كان يؤذّن عند فجر كل يوم..

أتى صاحب الديك إليه يومـــاً وقال: لا تؤذِّن بعـــد الآن.. وإلا سأنتفُ ريشك..

خاف الديك وقال في نفسه: «الضرورات تبيح المحظورات».. ومن السياسة الشرعية أن أتنازل حفاظاً على نفسي.. فهناك ديكةٌ غيري تؤذن على كل حال.. وتوقفَ الديك عن الأذان..

وبعد أسبوع.. جاء صاحب الديك وقال له: إن لم تقاقي كالدجاجات سأنتفُ ريشك!..

فتنازل الديكُ.. وأصبح يقاقي كالدجاجات!..

وبعد شهر.. قال صاحب الديك للديـــك: الآن إن لم تبضْ كالدجاجات سأذبحك غداً!.

عندها بكى الديك وقال: (يا ليتني متُّ و أنا أؤذِّن)!..

أليس هذا حال المسلمين اليوم في تنازلاتهم؟!..

• **قول الحق:**

وفي عام (١٩٦١م) دعا «الحبيبُ بورقيبـــة» الرئيسُ التونسي السابق العمالَ إلى الفطـــر في رمضان بدعوى زيـــادة الإنتاج.. وطلب من

الشيخ الطاهر ابن عاشور عالـــم تونس الشجاع أن يفتي في الإذاعة بما يوافق ذلك!..

فلما تكلم ابنُ عاشور في الإذاعة.. والنـــاس تنتظر ما يقول.. تلا الشيخُ قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقـرة: ١٨٣] ثــم قـــال: (**وصـــدق الله وكـــذب بورقيبة**)..

فخرست الألسن.. وما استطاعت الحكومة التونسية إلا أن تنسحب من الميـــدان.. وأعلـــى اللهُ فريضـــةَ الصيام في تونـــس.. على يـــد الشيخ الطاهر ابن عاشور..

يقول رسول الله ﷺ: «**لا يمنعنَّ رجلاً هيبـــةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه، فإنه لا يقرِّبُ من أجلٍ، ولا يباعِدُ من رزقٍ، أو يقولَ بحقٍّ أو يُذكِّرَ بعظيمٍ**»(١).

ويقول رســـول الله ﷺ: «**لا يحقِرنَّ أحدُكـــم نفسَه**» قالوا: يـــا رسولَ اللهِ وكيف يحقرُ أحدُنا نفسَه؟ قـــال: «**يرَى أنَّ عليه مقالاً ثـــمَّ لا يقولُ فيه.. فيقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يومَ القيامـــةِ: ما منعك أن تقولَ كذا وكذا فيقولُ: خشـــيةَ النَّاسِ! فيقولُ: فإيَّاي كنتَ أحقَّ أن تَخشَى**»(٢).

* * *

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٢٤/١ وقال: صحيح الإسناد.

(٢) الترغيب والترهيب: (٢٣١/٣) وقال: رواته ثقات.

أجْمَلُ الأرْزَاق

• استدعى أحدُ الخلفاء شعــراءَ مصر.. فصادفهم شاعــر فقير بيده جرّة فارغة..

ذاهباً إلى البحر ليملأها ماء.. فتبعهم إلى أن وصلوا إلى دار الخلافة..

فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم..

ولمّا رأى الرجلَ والجرّة على كتفه.. ونظر إلى ثيابه الرّثة قال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فأنشد الرجل:

ولما رأيتُ القومَ شَــدُّوا رِحَالَهم إلى بَحْرِك الطَّامي أتيتُ بِجَرَّتي

فقال الخليفة: املؤوا له الجرّة ذهباً..

فحسده بعض الحاضرين (البطانة) وقالوا:

هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا المال.. وربّما أتلفه وضيّعه.

فقال الخليفة: هو ماله يفعل به ما يشاء..

فمُلئت له جرّته ذهباً.. وخرج إلى الباب ففرّق المال لجميع الفقراء..

وبلغ الخليفة ذلك.. فاستدعاه وسأله عما فعل فقال:

يجودُ علينَــا الخَيِّــرونَ بِمَالِهم ونحــنُ بمــالِ الخَيِّريــنَ نَجُودُ

فأعجب الخليفة بجوابه، وأمر أن تُملأ جرّتُه عشر مرّات، وقال: الحسنة بعشر أمثالها..

• ولو اجتمع العالم على أن يأخذ ولو قطميراً من رزقك فلن يستطيعوا..

وإذا كنت لا تعرف عنوان رزقك.. فإن رزقك يعرف عنوانك..

روى الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:

«حدثني الشيخ صادق المجيدي، سفير الأفغان سابقاً في مصر: أنه كُلف مرة بمهمة سياسية عاجلة في روسيا. وخاف أن يمر ببلد لا تؤكل ذبيحة أهله شرعاً، وكان عنده دجاجتان فأمر بذبحهما، واتخذت له زوجته سُفرة (السُّفرة: زاد المسافر) منهما حملها معه.

فلما وصل إلى طاشقند دعاه شيخ مسلم.. فكره أن يأخذ الدجاجتين معه إلى دار الشيخ.. ورأى في طريقه امرأة مسلمة فقيرة معها أولادها ورأى الجوع بادياً عليهم وعليها، فدفع إليها الدجاجتين.

فلم تمضِ ساعة حتى جاءته برقية أن ارجع فقد صُرف النظر عن المهمة.. فكانت هذه الرحلة لأمر واحد، هو أن الدجاجتين كانتا في داره ولكنهما ليست له ولا لأهله.. إنهما لهذه المرأة وأولادهما.. فطبختهما زوجته.. وحملهما بنفسه أربعة آلاف كيل ليوصلهما إليها[1]!».

• ولكن لا تجعلوا فهمكم للرزق يتوقف عند حدود المال..

بل إن أجمل الأرزاق: سكينة الروح.. ونور العقل.. وصحة الجسد.. وصفاء القلب.. وسلامة الفكر..

وإن من أجمل الأرزاق:

دعوة أم.. ووجود أخ.. وضحكة ابن.. واهتمام صديق.. ودعوة محب..

فإذا أحببتَ شخصاً فاشمله معك في دعائك دون علمه.. فهكذا يكون الحب أجمل وأصفى.. وأقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..

* * *

(١) الشيخ علي الطنطاوي، فصول اجتماعية، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

الليلة ٩٤٠

مِنْ جُنودِ اللّهِ الخَفِيِّيْن

• البركة جنْد من جنود الله الخفيّين..

يرسلها لمن يشاء ويختار..

فإذا حلّت البركة في مالٍ.. أكْثرتْه...

وفي وقتٍ.. أثمرتْه..

وفي جسمٍ نشّطتْه..

وفي ولدٍ أصلحتْه...

وفي قلبٍ طمْأنتْه..

وفي كل شيء أسعدتْه..

• وفي الأيام الخوالي.. كانت دخول الناس قليلةً.. ولكنها كانت مُتْرَعة ببركة عظيمة..

واليوم يتقاضى بعض الموظفين مرتباتٍ كبيرة.. ولا تكاد تسد رمقَ طمعهم.. ولا يعرفون حتى الآن سر عدم كفاية ما يتقاضون.. ولا يعلمون حقيقة أنها قد تكون منزوعةَ البركة.

• وفي حياتنا قد تجد أسرة قليلةَ الدخل والجهد.. ولديها سيارة متواضعة.. ولكنهم يعيشون حياة سعيدة تتمتع بالبركة.

وعلى النقيض.. ترى أسرة تحيا في القصر المَشِيد.. ولديها أرتال من المركبات الفارهة.. والمتع الفاخرة.. وتتحسر على تلك البركة والسعادة التي يحياها من يعيش في الكوخ المَهِين.

• إنها البركة التي كان الصالحــون يستجلبونها بالإيمان والتقوى.. والبعــد عــن المحرَّمــات.. والإخــلاص فــي العمــل.. وإغاثة الملهوف.. والالتزام بقيم الإسلام فعليّاً.. واليقين فيما عند الله من رزق حلال.

لذلك يخطــئ الكثيرون عندما يظنــون الخير في كثــرة العَرَض ووفرة المال.. فقد تنقلب هــذه النعمة إلى نقمة.. بــالأرزاء والأمراض إذا لم تتوفر فيها البركة[1].

• والبركة عطاء إلٰهي، وسرٌّ رباني.. لا يأتي إلا للباحثين عنه بما يوجب نزول هذه البركــة: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [الأعراف: ٩٧].

ولذلك كانوا يبحثون عن البركة تماماً للخير.. وحفظاً للنعمة.

• وقد دعا رســول الله ﷺ بالبركة لأمته في بكورها فقــال: «اللهمَّ باركْ لأمَّتي في بُكورِها»[2].

ولكن من الناس من لاينام إلا قبل الفجر بــل ربما بعده.. ويمر عليهم الفجر ووقت الضحى وهم نائمون.. حتى إذا انتصف النهار أو زاد.. بدأ يومهم ونهارهم.. لينتهي قرب الفجر.. وهكذا في كل يوم!..

يبطلون سنّة الليل وسنة النهار.. ويخالفون سنّة الله تعالى في خلقه.. فقد جعل الله تعالى الليل لباساً وسكناً.. وجعل النهار معاشاً.. وهو الحكيم الخبير.. يعلم ما يُصلــح شأن عباده في دنياهــم وآخرتهم.. فالذي ينام نهاره ضيع غنيمتين عظيمتين: غنيمــة صلاة الفجر في جماعة.. وغنيمة

(١) المنشاوي الورداني، بحثاً عن أم القيم: البركة.

(٢) صحيح الجامع: ١٣٠٠.

بركة أول النهار.. ذلــك الوقت الذي تُقسم فيــه الأرزاق.. فيُحرم ذلك الرزق الإلٰهي لنومه..

ومن ضيّع حق الله الواجب عليــه.. فلا عجب أن يعيش في قلق وثبور.. وكدرٍ وضيق..

* * *

الليلة ٩٤١

أَوْقِفُوا نَزِيفَ الأَعْمَار

• في ساعات الازدحام.. ولحظات الانتظار..

لا تتأففْ!.. فلعلَّها أوقاتٌ.. أراد اللهُ أن يكتبك فيها مِنَ الذاكرين!..

ومن عجائب الإنسان في هذا الزمان.. أنه **لا يستطيع قراءة عشر آيات كل يوم.. ولكنه يستطيع قراءة عشرات الرسائل** على الواتس أو التويتر وغيره..

بحجة أنه ليس لديه وقت لقراءة القرآن!..

• فكلما خبتْ همّتك.. وضعفتْ عزيمتك.. تذكّر قول الله تعالى: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

فبقَدر ما تعملْ ترتقي..

• كان الإمام ابن الجوزي من أصحاب الهمم.. يحضر مجالسه الملوكُ والوزراء والأئمة والكبراء.. وقيل: إنه حضر في بعض مجالسه مئة ألف.. وقال في آخر عمره: «كتبتُ بأصبعي ألفي مجلد.. وتاب على يدي مئة ألف.. وأسلم على يدي عشرون ألفاً»[١].. وهو نفسه الذي يقول: «**إن لم تجدوني في الجنة بينكم فاسألوا عني**.. وقولوا: يا ربنا عبدك فلان كان يذكّرنا بك».. ثم بكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ..

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي.

• ويقول الإمام ابن عقيل: «إني لا يحلُّ لي أن أضيّع ساعة من عمري.. حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة ومناظرة.. وبصري عن مطالعة.. أعملتُ فكري في حال راحتي وأنا على الفراش.. فلا أنهض إلا وخطر لي ما أسطّره.. وإني لأجد من حرصٍ على العلم وأنا في الثمانين من عمري أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة.. وأنا أقصّر أوقات أكلي.. حتى أختار سفّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز.. لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ»!..

إنَّ لـي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّخ ... رِ وَأَقوى مِن راسِياتِ الجِبالِ

فقلتُ لنفسي:

فَتَشَبّهي إن لَم تَكوني مِثلَهُم ... إنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرامِ فَلاحُ

• يقول العلامة محمود الطناحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أخبرني شيخي محمود محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قرأ (لسان العرب) كله وهو تلميذ بالثانوي (ولسان العرب عشرون مجلداً)، ثم أخبرني أيضاً أن أمير الشعراء أحمد شوقي قرأ (اللسان) كله»[1].

• فأشدُّ الناس ندماً في الآخرة هم المهدرون لأعمارهم ـ حتى وإن دخلوا الجنة ـ!

يقول أحدهم: «رأيت صديقاً لا يوقف تحريك شفتيه ونحن جلوس نتكلم.. لا يكاد يوقفهما عن التسبيح.. حتى انفضّ المجلس..

فقمتُ وبي من الحسرة على نفسي ما الله به عليم».

• أفيقوا.. فوقفة ساعة يوم القيامة تذيب الجسم من حرّها..

(١) مقالات الطناحي (١/ ١٨٢).

فكيف بمن سيقف يوم القيامة كله؟!...

- **أوقفوا نزيف الأعمار** وهدر الأوقات..

اهجروا وسائل الاتصال ما استطعتم.. واجعلوها اتصالاً بربكم..

فالمعالي والدرجات لن يبلغها مدمنُ راحةٍ وحبيبُ كسل!..

* * *

الليلة ٩٤٢

فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّر منه

• إنْ لم تكن ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١].. فكن ممن قال عنهم: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]..

فإن فاتك هذا وذاك.. فلا أقلّ من تلبية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]..

ألسنا نأكل ثلاث وجبات لنبقى.. فلماذا لا نقرأ ثلاث صفحات لنرقى؟

• يقول أحدهم:

مررتُ بفترةٍ انشغلتُ فيها بالتزامات طارئة.. استهلكتْ وقتي وفكري.. فلم أستطعْ معها أن أفتح مصحفي..

تألّمتُ كثيراً.. لكنّني كنت أعزّي نفسي أنه انشغالٌ بالخير.. وأنها فترة مؤقتة!..

ومرّت الأيام حتى طال انقطاعي.. إلى أن جاء يومٌ فتحتُ فيه المصحف فإذا بي أقرأ هذه الآية ـ وكأني لم أقرأها من قبل ـ:

﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]..

فقلتُ في نفسي: يا الله.. ما ألطف هذا النداء من رب العالمين:

عبـــدي لا يمنعنّك المـــرضُ.. ولا طلبُ الرزق.. ولا حتـــى التفاني في سبيل الله.. عن قراءة ما تيسّر من كلامي.. فإني أقبلُ منك القليل.. وأغفرُ لك التقصير..

- فإذا ثقلتْ عليكم مشاغلُ الحياة.. ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾..

اقرؤوا ولو صفحةً أو صفحتيـــن.. فإنه عونٌ لكم على ما أهمّكم من أمر دينكم ودنياكم..

فالمسجون في السجن يطلب [مصحفاً].. يؤنس وحْشته..

والمريض في المستشفى يطلب [مصحفاً].. ليشفى مرضُه..

والمغترب عن وطنه يطلب [مصحفاً].. ليكون له الأمان..

والميت يتمنى [مصحفاً] ليرفع به الدرجات..

ونحن!..

لسنا مساجين ولا مرضى..

ولا مغتربين ولا موتى..

حتى نطلبه!..

إنه بين أيدينا وأمام أعيننا..

فَهل سننتظر حتى يصيبنا أمرٌ فنفْزع له؟!..

❊ ❊ ❊

اتَّخَذُوا القرآنَ مَهْجُوراً

• المثقف الفــارغ هو الذي يقرأ فــي شتى العلوم وعلــى رف المَكتبة «مصحف» (لم يمسه أبداً)..

أرأيتم انشغالَ الناس اليوم (بالجوال).. صباحَ مساء؟..

قبل الصلاة وبعد الصلاة؟..

كذلك كان حال السلف!..

لكن! مع القرآن!..

فالأبكم يتمنّى أن يرتّل كتاب الله..

والأصم يتمنّى أن يسمعه..

والأعمى يتمنى أن يراه..

ونحن أهْلَكَنا الجوّالُ..

• كان **خالد بن الوليــد** رضي الله عنه إذا عاد من الحرب يــرى على المصحف شيئاً مــن الغبار فيقــول: سامحْنا أيهــا المصحف.. لقــد شغلَنا عنك «الجهاد»..

وكثير منا يقول الآن: لقد شغلَنا عنك «الجهاز»..

• وكان **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قاضيا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه... وكان عمر يرفع جلسة القضاء بضع دقائق لكي يقرأ في القرآن الكريم..

ولما سألوه عن ذلك قال: حتى لا يقول القرآن لله يوم القيامة: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]..

• يقول أحد الصالِحين: علّم ولدك القرآن.. والقرآن سيعلّمه كل شيء..

• قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧].

فما علاقة القسَم بمواقع النجوم بالمُقسَم عليه وهو القرآن؟..

لقد جعل الله النجومَ يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر..

وآيات القرآن.. يُهتدى بها في ظلمات الجهل والضلال..

فهذه هدايةٌ في ظلماتٍ حسيّة..

وتلك هدايةٌ في ظلماتٍ معنوية..

فجَمَعَ في القسَم والمقْسوم عليه بين الهدايتين..

• القُرآن رئتك الثَّالثَة حِين تَختنق من دُخَان الحَياة..

فهو: ينفع.. يشفع.. ويرفع..

فلا تهجروه..

❊ ❊ ❊

ما نِيَّتُك وأنْتَ تَقْرَأُ القُرْآن؟

الليلة ٩٤٤

• تعظيم النيات هي تجارة قلوب الصحابة ﷺ والعلماء الربانيين.. كانوا يعملون العمل الواحد.. ولهم فيه نيات كثيرة حتى يحصل لهم الأجر العظيم..

• وهذه بعض النيات التي يمكن أن ننويها عند قراءة القرآن الكريم:

ـ فبقراءته نسأل الله أن يشفّعه فينا.. لقول الرسول ﷺ: «اقْرَؤوا القرآنَ؛ فإنه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابه»[1].

ـ وننويه لزيادة الحسنات.. لقول الرسول ﷺ: «مَن قرأَ حرفاً من كتابِ اللهِ فلَهُ بِهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ (الَمٓ) حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»[2].

ـ ونحتسب قراءته للنجاة من النار.. فرسول الله ﷺ يقول: «لو جُمِعَ القرآنُ في إِهابٍ، ما أحرقه اللهُ بالنَّارِ»[3].

ـ ونحتسب قراءته عمارة للقلوب.. فرسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الذي ليس في جوفِه شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الْخَرِبِ»[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترمذي: ٢٩١٠.

(٣) صحيح الجامع: ٥٢٦٦.

(٤) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

ـ ونحتسب قراءته بنية العمل بكل آية نقرؤها.. لننال أرفع الدرجات في الجنة.. لقول رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحبِ القرآنِ يومَ القيامةِ: اقرأْ وارقَه؛ فإن منزلَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها**»[1].

ـ ونحتسب قراءته شفاء لأمراض قلوبنا وعلل أجسادنا.. وسبباً لنزول الرحمات علينا.. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ـ ونحتسب قراءته لطمأنينة قلوبنا.. لقول الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ـ ونحتسبه سبباً لحياة قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا.. فالقرآن ربيع المؤمن.. كما قال ﷺ في دعائه: «**... أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همِّي**»[2].

ـ ونحتسب قراءته سبباً للهداية.. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

ـ ونقرؤه بنية أن نموت عليه.. كما بلّغ الله عثمان رضي الله عنه الشهادة وهو يقرؤه..

ـ ونقرأه بنية رجاء القرب من ربنا.. بحب كلامه العظيم.. كما في الحديث: «**أنت مع مَن أحْببْتَ**»[3].

ـ ونحتسب قراءته سبباً لزيادة الإيمان.. لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٢٨٢/٥.

(٢) السلسلة الصحيحة: ١٩٩.

(٣) رواه البخاري.

ـ ومن نيات قــراءة القرآن: أن يكــون سبباً لاصطفــاء الله تعالى لنا بأن نكون من أهله وخاصتــه.. لقول الحبيب المصطفــى: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قالــوا: يا رسولَ اللهِ، من هُم؟ قــالَ: «هم أَهْلُ القــرآنِ، أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُهُ»(١).

ـ ومن أعظم النيات وأهمها وفي مقدمتها: أننا نتعبد الله تعالى بقراءته.. لقوله تعالى ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

• وبعد هذا كله.. هــل ساءلت نفســك يوماً: ما هي نيتــك وأنت تقرأ القرآن؟..

* * *

(١) صحيح ابن ماجه: ١٧٩.

الليلة ٩٤٥

ليستِ العِبْرَةُ أينَ وَصَلْتَ

• ليس العبرة أين وصلت بالقرآن؟.. إنما العبرة أين وصل القرآنُ في قلبك؟.

فهناك فرقٌ كبير بين فهم الآية.. وتدبّرها..

فالتدبّر أن تسأل نفسك دائماً: أين أنا من هذه الآية؟.

فإذا قرأت القرآن.. وأردت أنْ تتدبّرهُ.. فاسأل نفسك هذا السؤال:

أين أنا من هذه الآية؟..

هل أنا مطبقٌ لها؟..

هل تنطبق عليّ آيات المؤمنين أم آيات المنافقين ـ لا سمح الله ـ؟..

هل أنا في الموضع الذي ينبغي أن أكون؟..

أم في موضع لا ينبغي أن أكون؟..

فالله تعالى يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]..

يقول أحد العلماء: «إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي.. لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

• ولا تخبر الناس كم تقرأ من القرآن، دعهم يَرَوْن فيك قرآناً يمشي بين الناس..

أطعم جائعاً.. ارحم يتيماً.. سامح مسيئاً.. علّم جاهلاً..

بر والديك.. صل رحمك.. ابتسم لمن حولك..

فليست العبرة أين وصلت في قراءته وحفظه..

إنما أين وصل القرآن فيك علماً.. وعملاً.. وأخلاقاً..

• ومن روائع بلاغة القرآن الكريم وجود تلك «الألفاظ الاهتزازية»..
وهي ألفاظ تشعرك بشدّتها وقوّتها من خلال تكرار حرفين متتاليين.. أو تكرار كلمة قوية لأحداث في منتهى الأهمية:

ـ فعندما تهتز الأرض وتحدث الزلازل.. يأتي قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].. فتأمل كلمة (زل زل) فهي تكرار حرفين متتابعين..

ـ وعندما يغضب الله تعالى على قوم صالح الذين عصوا أمر ربهم وعقروا الناقة.. يأتي ﴿(فَدَمْدَمَ) عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤]..

ـ وعندما تتكشف الحقائق عن مظلمة يوسف عليه السلام.. يقبع في السجن لسنوات ظلماً من زوجة العزيز وعدواناً.. تأتي لفظة «حصحص»:

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ (حَصْحَصَ) ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]..

ـ وعندما يتحدث القرآن عن حدث تقشعرُّ له الأبدان يوم القيامة تأتي الآية ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ (دَكًّا دَكًّا) ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ (صَفًّا صَفًّا)﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٢]..

ـ وعندما يتحدث القرآن عما أعدّ لأهل الجنة من نعيم تأتي الآية: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ (رَفْرَفٍ) خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]..

ـ وعندما يتحدث عن شدة ظلمة الليل تأتي الآية: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا (عَسْعَسَ) ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨]..

• ومن اللطائف القرآنية أن كلمة (**ثقيلاً**) وردت في القرآن الكريم مرتين فقط:
الأولى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ (يَوْمًا ثَقِيلًا)﴾ [الإنسان: ٢٧]..
والمقصود به: يوم القيامة.. والثانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ (قَوْلًا ثَقِيلًا)﴾ [المزمل: ٥].. والمراد به القرآن..

فإذا أردتَ النجاة من (اليوم الثقيل) فتمسّك (بالقول الثقيل)!..

* * *

مِنْ لَمَسَاتِ القُرْآن

الليلة ٩٤٦

• ورد «**صلاح البال**» في القرآن الكريم في موضعين، هما:

- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢].

- ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥].

وبالَ بالشيء: اكترث به.. فمن لا يبالي لا يكترث!..

والبال هو موضع الفكر.. ويقال هو: الحال والشأن والقلب..

فأنت حين تقول: «أصلح بالك» أي: أصلح تفكيرك وشأنك.. وعقلك وقلبك..

فصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان.. وما من نعمة على وجه الأرض تفوق صلاح البال.. أن تنام مطمئنّاً.. واثقاً أن الله معك..

ومتى صلح البال.. استقام الشعور والتفكير.. واطمأنَّ القلبُ والضمير..

ورضيتِ النفسُ.. واستمتعتْ بالأمن والأمان..

• وليس مهمّاً أن تروق للآخرين بفكرك وفعلك..

فالمهم أن تبحث عن رضا الله عنك.. وتبقى أنت في حدود رضاك عن نفسك..

فلن ينعم بحياة الطمأنينة من ابتعد عن نور هدي السماء.. بل حياته ضيقٌ وقلق.. وإن رأيته متنعّماً في الظاهر.. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

• وفي القرآن آيتان متشابهتان ختمهما الله بخاتمتين مُختلفتين:

- ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].
- ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨].

الأولى: خُتِمت بتعامل الإنسان مع الله..

والثانية: خُتِمت بتعامل الله مع العبد..

فما أعظم الله! وما أجهل العبد!..

- **وما هو السر في حذف «يا» النداء قبل الدعاء في القرآن؟** تأمل هذه الآيات:

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]..

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٥٠]..

﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ [الأنبياء: ٨٩]..

﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥]..

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]..

﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]..

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]..

ففي مواطن الدعاء لم يردْ في القرآن العظيم نداء الله تعالى بحرف المنادى «يا».. قبل (رب) البتة.. وإنما بحذفها في كل القرآن.

والسر البلاغي في ذلك أن **(يا) النداء تستعمل لنداء البعيد.. والله تعالى أقرب لعبده من حبل الوريد..** فكان مقتضى البلاغة حذفها.

قال تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]..

فهل علمت الآن قرب من تدعوه؟..

* * *

هَلْ نحنُ مُخْلِصُونَ للّٰه؟

الليلة ٨٤٧

• فالمخلص لا يُعجَب بنفسه ولا يغتــرُّ بعمله.. بل يعمل ويخشى أن لا يتقبَّل اللّٰهُ منه..

والمخلص لا يحب أن يظهر عمله أمام الناس..

ـ كــان **عمرو بن قيــس** إذا بكى حــوَّل وجهــه إلى الحائــط.. ويقول لأصحابــه: «**هذا زكــام**».. ولا يحب الثنــاء ولا المديح.. بــل يفرّ من الشهرة.. لعلمه أنها ربما أفسدت عليه الإخلاص..

ـ ويقول **أيوب السختيانــي**: «واللّٰه ما صدق عبــدٌ.. إلا سَرَّهُ أن لا يشعر أحد بمكانه»!..

• والمخلص للّٰه يحب انتشار الخير.. سواء كان ذلك على يده أم على يد غيره..

ـ يقول **الإمام الشافعي**: «وددتُ أن كل علم أعْلمهُ.. يعلمهُ الناسُ.. أؤجر عليه.. ولا يحمدوني»..

• ولا ينتقِصُ جهود الآخرين.. ليُظهِــرَ جهده وفضله عليهم.. ولا يضيق بالنقد.. بل ينظر فيه.. فإن كان صحيحاً أعلن عن تراجعه وشكَرَ الناقدَ..

• والمخلص لا ينقطع عن العمل إذا ما ذمّه بعض الناس.. لأنه لا يعمل لهم.. ولا يتأثر بقلة المستفيدين منه.. لأنه يسعى إلى مرضاة اللّٰه..

ـ يقول علي بــن الفضيل بن عيــاض لأبيه: يــا أبتِ! مــا أحلى كلامَ أصحاب محمد ﷺ!..

فقال: يا بني! **أتدري لِمَ حَلا؟**.

قال: لا..

قال: **لأنهم أرادوا الله به**..

ـ ويقول **العزُّ بن عبد السلام**: «الإخلاص أن يفعلَ المكلَّفُ الطاعةَ خالصةً لله وحده.. لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً..

ولا جلْبَ نفعٍ ديني..

ولا دفعَ ضررٍ دنيوي»..

ـ ويقول أحد العارفين: «ما جاهدتُ نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص»..

ـ قال **أحمد بن حرب** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عبدتُ الله خمسين سنة.. فما وجدتُ **حلاوة العبادة** حتى تركتُ ثلاثة أشياء:

تركتُ رضا الناس.. حتى قدرتُ أن أتكلَّم بالحق..

وتركتُ صحبة الفاسقين.. حتى وجدتُ صحبة الصالحين..

وتركتُ حلاوة الدنيا.. حتى وجدت حلاوة الآخرة»..

ـ وقال رجلٌ لمسلم بن سيّار: علّمني كلمة تجمع لي موعظة نافعة!..

فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه فقال:

«**لا تُرِدْ بعملك غيرَ من يملكُ ضُرَّكَ ونفْعك**»![1].

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٣٤).

مَنْ خَافَ اللّٰهَ

الليلة ٩٤٨

• يقول **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللّٰهُ:

مَنْ خاف اللّٰهَ.. أخاف اللّٰهُ منه كل شيء..

ومن خاف الناسَ.. أخافه اللّٰهُ من كل شيء.

ولو غيّرنا المقولة الشهيرة: «للجدران آذان».. بالمقولة الصحيحة: **«للملائكة أقلام».. لخرج لنا جيلٌ يراقب الله.. ولا يراقب الناس!..**

• يقول **الفضيل بن عياض**: من عرف أنَّهُ لله عبدٌ وأنَّه إليه راجع.. فليعلم أنه مسؤول بين يديه..

ومن عرف أنه مسؤول بين يديه.. فليعدّ للسؤال جواباً..

فاتَّقِ الله فيما بقي من عمرك.. يغفر الله لك ما قد مضى.. وما قد بقي من عمرك!..

• والكتابة مسؤولية كبرى أمام الله.. ورحم الله من قال:

ومـا مِـنْ كاتـبٍ إلَّا سَيَفنَـى ... ويُبقِـي الدَّهرُ مـا كَتَبَـتْ يداهُ

فلا تكتُـب بِكَفِّـكَ غيرَ شـيءٍ ... يسُـرُّك فـي القيامـةِ أن تـراهُ

والكتابة ليست على الورق فحسب.. فكلّ ما تسطّره على الفيس بوك.. والواتس آب.. وتويتر وغيره.. هو من ذات القبيل.. إن لم يكن أشد..

فالكلمة هنا تنتشر كالبرق الخاطف.. فحذارِ حذار يا إخوتي!..

• لا تجعل قلبك كالإسفنجة:

نصيحة قدّمها شيخ الإسلام ابن تيمية لأشهر تلاميذه، وهو ابن قيم الجوزية.. فيقول:

«لا تجعل قلبك للشبهات مثل الإسفنجة فيتشرّبها.. ولا ينضح إلا بها..

ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة.. تمرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها.. فيراها بصفائه.. ويدفعها بصلابته»..

فإذا كان ذلك في زمنهم فكيف الآن؟! والفضائيات للعقول غازية.. والشُبُهات بضاعة رائجة..

أفكارٌ دخيلة.. ومعلومات مكذوبة.. تحملها إليك بعض وسائل الإعلام.. وتراها في جوالك ليل نهار..

فخذوا حذركم.. وتعاملوا معها (بقلوب زجاجية)..

قلوب تعرّي الشبهات بصفاء الإيمان..

وعقول تدحضُ الباطلَ بفكرٍ وسطيٍ متزن..

فهل رأيت يوماً نهراً توقف عن الجريان إذا ما قام أحدٌ برمي القاذورات في جوفه؟!..

وهل شاهدت بحراً توقفت أمواجه إذا ما وضع أحد قدميه فيه؟!..

هل مررت يوماً بشجرة كسر جاهلٌ بعض أغصانها فتوقفت عن النمو؟!..

هكذا هم الشرفاء يكونون دائماً مثل ذلك النهر والبحر والشجرة!..

❋ ❋ ❋

تَمَّتْ إِزَالَتُك

الليلة ٩٤٩

• إذا كان البعض يتألم عندما يرى عبارة «**تمّـتْ إزالتك**»! ويُحذْف من مجموعة على النت.. فكيف يكون الأمر حين يطّلع الله على مجموعات المداومين على طاعته.. فلا يجده فيها؟!..

وكيف لو أن الله حذفـه من مجموعة أحبّائه وأصفيائـه.. لأنه وجده في مجموعة الغافلين؟!..

• وليس مقبولاً مـا يُطلقون عليه (مسموح لمن هو فـوق الـ ١٨ سنة).. فكأنما أباح الله لهؤلاء ما لم يُبح لمن هم أصغـر منهم.. لأن الله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]..

• وليس مقبولاً أن يُقال: (جرّبها ـ أي: الخمر أو المخدرات أو الزنى... ـ مرة واحدة فقط ولن تخسر).. لأن الله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١]..

• وليس مقبـولاً أن يُقال: (أنا ذنوبي صغيرة.. وأنـا أفضل من غيري).. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]..

• وليس مقبولاً أن يُقال: (هي دنيا.. نعيشها مرة واحدة).. فالله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]..

• فعندما تسترجع وتقول: «إِنَّـــا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُــونَ».. فأنت تقول في نفسك: أَنَا للهِ عَبْدٌ.. وَأَنَا إِلَى اللهِ رَاجِعٌ..

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ.. فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ..

وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ.. فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَسْؤُولٌ..

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ.. فَلْيُعِدَّ للسُّؤَالِ جَوَاباً..

• يقول أحدهم ـ وتنسب إلى التابعي الجليل سفيان الثوري رحمة الله ـ:

يا نفسُ تُوبي فإنَّ المَوْتَ قد حَانا ... واعْصِي الهَوَى فالهَوَى ما زالَ فَتَّانا
في كـلِّ يومٍ لنـا ميتٌ نشـيِّعُهُ ... نـرى بِمَصْرَعِـهِ آثـارَ مَوْتانـا
يا نفسُ ما لي وللأمـوالِ أتْرُكُها ... خلفي وأَخْرُجُ مـن دُنيايَ عُرْيَانا
مـا بالُنـا نتعامَى عـن مَصَائِرِنا ... نَنْسَـى بغفلتِنَا مَنْ لَيْـسَ يَنْسانا
أينَ الملوكُ وأبنـاءُ الملوكِ وَمَنْ ... كانـتْ تخرُّ لـه الأذقـانُ إِذْعَانا
صَاحَتْ بهم حادثاتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبُوا ... مستبدليـنَ من الأوطـانِ أوْطَانا
خَلَّـوْا مدائنَ كانَ العزُّ مَفْرَشَـها ... واستَفْرَشـوا حُفَراً غُبْـراً وقِيعَانَا
يا رَاكِضاً في ميادينِ الهَوَى مَرحاً ... ورافِلاً فـي ثيابِ الغِيِّ نَشْـوانا
مَضَى الزَّمانُ وولَّى العمرُ في لَعِبٍ ... يكفيكَ ما قَدْ مَضَى قد كانَ ما كانَا

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٥٠

يَدْخُلُها ابنُ آدمَ حيّاً..

• ليس بين المرء وبين ما يجد من إثم في هاتفه الذكيّ إلا جدار «مراقبة الله»..

فمنْ هدَمَ الجدار فقد تجرّأ..

وما أقبح الجرأة على الله!..

فاجعلوا جوّالاتكم شاهداً لكم لا شاهداً عليكم!..

يقول أحدُ مَنْ ابتُلي بالنظر إلى الحرام:

سمعتُ خشخشةً عند الباب!.. فانقطع نفسي.. وبلغت القلوب الحناجر!..

فأغلقتُ على الفور جهازي.. فإذا بها (هرة)!..

سبحان الله! ارتعدت فرائصه من خشخشة هرة.. ونسي أن له ربّاً عظيماً يراقبه ويراه..

نسِيَ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؟!..

• قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من خاف الله دلّه الخوف على كل خير»..

وليس (الخائف) من الله من إذا أراد أن يبكي عَصَر عينيه..

ولكن (الخائف) من ترك ما اشتهى من الحرام.. وهو يقدِر عليه!..

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾

[النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

ـ يقول أبو القاسم الدمشقي:

الخائف من خاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان.

ـ ويقول الدكتور مصطفى محمود رَحِمَهُ اللهُ :

«نحن لا نجد في عبادة الله ذُلّاً.. بل تحرراً وكرامة..

تحرراً من كل عبوديات الدنيا..

تحرراً من الشهوات والغرائز.. والأطماع والمال..

ونحن نخاف الله فلا نعود نخاف أحداً بعده.. ولا نعود نعبأ بأحد..

خوفُ الله شجاعة..

وعبادته حرية..

والذل له كرامة..

ومعرفته يقين..

وتلك هي العبادة»..

ـ ورأس الحكمة مخافة الله..

ـ قيل لرجل: كيف أنتَ في أمر دينك؟!

فقال: أمزِّقهُ بالمعاصي.. وأرقّعُهُ بالاستغفار!..

إنَّ الملوكَ إذا شَابَتْ عبيدُهُمُ — في رِقّهم، عَتَقُوهم عِتْقَ أبرارِ

وأنتَ يا خالِقي أوْلى بِذَا كَرَماً — قد شبْتُ في الرِّقِّ فاعتقْني مِنَ النَّارِ

• ومرّ أحد الصالحين برجل يشوي اللحم فبكى!..

فقال له: ما لكَ تبكي؟ أكنتَ محتاجاً للحم؟..

قال: لا.. ولكن أبكي على ابن آدم!..

يَدخل الحيوانُ النارَ ميتاً.. ويدخُلها ابنُ آدم حيّاً!..

الليلة ٩٥١

يُغْفَرُ لَكُم ما بينَ ذَلِك

• يقول ﷺ:

«افعلوا الخيرَ دهرَكم..

وتعرّضوا لنفحاتِ رحمةِ اللهِ..

فإن للهِ نفحاتٍ من رحمتِه يصيبُ بها من يشاءُ من عبادِه..

وسلوا اللهَ أن يسترَ عوراتِكم..

وأن يُؤَمِّنَ روعاتِكم»[(١)]..

• فقدِّموا دموع الندم واستغفار السحر..

والحقوا بالصحبة التي تطرق أبواب الجنة..

أدركوا قطار الصالحين قبل أن يفوتكم..

بادروا.. فما زال فى إيمانكم أمل..

وربكم على كثرة ذنوبكم يغفر الزلل..

والجنة تدعو المُعرضين منكم كل يوم بلا ملل..

فهل أنتم متعرضون لنفحات رحمة الله؟![(٢)]

• ما أجمل أن تستيقظ في الصباح.. شاكـراً لربك معترِفاً بفَضْله فتقول: **الحَمد لله الذي عافاني في جَسدي.. وردَّ علي روحي.. وأذِنَ لي بذكره..**

---

(١) رواه الهيثمي في: مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح..

(٢) د. عمرو الشيخ، هل أنتم متعرضون لنفحات رحمة الله؟!.

كُن على يقين أن هناك شيء ينتظرك بعد الصبر.. ليبهرك وينسيك مرارة الألم! ذلك وعد رّبي ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

• يقول أحد العارفين:

عندما كنتَ في معصية..

كنتَ في حالة جفاء مع الله تعالى..

أما بعد التوبة..

فقد أصبحتَ في حالة صفاء معه ﷻ..

وإنَّ ذكْرَ الجفاء في وقت الصفاء.. جفاء!..

فلا تتجرعْ في ذاكرتك أحداث المعصية..

حتى لا تراودك نفسك بمواقعة الذنب مرة ثانية!..

• يقول أحد العارفين:

إنّ نعمة الله تعالى أكثر من أنْ تُحصوها..

وإنّ ذنوبكم أخفى من أن تعلموها..

ولكن **أَصْبِحوا توّابين..**

وأمْسوا توّابين..

يغفر لكم ما بين ذلك..

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٥٢

هُوَ الله.. هُوَ الله

• أتظنّ أن الصَّالحينَ لا يُذنبون؟..

لا.. وألف لا..

ولكنهم استَتروا.. ولمْ يُجاهروا بالمعصية..

واستَغفرُوا ربهم.. ولَمْ يُصِرُّوا على ما فعلوا..

وأحسَنوا بعدَمَا أساؤُوا.. «**وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها**»..

فاعملْ صنيعهم تكن منهم بإذن الله..

• وإذا تكالبت عليك الذنوب والمعاصي.. فقل: غرَّني سترك المرخيّ عليَّ فظلمتُ نفسي..

وتذكَّر أنّ لك ربّاً رحيماً قال عن نفسه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]..

فلا تتردد في العودة إلى خالقك ومولاك..

فمهما تلوَّثْتَ بالخطايا والذنوب..

فإنَّ الذي ستَرَك وأنت منغمسٌ تحت سقف المعصية..

لن يفضحك وأنت تطير تحت جناح التوبة إليه!..

• والظلمة تحجب الضياء والنور..

لكنها لا تقوى على حبس دعوات مغمومٍ.. التجأ إلى مولاه بإخلاص ويقين..

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧].

فَبُثَّ شكواك إليه.. جَلَّ في علاه..

• وهذه قصيدة للشاعر محمد غالب الأحمدي بعنوان: (يا الله)..

أيَــذْكُـــرُنـــي وأنـــســـاهُ ... ولــيــس الــحـــبُّ إلَّاهُ؟!

وهــل لـلـقـلـبِ مِــنْ أحَــدٍ ... إذا مــا الــذَّنْــبُ أضْــنَــاهُ؟!

بـصـمـتِ الـلَّـيـلِ يحفظُني ... ويـــرعَـــانـــي (بـــعـــيـــنـــاهُ)

وأدعــــــوه فـيـسـمـعـنـي ... وتُــغــرِقــنـــي عَـــطَـــايـــاه

رحـــيـــمٌ لـيـس يَـتْـرُكُـنـي ... إذا مــا قــلــتُ أوَّاهُ

هـــو الله.. هـــو الله ... ومـــا لـــلـــروح إلَّاهُ

بَـعـيـدٌ لا أشــاهِــدُهُ ... ومـــلءُ الـعـيـنِ رُؤْيـــاهُ

قــريــبٌ لَــسْــتُ أُدْرِكُــه ... ولا تُـــدرَكُ خَـفَـايـاهُ

وفــي سمعي وفــي بصري ... دلــيــل أنَّــــه الله

هُـــوَ الله.. هُـــوَ الله ... ومـــا لـــلـــرُّوح إلَّاهُ!

إذَا مـا الـذَّنْـبُ عـذَّبـنـي ... وأرَّقَــــنِــــي بـلـيْـلاهُ

وذَكَّـــرَنـــي بِـتَـقْـصِـيـري ... ويــــأَسَــــنــــي لأنــــسـاهُ

أنــاجِــيــه عَـلَـى خَـجَـلٍ ... وأرْجُـــــوه وأخْـــشَـــاهُ

وأدْعُـــــوه لِـيَـرْحَـمَـنِـي ... فـيُـدركُـنـي بـرُحْـمَـاهُ

لـطـيـفٌ لا يُــؤَاخِــذُنــا ... وإنْ نـحـنُ عَـصَـيْـنـاهُ

رؤوفٌ لا يُـقَـاطِـعُـنـا ... وإنْ نـحـنُ قَـطَـعْـنـاهُ

هُـــوَ الله.. هُـــوَ الله ... ومـــا لـــلـــرَّوحِ إلَّاهُ

* * *

الليلة ٩٥٣

فِي الطَّرِيقِ إِلَى الله

• يقول الإمام الشافعي:

إنْ كُنْتَ فِي الطّريقِ إلَى الله فَاركُض..

وإنْ صَعُبَ عَليكَ فَهَرولْ..

وإنْ تَعبتَ فَامشِ..

وَإنْ لَم تَسْتَطِعْ كُلّ هَذا.. فَسِرْ وَلو حَبواً..

ولكن إياكَ إياك أن ترجع!..

• يقول أحدهم: لو أن السباق إلى الله (بالأقدام)..

لتصدّر السباقَ رشيقُ البدن!..

لكن السباق إلى الله (بالقلوب)..

فهنيئاً (لخفيّ العمل)...

• قيلَ للحسن: سبقَنا القومُ على «خيلٍ دُهُمٍ» ونحنُ على «حُمُرٍ معقرةٍ»!..

فقالَ: **إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم!..**

• ويقول سلمة بن دينار:

«ما أحببْتَ أن يكونَ معك في الآخرة فقدِّمهُ اليوم..

وما كرهتَ أن يكون معك في الآخرة فاتركْه اليوم»..

• ورحم الله من قال:

خَابَ الَّذِي سَارَ عَنْ دُنْيَاهُ مُرْتَحِلاً وَلَيْسَ فِـي كَفِّهِ مِـنْ دِينِهِ طَرَفُ
لَا خَيْـرَ لِلْمَـرْءِ إِلَّا خَيْـرَ آخِرَةٍ يَبْقَى عَلَيْهِ فَذَاكَ العِزُّ وَالشَّـرَفُ

• اذهب حيث شئت.. لكن لا تنس: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨]..

واعمَل ما شئتَ.. فهناك كتــابٌ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]..

• واليوم: يُقبل منك ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة: ٧]..

وغداً: لن يُقبل منك ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: ٩١]..

• تفكَّرْ في أحوالِ الناسِ واعتبر..

فمنهم مَنْ يودِّعُ الدنيا بـ(لا إلٰه إلا الله)..

ومنهم من يودِّعها بكلماتٍ فاجرة..

ومن حقِّكَ أن تعملَ في الدنيا.. حتى تطمئنَّ على مستقبلِكَ..

ولكن من واجبِكَ أن تعملَ للآخرة..

حتى تطمئنَّ أيضاً على مستقبلِكَ..

* * *

أتَدْرُونَ ما ثمنُ الحُبِّ فِي اللّه؟

الليلة ٩٥٤

• الحب في الله ثمنه.. أنْ يُخلص كل منا لأخيه..

وذلك بالمناصحة على الدوام.. يأمره بالمعروف.. وينهاه عن المنكر..

فهو له في نصْحه.. أتبعُ له من ظلّه..

ولهذا كان من دأب الصحابة حين يتفرقون.. أن يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

ـ سُئل أحد الصالحين: إلى أيِّ مدًى تحبُّ أخاك في الله؟..

فأجاب: إلى المدى الذي يجعلني أعطيه إحدى عينيّ.. معتذراً له عن الأخرى حتى أراه بها!..

ـ وكل محبة يقطعها الدهر إلا المحبة في الله..

فإنّ حبْلها ممدود إلى رياض الجنة..

فلا تحزن على ما سواها..

ـ وعندما تفقد شَيئاً في حَياتِك فلا تَجزعْ..

بلِ انظر إلَى السّماء وقل: «اللهم عَوّضني خَيراً مِنه»..

ـ اجعلوا قلوبكم مدينةً.. بيوتها الحب في الله..

وطرقاتها التسامح مع إخوتك في الله..

• هل يحبني اللّٰه؟

سأل أحد الصالحين نفسه يوماً: تُرى هل يحبني الله؟.. فقال:

تذكرتُ أن محبة الله تعالى لعباده تأتي لأناسٍ ذكرهم في كتابه الكريم..

قلّبتها في ذاكرتي لأعرض نفسي عليها.. علّي أجد لسؤالي جواباً..

ـ فوجدتُ أنه يحب (المتقين)..

ولا أجرؤ أن أحسب نفسي منهم!..

ـ ووجدتُ أنه يحب (الصابرين)..

فتذكرتُ قلة صبري!..

ـ ووجدته يحب (المجاهدين)..

فتنبهت لكسلي وقلة حيلتي!..

ـ ووجدته يحب (المحسنين)..

فما أبعدني عن هذه!..

عندها توقفتُ عن متابعة البحث.. فخشِيتُ ألا أجد في نفسي شيئاً يحبني الله لأجله..

وتفحّصت أعمالي.. فإذا أكثرها ممزوج بالشوائب والذنوب.. فخطر لي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]..

فهمتُ عندها أنها لي ولأمثالي فأخذتُ أتمتم:

«أستغفر الله وأتوب إليه.. أستغفر الله وأتوب إليه»..

لعلّي أدخل في (أحبابه)..

* * *

الليلة ٩٥٥

مَحْجوزٌ لِشَخْصٍ بَيْنَنا!

• الموت خلٌّ وفيّ.. ننساه ولا ينسانا!..

نرتّب السرير ونبرّد الغرفة..

لننعم بالموتة الصغرى!..

لاخلاف في ذلك!..

لكن هل رتّبنا أعمالنا.. وبرّدنا قبورنا بالطاعة..

لننعم بالموتة الكبرى؟!..

• رويدكم!.. لا يظننَّ أحدٌ أن له الخلود.. ولا دوام العمر..

فكم سيموت من خلق في هذا العام!..

وكم سيمرض من كان سليماً معافًى..

ويضعف من كان قويّاً شامخاً!..

• فلنغتنمِ الحياة قبل انقطاع العمل..

ولنطرح الحاجة بين يدي الكريم..

«اغتنِمْ خمساً قبلَ خمسٍ: حَياتَك قبلَ موتِك، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وفراغَك قبلَ شُغْلِك، وشبابَك قبلَ هَرَمِك، وغِناك قبلَ فقرِكَ»[١].

• ولا عجب أن يبكي هارون الرشيد.. أعظم ملوك الدنيا في عصره.. عندما سمع هذه الأبيات من أبي العتاهية:

(١) صحيح الجامع: ١٠٧٧.

خانَك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القَلْبُ الجَمُوحُ
لِدَوَاعِي الخَيْرِ والشَّرِّ ... دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هَلْ لمطلوبٍ بِذَنْبٍ ... توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنّما هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللهُ بنا أَنَّ ... الخَطَايَا لا تَفُوحُ
فإذَا المستورُ مِنَّا ... بينَ ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ
كَمْ رأينا مِنْ عَزِيزٍ ... طُوِيتْ عنه الكُشُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأرْ ... ضِ على قومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المرءُ يوماً ... جَسَداً ما فيه رُوحُ
بينَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ ... عَلَمُ الموتِ يلوحُ
كُلُّنا في غَفْلَةٍ والْـ ... ـمَوْتُ يغدو ويروحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ ... ـكينُ إنْ كنتَ تنوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإنْ عُمْـ ... ـمِرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

• قال أحدهم لصاحبه: دَفْنُ الميت عِبرة..

فأجاب: القبرُ الفارغ أكثرُ عِبرة..

فهوَ محجوزٌ لِشخص يعيش بيننا الآن!..

* * *

الليلة ٩٥٦

امْلأْ ميزانَ الحَسَنات

• إذا لم تستطعْ تفريغ ميزان السيئات..

فاملأ ميزان الحسنات بالأعمال الصالحات..

ذكرٌ.. وقرآنٌ.. وأعمالٌ خَيِّرات..

وقلِ: «الحمد لله».. «فالْحَمْدُ للهِ تَمْـلأُ الْمِيزَانَ.. وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ.. تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»(١)..

ـ ولو تعاملْنا مع أوقاتنا كأموالنا..

لما صرفْنا منها ساعة..

إلا فيما يغلب على الظن نفعه..

ولنحذرْ أن نكون ممن يقول غداً: ﴿يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١]..

ـ وطاعةُ السرّ هي عملية إصلاح لكل قلب عليل..

يقول حذيفة بن قتادة: «إن أطعتَ الله فى السرّ أصلـحَ قلبكَ.. شئتَ أم أبيْتَ»..

ـ ولصانع المعروف إجلالُ القلوب.. وثناءُ الألسن..

وحسْنُ العاقبة.. ونجاةٌ من المهالك..

فحاول أن تكون منهم..

---

(١) صحيح الترغيب: ١٨٩.

- **وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها:**

فمنْ ثواب الحسنةِ.. أنْ تعملَ حسنةً بعدها..

ومن عقوبة السيئة.. أنْ تعمل سيئةً بعدها..

فاعملْ بوصية الحبيب المصطفى ﷺ:

«**وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها**».. تنْجُ بإذن الله..

- إلٰهي! إن استغفارنا إياك مع إصرارنا على كثرة ذنوبنا.. لَلؤمٌ..

وإنَّ ترك استغفارنا على سعة رحمتك.. لعجزٌ..

ـ إلٰهي! كم تتقرب إلينا بالنعم على غناك عنا!..

وكم نتباعد عنك بالمعاصي على فقرنا إليك!..

ـ يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

من أيقن بحكمة الله ورحمته..

رأى يد الله تقوده إلى كل خير..

وتُبعده عن كل أذى..

* * *

الليلة ٩٥٧

رَوَائِعُ الخَلَوَات

• في الخلوة مع الله تعالى.. لا تحتاج إلى حجز موعد مسبق..

فكل الأوقات متاحة بين يديك!..

- في الخلوة مع الله.. لا تحتاج إلى اعتذار إنْ أطلتَ اللقاء..

فهو يحبك ويحب مناجاتك..

- في الخلوة مع الله.. لا تحتاج للاعتذار إنْ أنت كرّرتَ وألحّيت..

فالله تعالى يحب المُلحّين..

- في الخلوة مع الله.. لا تحتاج لأن تكــون صاحب حجة دامغة.. لتنال طلبك..

فهو يعلم بحاجتك قبل سؤالك..

- في الخلوة مع الله.. لن تُصاب بالإحراج لو دمعتْ عيناك.. أو تلعثمتِ الكلمات..

فالضعف بين يديه قوة وعزة..

- في الخلوة مــع الله.. يمكنك الاعتــراف بالخطيئــة.. دون خوفٍ من تبعات الاعتراف..

فهو يحب منك الاعتراف بما أذنبتَ!..

- في الخلوة مع الله.. تضعُ بين يديه حاجاتك وتمضي..

والله تعالى يدبّر لك ما يصلح حالك.. دون أن تشعر..

فطوبى لأصحاب الخلوات..

• والآن.. قارن بين الحديثين:

ـ يقول ﷺ: «سبعةٌ يُظِلُّهــمُ اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِــلَّ إلا ظِلُّه: ... ورجلٌ ذَكَر اللهَ (خالياً)، ففاضَتْ عيناه..»[١].

ـ والحديث الآخر الذي يقول فيــه ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أقواماً من أُمَّتي يأتونَ يومَ القيامةِ بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تِهامةَ بيضاءَ، فيجعلُها اللهُ هباءً منثوراً، أمَا إنهم إخوانُكم، ومــن جِلْدَتِكم، ويأخذونَ من الليــلِ كما تأخذونَ، ولكنهم قومٌ إذا (خَلَوْا) بمحارمِ اللهِ انتَهكوها»[٢].

فكم رفعتْ (الخلواتُ) أقواماً.. ووضعتْ آخرين؟!

• وإذا سئمتَ من الـ(ـو)جود لبُرْهةٍ..

فاجعل من (الواو) الكئيبة سيناً.. «فتداوي السأم بـ(السجود)»..

و إذا تعبْتَ من الصـ(ـعـ)ـود لِقمَّةٍ..

فاجعل من (العين) البئيسة (ميماً).. «فتداوي التعب بـ (الصمود)»..

* * *

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح الجامع: ٧١٧٤.

الليلة ٩٥٨

في هَدْأَةِ اللَّيْلِ رَكْعَتَان..

- الذاكر لله حيٌّ.. ولو يبست منه الأطراف..

والغافِل عن ذكر الله ميت.. ولو سعى بين الناس..

- ولا قيمةَ للدنيا بغيرِ قلبٍ متعلِّق بالله!..

يلجأ إليه إذا حزن.. ويحمده إذا فرح..

يعود إليه إذا أذنب.. ويشكره في كلّ حال..

- أما القلبُ البعيد عن الله.. فلن يفرح بإجازة.. ولن يبتهج بسفر..

لن يهنأ بمال.. ولن يستمتع بلهوٍ أو لعب..

- إنما الحياةُ لمن أحبّ الله حقّاً..

فهو راضٍ بقضاء الله.. سعيد بما أعطاه..

- وإذا أحببتَ أن تشعر بلذة العبادة.. وتنعم برضا الله.. وسعادة النفس..

فاقضِ يومك في طاعة الله..

واحرص على الإخلاص له في القول والعمل..

توكلْ عليه.. وراقبْه في السر والعلن.

- يقول أحدهم:

أنا مذنبٌ.. أنا مخطئٌ.. أنا عاصي　　　هو غافرٌ.. هـو راحمٌ.. هو كافي

قابَلْتُهُـنّ ثلاثـةً بثلاثـةٍ　　　وسَتَغْلِبَـنْ أوصافُـه أوصافـي

• ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

«خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء»..

• ولله دَرُّ الصدِّيق رضي الله عنه حين قال فـــي وصيته للفاروق عمر رضي الله عنه: «واعلم أن لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وأن لله عملاً في النهار لا يقبله في الليل».

• وفي هدأة الليل ركعتان..

في سكون الليل عني تَجْلوانْ..

وحشة اليأس وأحزان الزمانْ..

وتهاوت دمعتان..

خشعَ القلبُ فيهما.. وتسرْبل بالأمان..

فإذا الدنيا متاع فارغٌ..

وإذا المعاني ترتقي.. في سموٍّ وحنان..

وإذا نفحاتُ الرضا تسَّاقط.. من بارئ الأكوانْ..

في سكون الليل.. في ظل الأمان..

ركعتان.. ودمعتان!..

❊ ❊ ❊

الليلة ٩٥٩

أفْضَـلُ.. وأفْضَـلُ

• أفْضَـلُ القُـلُـوب: قَـلْـبٌ لَا يَغِـيبُ عَـنْـهُ ذكر الله..

وأفْضَـلُ النَّـاسِ: شَـخْـصٌ لَا يَـنْـسَـاكَ.. لأنَّـهُ يُحِـبُّـكَ فِـي الله..

وأفْضَلُ الأيَّـامِ: يَـوْمٌ يَـمُـرُّ بِـكَ بِـلَا ذَنْـبٍ..

وأفْضَلُ هَـدِيَّـة: دُعَـاءٌ يدعوه لك أحدهم.. وَ أنْـتَ لَا تَـعْـلَـم!.

• والقلب الذي يحنُّ إلى «بشرٍ» يئن..

والذي يحنُّ إلـــى «الله» يطمئن.. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

• **وأربعٌ تُحَلُّ بأربعٍ:**

الأولى: إذا ابتُليتَ بحب الشهوات.. فراجعْ حسابك مع الصلوات!..

فـــالله تعالـــى يقـــول: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [مريم: ٥٩].

الثانية: إذا أحسستَ بالشقاء وعدم التوفيق.. فراجعْ حساب برّك بأمك!..

فالله تعالى يقول: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢].

الثالثة: إذا شعرتَ بالضنك والاكتئاب.. فراجعْ حسابك مع القرآن..

فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]..

الرابعة: إذا أحســـستَ بعدم الثبـــات على الحق.. فراجـــعْ حسابك مع

مواعظ أهل الخير.. فالله تعالــى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]..

• وهذه نصيحة من طبيب قلب..

قــال الحسنُ لرجــلٍ: «داوِ قلبــكَ.. فإنَّ حاجــةَ اللهِ إلى العبــادِ صلاحُ قلوبِهم».

يعني: أنَّ مرادَهُ منهُم صلاحُ قلوبِهِم..

ولا صلاحَ للقلــوبِ حتَّى تستقــرَّ فيها محبــةُ اللهِ وخشيتُــهُ.. ورجاؤه والتوكلُ عليه..

فأصلحوا قلوبكم.. تَصلحْ لكم قلوبُ مَنْ حَوْلَكم..

• وكنْ مخمومَ القلبِ..

قيل لرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الناسِ أفضــلُ؟ قال: «**كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ**»..

قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُه.. فما مخمومُ القلبِ؟..

قال: «**هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ، ولا غِلَّ ولا حسدَ**»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٤١٦.

الليلة ٩٦٠

أَمَا استَحْيَيْتَ تَعْصِينِي؟

• إذا ما قالَ لِي ربِّي أما اسْتَحْيَيْتَ تعصيني؟
وتُخْفي الذَّنْبَ عن خَلْقي وبالعِصْيانِ تأتيني!
فكيف أجيبُ يا ويحي ومَنْ ذا سوف يَحْميني؟
أسلّي النفس بالآمالِ من حينٍ إلى حينِ
كأني قد ضمنتُ العيشَ ليس الموتُ يكفيني!
وجاءت سكرة الموتِ الشديدةُ مَنْ سيحميني؟
نظرتُ إلى الوُجوهِ أليس مِنهُم مَنْ سَيَفْديني؟
سأسألُ ما الَّذي قَدَّمتُ في دنيايَ يُنجيني؟
فكيفَ إجابتي مِنْ بعدِ ما فَرَّطْتُ في ديني؟
ويا ويحي أَلَمْ أَسْمَعْ كلامَ الله يَدْعوني؟
ألَمْ أسمعْ بِمَا قَدْ جاء في قافٍ وياسينِ؟
ألم أسمعْ مُنادِي الموتِ يَدْعوني يُناديني؟
فيا ربَّاه عبدٌ تائبٌ مَنْ ذا سَيُؤْويني؟
سوى ربٍّ غفورٍ واسعٍ للحقِّ يهديني
أتيتُ إليكَ فَارْحَمْني وثَقِّل في مَوَازِيني
وخَفِّفْ في جَزَائِي أنتَ أَرْجَى مَنْ يُجَارِيني

• هذه الأبيات لها قصة مع الإمام أحمد بن حنبل.. فقد جاءه شخص فقال له: يا إمام ما رأيك في الشعر؟..

قال الإمام: وأي شعر هذا؟..

قال الرجل:

إذا مـــا قــــال لـــي ربـــي أمـــا اســتــحــيــيــتَ تعصيني
وتُخفي الـذنـب عـن خلْقي وبـالـعـصـيـان تـأتـيـنـي؟!

فأخذ الإمام يردد الأبيات ويبكي.. حتى أصبح له صوتٌ كبكاء الأطفال.. وحتى قال تلامذته: كاد الإمام يهلك من كثرة البكاء![1]..

• فكيف أعمالنا إذا عُرِضت

نَسَجَ عطاءٌ السلمي ثوباً فأتقنه وحسَّنه.. ثم حمله إلى السّوق..

عَرَضه على أحد التجار فلم يعجبه، وقال: «إن فيه عيوباً كيْت وكيْت»..

فأخذه عطاءٌ وجلس يبكي بكاءً شديداً..

ندم التاجر على ذلك.. وأخذ يعتذر إليه.. ويعرض له في ثمنه ما يريد..

فقال عطاء: «ليس ذلك ما تظنّ.. إنما أنا عاملٌ في هذه الصناعة..

وقد اجتهدت في إصلاح هذا الثّوب وتحسينه حتى لا يوجد به عيب..

فلما عُرِض على البصير بعيوبه.. أظهر فيه عيوباً كنتُ عنها غافلاً..

فكيف أعمالنا هذه إذا عُرِضت غداً علــى رب العالمين؟! كم يبدو فيها من العيوب والنّقصان؟!».

• يقول الدكتور عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والله إنَّ الكفن ما فيه جيوب..

وإنَّ القبر ضيقٌ ومظلم.. ومَلِيء بالحشرات..

فماذا أعددنا لمثل ذلك اليوم؟...

* * *

(١) هذه القصة ذكرت في: ذيل طبقات الحنابلة (٢٩٩/١) ترجمة يحيى بن عبد الوهاب العبدي الأصبهاني.

الليلة ٩٦١

التَّوَافِهُ تَدُكُّ الحُصُون

• يروى أن قرويّاً أسرج حصانه ليذهب إلى المدينة..

وقبل أن يركب نظر إلى حدوات الحصان.. فوجد أنه قد سقط من أحدها مسمار..

فقال في نفسه: لا بأس! مسمار واحد لا يهم!.. ثم سافر..

وفي منتصف الطريق سقطت إحدى حدوات الحصان.. فقال: لا بأس! أستطيع السير بثلاث حدوات!..

ولما وصل إلى طريقٍ وعرٍ جُرحتْ قدمُ الحصان.. فأصبح يعرج ثم توقف وقد أنهكه التعب..

فما لبث أن ظهر له قطّاع الطرق.. ولأن الحصان لا يقوى على السير فقد سلبوه حصانه وكل ما معه من متاع..

وعاد إلى بيته كئيباً مشياً على الأقدام.. وهو يقول: بسبب تهاوني في إصلاح حدوة الحصان خسرتُ الحصان وما حمل!..

ندم لأنه أخطأ خطأً بسيطاً في حق حصانه.. فما بالنا نخطئ كل يوم في حق أنفسنا.. حتى تقودنا بدلاً من أن نقودها..

• لا تستهتر بصغائر الذنوب.. فالصغائر قد تعظم وتتحول إلى كبيرة إن أصر العبد عليها وواظب على ارتكابها.

وفي البخاري: من حديث أنس رضي الله عنه: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنْ كنا لنعدها على عهد الرسول ﷺ من الموبقات».

• وكما نهى الشرع عن كبائر الذنوب؛ نهى عن صغائرها.. قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

• وصغائر الذنوب كثيرة، والعلماء إنما يعدون صغارَ الذنوب صغائرَ إذا خلت من الاستخفاف بها والإصرار عليها.. وكانت مما يحزن عليه العبد ويندم.. وإلا فإنهم يعدونها مع الاستخفاف والإصرار من الكبائر.. كإطلاق البصر في المحرمات.. وسماع ما يلهي عن القرآن.. واللعب بما يصد عن الذكر.. وسوء معاملة الناس..

قال ابن القيم: «الإصرار على الذنب أقبح منه.. ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار».

• وغالباً ما يقع التهاون بصغائر الذنوب ظنّاً بأنها هفوات لا تُكتب على الإنسان ولا عقوبة فيها.. وهذا ظن خاطئ.. وصدق رسول الله ﷺ: «إيَّاكم ومُحقِّراتِ الذُّنوبِ، كقومٍ نزلوا في بطنِ وادٍ، فجاء ذا بعُودٍ، حتَّى أنضجوا خبزتَهم، وإنَّ مُحقِّراتِ الذنوبِ متَى يُؤخذُ بها صاحبُها تُهلِكُه»[(١)]..

فلا تغفل عما غفل عنه المجرمون فأذهلهم خطره يوم القيامة.. حيث قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٣].. وقال: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. قال سفيان الثوري: «سُئلوا حتى عن التبسم، فقيل: فيم تبسمتَ يوم كذا وكذا؟!».. ولهذا لما قرأ الفضيل بن عياض هذه الآية مرة قال: «يا ويلتاه! ضجّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر!»..

(١) السلسلة الصحيحة: ٣١٠٢.

أَسِيْرُ الخَطَايَا

الليلة ٩٦٢

• كان الإمام مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ يسير ذات ليلة في أحد شوارع البصرة.. فوجد رجلاً ملقى على ظهره يقول: «الله.. الله»..

ولما نظر إليه وجد بعض قطرات الخمر تسير من شفتيه.. فعلم أنه سكران..

فقال الإمام مالك: لأطهرنّ شفتيه حتى لا يخرج لفظ الجلالة من بين شفتين عليهما قطراتُ خمر نجسة.. ثم جاء بالماء وغسَّل الشفتين.. وقال: اللهم هذه إليك..

ذهب مالك إلى داره لينام.. ولما استغرق في نومه سمع هاتفاً ينادي ويقول له: يا مالك طهَّرتَ فمه من أجلنا.. فطهَّرنا قلبه من أجلك..

استيقظ الإمام مالك قبل الفجر وذهب إلى المسجد ليصلي الفجر كعادته إماماً بالناس.. ولما وصل مكان القبلة وجد عبداً يقول: يا رب! أنا واقف ببابك أَقَبِلْتَ توبتي فأهنّئ نفسي.. أم ردَدْتَها عليَّ فأعزي نفسي؟..

اقترب الإمام مالك منه وقال له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا الذي غسَّلت فمي بالأمس..

فسبحان من يجعل البحر الأجاج بفضله ريّاً.. ومن بهدايته يجعل الفاجر وليّاً..

• وأعظم حرب يمكن أن يخوضها الإنسان في حياته.. هي حربه مع ذاته ونهيها عن غيها.. يقول ابن نباتة السعدي:

أَسِيْرُ الخَطَايَا عِنْـدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... بِـهِ وَجَلٌ مِمَّـا بِهِ أَنْـتَ عَارِفُ

~~يَخَافُ ذُنُوباً لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا ... وَيَرْجُوْكَ فِيْهَـا فَهْوَ رَاجٍ وَخَائِفُ~~

~~فَمَنْ ذَا الذِيْ يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى ... وَمَا لَكَ فِي فَصْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ~~

فَيَا سَيِّدِي لا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي ... إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

~~وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا ... يَصُدُّ ذَوُو القُرْبَى وَيَجْفُو المُؤَالِفُ~~

لَئِنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الذِي ... أُرَجِّـيَ لِإِسْرَافِـي فَإِنِّـي لَتَالِفُ

• وإذا رأيتَ نفسك متكاسلاً عن الطاعة.. فاحذر أن يكون الله قد كرِهَ طاعتك..

لأن الله تعالى يقول: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

• هل تعرفون من هو «الضائع»؟:

الضائع هو الذي يبكي عندما يسمع أغنية حزينة.. تذكره بشخص يحبه وقد هجره.. ولا تنزل له دمعة حينما يسمع آية يتشقق منها الحجر مثل قوله تعالى:

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

* * *

الليلة ٩٦٣

هَلْ تَدْعُو لِقَلْبِكَ؟..

• وهل في النصوص الشرعية أدعية تخصُّ القلب؟:

قد يدعو أحدُنا بشتى أنواع الدعاء.. لكنه ينسى أن يدعوَ لأهمّ عضوٍ في جسده.. ألا وهو القلب!..

ـ فهناك في القرآن الكريم وفي السنة النبوية تخصيصٌ للقلب بالدعاء!..

فالله تعالى يقول: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]...

فهذا دعاء بسلامة القلب من الزيغ عن الهدى..

ـ ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وهذا دعاء بسلامة القلب من الغل.. وهو من أعظم أسباب دخول الجنة..

ـ والرسول ﷺ يقول: «يا شدَّادُ بنَ أوسٍ! إذا رأيتَ النَّاسَ قد اكتنزوا الذَّهبَ والفضَّةَ؛ فاكنزِ هؤلاء الكلماتِ: اللَّهمَّ! إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ، وأسألُك موجباتِ رحمتِك، وعزائمَ مغفرتِك، وأسألُك شُكرَ نعمتِك، وحُسنَ عبادتِك، (وأسألُك قلباً سليماً)، ولساناً صادقاً، وأسألُك من خيرِ ما تعلَمُ، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلَمُ، وأستغفرُك لما تعلَمُ؛ إنَّك أنت علَّامُ الغيوبِ»[1]..

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٢٢٨.

ـ وتقول أم سلمة ﵂: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[١].

ـ ويقول رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليَخْلَق في جوف أحدكم كما يَخْلَق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»[٢].

ـ وكان ﷺ يقول في دعائــه: «**اللهم اجعلْ في قلبي نــوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نــوراً، وعن يميني نوراً، وعن يســاري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً**»[٣].

ـ ويقول عبد الله بن مسعــود: كان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُنا هــذا الكلامَ: «**اللهمَّ أصلِحْ ذاتَ بينِنا، و(ألِّفْ بينَ قلوبِنا)، واهدِنا سُبُلَ السَّلامِ**»[٤].

• فهل ننسى.. بعد هذا.. قلوبَنا من الدعاء؟..

* * *

---

(١) صحيح الترمذي: ٣٥٢٢.

(٢) صحيح الجامع: ١٥٩٠.

(٣) رواه البخاري.

(٤) مجمع الزوائد (١٠/١٨٢) وإسناده جيد.

حَقِيقَةُ القُلُوب

• يقول أحد الحكماء: ابحث عَن قَلْبِكَ فِي ثَلَاثة مَوَاطِن..

أَوَّلُهَا: عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أوْ قِرَاءته..

ثَانِيهَا: فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَ الْعِلْم..

وثَالِثُهَا: عِنْدَ الْخَلْوَةِ مَعَ نَفْسِكَ وَ مُحَاسَبَتِهَا..

فَإنْ وَجَدْتَهُ.. فَاحْمَد اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ..

وَ إنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الثَّلَاثَةِ فَاسْأَل اللهِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْك بِقَلْبٍ..

فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ قَلْبٌ!..

• ويقولون: إذَا مَاتَ القَلْبُ.. ذَهَبَتِ الرحمة..

وَإذَا مَاتَ العقلُ.. ذَهَبَتِ الحكْمَة..

وَإذَا مَاتَ الضميرُ.. ذَهبَ كُلُّ شَيء..

• قال أحد العارفين لصاحبه: إن قلبي لا يرتاح لفلان!.

فردّ عليه: ولا أنا.. ولكن ما يدريك لعلّ اللهَ طمسَ على قلوبنا فأصبحنا لا نحب الصالحين!..

• قلوبٌ طَيِّبة:

ولا يَبُوحُ الوَرْدُ باحتياجهِ للمَاء..

فإما أنْ يُسقَى أو يَموت بهدوء..

والقلوب الطيبة مظلومةٌ على الدوام..

لأنها أسرع مَنْ يفتح الأبواب..

• حَذارِ من تلك القلوب:

ـ قلبٌ جاحد..

لا تتصل به.. كي لا يصطدم وفاؤك بغدره ونكرانه!..

ـ قلبٌ كاذب..

لا تتصل به.. كي لا تُصفع نيتك النقية الصافية بكذبه..

ـ قلبٌ منافق..

لا تتصل به.. كي لا تهتز مشاعرك ببشاعة مراوغته وحيله!..

ـ قلبٌ حقود..

لا تتصل به.. كي لا تتأثر طيبتك بحقده وسخطه!..

ـ قلبٌ أناني..

لا تتصل به.. كي لا تنتقل عدوى الـ «أنا» إلى روحك!..

فاحذر تلك القلوب كي لا تُعدى بمرضِها..

* * *

الليلة ٩٦٥

اسْأَلْه عِلْماً نَافِعاً

• قال أحدهم:

قلتُ مرة لشيخي: قرأتُ الكتاب ولم يعلق منه شيء بذاكرتي!..

فمدَّ لي تمرة وقال: امضغها.. ثم سألني: هل كبرت الآن؟..

قلت: لا..

قال: ولكن هـذه التمرة تقسّمت في جسمك.. فصارت لحماً وعظماً.. وعصباً وجلداً.. وشعراً وظفراً.. وخلايا أخرى!..

فأدركتُ أن كتاباً أقرؤه يتقسّم.. فيزيد معرفتي.. ويوسّع مداركي.. يعزّز لغتي.. ويهذب أخلاقي.. ولو لم أشعر(١)..

ولكن الكتاب لا يغني عن الشيخ والمعلم والأستاذ.. فقديماً قالوا: «من كان شيخه كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه»..

• فضل العالم

يُروى أن هارون الرشيد قدم الرقة.. فانشغل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة..

وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب.. فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له:

---

(١) الشيخ سلمان العودة.. بتصرف.

عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله المُلك لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان!..

• وكان **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا مُعلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب الى المساجد المهجورة، ونحوها، وامرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا مُعلم إبراهيم فهّمني.

• وها هو الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو الذي كان يملك من العلم ما يفوق التصور.. ومع هذا قال عن أدبه وعلمه:

كلَّما أَدَبني الدَّهْرُ ... أراني نقصَ عَقْلي
وإذا ما ازدَدْتُ عِلْماً ... زادَني عِلْماً بِجَهْلي

~~إنَّ الجمالَ الذي تسمو الأنامُ به ... العلمُ والفَضْلُ والآدابُ والكَرَمُ~~
~~ولا يَزِينُ الفَتَى إلَّا شمائلُه ... مَنْ عَظَّم الناسَ بينَ النَّاسِ يُحْتَرَمُ~~
~~وصورةُ المرءِ مرآةٌ لِصاحِبِها ... يلوح منها إليك المجدُ والشَّمَمُ~~
~~تَبقَى مع الدَّهْرِ تذكاراً تُخلِّده ... كما تُخَلَّدُ في تارِيخِها الأُمَمُ~~

• يقول أحدهم: «كل رجل أقابله هو أفضل مني بطريقة ما، ومن هنا أستطيع أن أتعلم منه».

• وتذكر دائماً:

إنَّ المُعَلِّمَ والطبيبَ كلاهما ... لاينصحانِ إذَا هُما لم يكرمَا
فاصبرْ لِدَائِكَ إنْ جفوتَ طبيبَه ... واصبرْ لِجَهْلِكَ إنْ جفوتَ معلِّما

* * *

ضَعِ القَلَمَ واهْجُرِ الكِتَابَة

• الكاتب يعشق القلم بلا شك!.. والقلم لا يهيم بأي كاتب ولا ريب..

بل إن القلم لو نطق لقال لبعض الكتّاب: (ضع القلم واهجر الكتابة).

- والكاتب يعشق القلم لأنه وسيلة تبليغ الخير للغير.. ووسيلة عرض أفكاره للناس.. يتواصل معهم.. يتألم لألمهم ويفرح لفرحهم..

- والقلم وسيلة للشهرة أيضاً.. فالبعض يكتب ليشتهر بين الناس..

• والقلم مغلوب على أمره.. لا يستطيع أن يعبر بصراحة.. أو ينطق بصدق.. ليقول لبعض من يكتب: (ضع القلم واهجر الكتابة)!..

ولكن لسان حال كثير من الأقلام يقول:

- ضع القلم واهجر الكتابة.. عندما تريد أن تحاد الله ورسوله ﷺ.. أو عندما تريد أن تشكك في دين الله.

- ضع القلم واهجر الكتابة.. عندما تنسى هموم أمتك.. فتساند أعداءها بكتاباتك.. وتحاول المساس بمعتقداتها وأمنها ووحدتها.

- ضع القلم واهجر الكتابة.. عندما لا يكون لك همٌّ إلا إخراج ذوات الخدور من خدورهن.. بغض النظر عن أين تكون مصلحتهن؟.

- ضع القلم واهجر الكتابة.. عندما تنطلق في كتاباتك من الهوى بغير نور من كتاب أو سُنة.

- ضع القلم واهجر الكتابة.. عندما تكتب لتعيش.. وابحث عن مهنة

أخرى.. فالكتابة رسالة.. وعقول الناس أمانة.. والقلم شاهد.. والموعد القيامة.. والله يحكم بين عباده[(١)].

• مسؤولية الكلمة مسؤولية عظيمة.. وهي إما أن تكون خيراً وبركة على المتكلم.. أو تكون وبالاً ونكالاً على صاحبها..

ومثل ذلك ما يتم كتابته.. ومن ثم يقرؤه الآخرون..

بل قد تكون الكتابة أحياناً أبلغ وأشد وأقوى من الكلام..

فكم من كلمة أفرحت وأخرى أحزنت!.. وكم مـن كلمة فرَّقت وأخرى جمعت!.. وكم من كلمة بَنَتْ وأخرى هدَّمت!.. وكم من كلمة أضحكت وأخرى أبكت!.. وكم من كلمة واستْ جروحاً وأخرى أحدثتْ حروقاً!..

• والله تعالى قرن الأمر بالقول المستقيم بتقواه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

ورسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا كَانَ يَظُـنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَـهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَـوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّـمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَـطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُـنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[(٢)].

• يقول أبو الفتح البستي:

تكلَّمْ وسدِّدْ مـا استطعتَ فإنَّما ... كلامُك حيٌّ والسكـوتُ جمادُ!
فإنْ لم تجدْ قولًا سديـداً تقولُهُ ... فصَمْتُكَ عن غيـرِ السَّدادِ سدادُ

***

---

(١) مصلح بن زويد العتيبي، ضع القلم واهجر الكتابة (بتصرف).

(٢) صحيح الجامع: ١٦١٩.

إذَا كُنْت مُعَلِّماً أو مُعَلِّمة..

• الناس تحب المعلّمة أو المعلّم الــذي يبتغي في عمله أساساً وجه الله تعالى.. ولا تحب المعلم الذي همُّه الدنيا فقط..

ـ تحب الذي يأتــي إلى المدرسة بحيوية ونشــاط.. ولا تحب من يأتي متأخراً متأففاً..

ـ تحب الذي يتعامل مع تلاميذه بعطف وحنــان.. لا من يتعامل معهم بالقسوة والقهر..

ـ تحب الذي ينوّع في عرض الدروس.. ولا تحب من يعتمد الطرق العقيمة.

ـ تحب المتفاني في تعليــم طلابه.. ولا تحب الذي همّــه متى تنتهي الحصة والدوام؟..

ـ تحب الذي يعدّ الدرس إعداداً جيداً.. ويشد انتباه التلاميذ.. ولا تحب الذي تراه مشمئزّاً مكتئباً كارهاً للتعليم..

ـ تحب من يطور نفسه ويثقفها بما هو جديد.. ولا تحب الذي يفقد أعصابه..

ـ تحب الذي يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ.. ويجعل التلاميذ يبدعون..

• فالمعلم الناجح هو الذي لا يقتصر على إيصــال المعارف إلى أذهان تلاميذه.. بــل يضع لهم خططــاً للدراســة تمكنهم أن يستغنــوا عنه.. ويُعَلِّمُوا أنفسهم مدى الحياة.

لــولا المعلمُ مــا قــرأتُ كتاباً ... يوماً ولا كَتَــبَ الحروفَ يَراعِي
فَبِفَضْلِهِ جُــزْتُ الفضــاءَ مُحَلِّقاً ... وبعلمــه شَــقَّ الظلامَ شُــعَاعِي

فالمعلم الناجح والمعلمـة الناجحة شموع كثيرة تحتـرق لتنير دروب الآخرين.. عطاء وآمالاً.. وتضحيات..

• يقول أحدهم في المعلم:

أشعلتَ روحَك في الآفاقِ مِصْبَاحَا ... ورُحْتَ تزرعُ في الأوطانِ أرْوَاحا
وَرُحْتَ تُوقِدُ في الأبدانِ مُفْتَخِراً ... عزيمةً تغمـرُ الأكـوانَ إصْبَاحا
وَرُحْتَ تبني مناراتِ العُلَا شهباً ... وتُوقِـدُ الحلـمَ آمـالاً وأفْرَاحا
حملتَ هَـمَّ بناءِ الجيـلِ مُتَّخِذاً ... مِنْ دَرْبِ أحمـدَ للأمجادِ مِفْتَاحا
وقفتَ نَفْسَك في ذاتِ الإلَه وما ... طَلَبْتَ شُـكْراً وتقديراً وأمْدَاحا
فما تَعِبْتَ وما كَلَّـتْ جَوَارِحُكم ... وما مَلَلْتَ ولكـنْ زدتَ إلْحَاحا
وما نظرتَ إلى أجرٍ وقد نَقَصَتْ ... حاجاتُ أهلٍ وما قالوا: لَقَدْ بَاحا
فأنتَ وحدَك في الميدانِ تُسْعِفُهُم ... حتَّى عُدِدْتَ أمـامَ الخَلْقِ جَرَّاحا
تبـاركَ اللهُ إذْ أعطـاكَ مَكْرُمَـةً ... فَصِرْتَ للشَّعْبِ قنديلاً ومِصْباحا
تحاربُ الجَهْلَ تَبْني الجيلَ مُفْتَخِراً ... تقـدِّمُ العِلْـمَ للطُّـلابِ أقْدَاحا
تُطَوِّعُ الدرسَ كي ترقَى بهم هِمَماً ... حتَّى يَصِيروا لِهذَا الشَّعْبِ أَرْبَاحا
فاهْنَأ فإنَّكَ في كلِّ الشـعوبِ دمٌ ... تبـثُّ فيهـا بحـولِ اللهِ أرْوَاحا

• وتقول الأستاذة سامية علي الردادي في قصيدة إلى المعلمة الأسطورة:

مُعَلِّمتـي.. يحـقُّ بـأنْ تَبَاهَـا ... فمهنتُهـا الشَّـريفةُ لا تُضاهـا
مُعَلِّمتـي.. وكم يكفيـكِ فَخْراً ... فبيـنَ النَّـاسِ فضلُكِ قـد تَنَاها
فأنـتِ لنا كَنُـورِ الشَّـمسِ حقّاً ... بعلمـكِ كنـتِ للدُّنيـا سَنَاها
لكِ التَّكريـمُ يا قمـرَ المَعَالي ... ففيـكِ تَجَمَّعَتْ زيـنُ الخِصَالِ
بِعِلْمِكِ قـد عَلَوْتِ اليـومَ قَدْراً ... فَقَـدْرُكِ بينَ كلِّ النَّـاسِ عالي
فَعُـذْراً ربَّـةَ الأجْيَـالِ عُـذْراً ... بحقِّـكِ لن يَفِـي اليـومَ مَقَالي

❋ ❋ ❋

الليلة ٩٦٨

وَطْأَةُ الِامْتِحَان

• اشتدت وطأة امتحانات بكالوريوس الطب والجراحة على ابنة الأستاذ الدكتور ربيع السعيد عبد الحليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورأى ما تعانيه من جهد وسهر.. وأرق وقلق.. وسألته أن يدعو الله لها ففاضت مشاعره بهذه الأبيات:

أُبُـنَـيَّـتِـي..! فـلـتَـفْـرَحـي.. قَـدْ مَـرّ وَقْـتُ الامـتـحـان
أَحـرَزتِ ـ مـاشـاءَ الإلٰـهُ ـ تـفـوقـاً فـاقَ الـبـيـان
وَحُـبِـيـتِ من فَـضْـلِ الإلٰـهِ مـهـارةً طَـوْعَ الـبـنـان
وغَـدَوْتِ يـا بنتَ الطَبيبِ طـبـيـبـةً.. طـابَ الـزّمَـان
بـنـتُ الـرّبـيـع «مُـقـيـمـةٌ» و«مُـعـيـدَةٌ».. بـدأ الـمِـرَان
وغـداً تُـدَرِّسُ فَـيْـضَ عِلْـ ـمٍ نَـافِـعٍ فـي كُـلِّ آن
وَتُـعِـيـدُ مَـجْـدَ «رُفَـيْـدَةٍ» وذَواتِ أخـلاقٍ حِـسَـان
إنَّ الـنـسـاءَ الـمُـؤمـنـا تِ لـهُـنَّ شـأنٌ أيُّ شـانْ
والـطَّـبُّ أنـبـلُ مـهـنـةٍ.. لـكـنَّ فـيـه رسـالـتَـانْ
طِـبُّ الـنِّـسـاءِ ودَعـوة تَـهـدِي إلـى بَـرِّ الأَمَـان
والـنَّـشءُ نَـالَ رِعـايَـةً قُـدْسِـيَّـةً.. دَوْمـاً يُـصـانْ
وَالـزَّوْجُ يَـسْـعَـدُ بالرِّضا ء وبِـالـكَـمَـالِ وبـالـحَـنـانْ
بِـصـلاحِـكُـنَّ يَـعُـودُ مَـجْـ ـدُ الـسـابـقـين ولا نُـهَـانْ

• ويقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصبر على طلب العلم:

ومنْ لم يـذق مرَّ التعلُّـمِ ساعةً تجرَّعَ نـارَ الجهلِ طـولَ حياتِهِ

ومن فاتَـهُ التَّعليمُ وقتَ شـبابهِ	فكبِّـر عليـه أربعـاً لوفاتـه
وَذَاتُ الْفَتَى ـ واللهِ ـ بالْعِلْمِ وَالتُّقَى	إذا لـم يكونَـا لا اعتبـارَ لذاتهِ

• ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

كل ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم..

وكل ما كان فيه من ذم للعبد فهو من ثمرة الجهل..

• ويقول الشافعيّ رَحِمَهُ اللهُ:

«ما تُقُرِّبَ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بعد أداء الفرائض.. بأفضل من طلب العلم».

* * *

الليلة ٩٦٩

أَدَبُ الطَّلَب..

• الثقافة تعلِّمك ماذا تتكلم..

والتربية تعلّمك كيف تتكلم..

والعقل يعلّمك بماذا تتكلم..

والأدب يجعل القلوب تصغي إليك عندما تتكلم..

ومن لم يتأدب بالأدب القرآني في الكلام.. وبالأدب النبوي في الخطاب.. فلن يعلّمه شيء!..

• فزكريّا عليه السلام لَم يَزِدْ على أن ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]..

همَسَ فيه بألمٍ.. خبّأه كلّ سنوات عُمره ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥]!..

لقدْ كان الهَمْسُ ليلاً.. في مكانٍ قَصيٍّ عن فُضول النّاس!..

هَمْس بِحاجَتِه الفِطرية لِمن بيدهِ مَقاليد الأمر.. ومفاتيح الفرَج!..

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]..

هَمَس بها لله وحده.. دون أن يَهتِك سِتر ما بينه وبين زوجِه..

بلْ قدَّم في أول الدُّعاء ضَعْفه.. فهو الذي ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ منه ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]!..

وهذهِ قمّة الرُّقي في العَلاقة الزوجيّة..

كأنّما يعتذر عن زوجته.. ويَحمل العِبء عنها..

ويَصفُ ضَعفه.. ويسأل ربَّه مَخرجاً..

سَتَر النّقصَ.. فأتمَّ اللهُ له الأمر على أجملِ ما يكــون..[١] إذْ جاءه يَحيى ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [مريم: ١٤].

• قال أحدهم: ما غلبتْني إلا جارية، كانت تحمل طبقاً مُغطّى..

فسألْتُها: ماذا في الطبق؟..

فقالت: **ولِمَ غطّيناه إذاً؟!..**

فأحرجتْني!..

فإذا رأيت أمراً مستوراً فإياك أن تكْشفه!..

فالرسول ﷺ يقــول: «**لا يسترُ عبدٌ عبــداً في الدُّنيا، إلَّا ستــره اللهُ يومَ القيامةِ**»[٢]..

والستّير من أسماء الله الحسنى: «**إنَّ اللهَ حييٌّ سِتِّيرٌ**» كما قال ﷺ..

والمؤمن الصادق يتحلّى من هذا الاسم بصفة الستر..

• قال الإمام مالك لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلّم الأدب قبل أن تتعلم العلم.. وقال ابن وهب: ما نقلنا من **أدب مالك** أكثر مما تعلَّمنا من علمه..

• قال حبيــب الشهيد لابنه: يا بنــي! اصحب الفقهــاء والعلماء، وتعلَّم منهم، وخذ من أدبهم؛ فإن ذلك أحب إليّ من كثير من الحديث.

• وقال بعضهم لابنه: يا بني! لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم.

* * *

(١) د. كِفاح أبو هَنُّود (بتصرف).

(٢) رواه مسلم.

الليلة ٩٧٠

أنْتَ خَيْرٌ مِنِّي

• يروى أن الحسن رضي الله عنه قال: إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا ذات مرة..

فقال له عيسى: استغفرْ لي.. أنت خيرٌ مني!..

فقال له يحيى: أنت خيرٌ مني..

فقال له عيسى: بل أنت خيرٌ مني.. سلّمتُ على نفسي..

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ٣٣].

وسلّم اللهُ عليك..

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ١٥][١]..

فانظروا إلى أدب الأنبياء.. وكيف عرفَ كلٌّ منهما فضلَ الآخر..

• كان أبو بكر المزني يقول:

إذا رأيتَ من هو أكبر منك فعظّمه.. وقل: إنه سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح...

وإذا رأيتَ من هو أصغر منك فعظّمه.. وقل في نفسك: إني قد سبقْتُه إلى الذنوب..

وإذا أكرمك الناس فقل: هذا من فضل الله عليّ لا أستحقه..

وإذا أهانوك فقل: هذا بذنبٍ أحدثْته..

---

(١) تفسير الطبري.

أين هذا مما يفعل البعض منا من طعنٍ وغمز ولمزٍ.. في أعراض العلماء والأفاضل من الناس؟!..

• روى الخطيب: عــن الشعبي، قال: أمسك ابن عبــاس بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنهما فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ قال: «إنا هكذا نصنع بالعلماء»[1].

• وقال الإمام الطحاوي رحمه الله فــي عقيدته: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يُذكَرون إلا بالجميل.. ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»..

• وقال الحافظ ابــن عساكر: «واعلم أنّ لحوم العلمــاء رحمة الله عليهم مسمومة.. وعادة الله فــي هتك أستار منتقصيهم معلومــة.. لأنّ الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم.. والتنــاول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم»..

وقال أيضاً: «ومن أطلق لسانــه في العلماء بالثلب ابتــلاه الله قبل موته بموت القلب»..

* * *

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/١٨٨).

الليلة ٩٧١

لِكُلِّ نعمةٍ حَاسِد!

• قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

• والحسد شعور عاطفي بتمنّي زوال قوة أو مُلْك أو ميزة من شخص آخر والحصول عليها.. أو يكتفي الحاسد بالرغبة في زوالها من الآخرين.. وهو بخلاف الغبطة.. فإنها تمنّي مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط..

• والحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء والأرض..

أما في السماء فحسد إبليس آدم عليه السلام.. وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل..

• والحسد داء منصف.. يعمل في الحاسد أكثر مما يعمل في المحسود..

• **ويقول** ﷺ: **«ولا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ: الإيمانُ والحَسَدُ»**[1]..

ويقول: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ـ أو قال: العشب»[2].

• وطاقة الحسد أشدّ عند الأقربين منك..

• فأطفئ نار الحاسدين بإخفاء مميزاتك عنهم..

فهناك نفوس ضعيفة.. حتى وإن كانت طيّبة..

ـ وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد..

(١) صحيح الجامع: ٧٦٢٠.

(٢) الترغيب والترهيب (٣٠/٤) وقال المنذري: حديث صحيح أو حسن.

فلا تُظهرْ ما فضّلك الله به لمن تخشى حسده..

- لا تخبروا الناس بكل جميلٍ لديكم..

فالبعض لديهم حُسن النية..

وكثير منهم لديه الحسد والغيرة!..

أما يوسف ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ [يوسف: ٧٧]..

ويعقوب ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [يوسف: ٨٤]..

ومريم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم ٢٦]..

- لا تبحْ لهم بما في نفسك..

فهنالك مَن يريد أن يحميك..

وهنالك مَن يريد أن يمحيك!..

- حافظ على عباداتك اليومية من صلاة، وقراءة قرآن، وقراءة المعوذات، وتقرب إلى الله ﷻ.. وتحفَّظ في حديثك.. ولا تذع هنا وهناك ما يحصل معك من أمور..

- اختر الناس الذين تجلس معهم للحديث عن نفسك.. وما يحصل معك.. ولا تتصرف أمام الناس بتصرفات تُحسد عليها.. كالترف في اللباس.. وصرف المال أمام الآخرين..

- وتعايشْ مع من حولك بمستواهم.. ولا يعني هذا أن يعيش الإنسان بحالة فقر وهو ميسور الحال.. ولكن عليه أن يُشعر من حوله بأن حالهم حاله.. وليترك الشخص التباهي والظهور على من حوله من الناس..

أيَا حاسداً لي عَلَى نعمتي ... أتَدْرِي على مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ على اللهِ في حُكْمِه ... لأَنَّك لم ترضَ لي ما وَهَبْ
فأخزاكَ ربِّي بِأنْ زادَني ... وسَدَّ عليك وُجوهَ الطَّلَبْ

الليلة ٩٧٢

رِسَالةٌ إلى طبيبٍ مُحْبَط!

• طبيب شاب ماهر اشتكى عليه ابن أحد المرضى.. وتبين لكل اللجان التي حققت في القضية أن الشكوى كيدية ولا خطأ ولا تقصير بدَرَ من الطبيب..

شعر الطبيب بالإحباط والاكتئاب.. وهو الذي مـا قصّر يوماً في خدمة ذاك المريض.. فكتبتُ له:

• اسمح لي يا بنيّ أن أحدّثك حديث الأب لابنه..

ـ ستواجهك يا بنيّ في دروب الحياة أشواك وصخور..

فلا تأبه بها.. ولا تلتفت إلى الوراء يوماً.. فتتجرّع ذكراها!..

ـ عرفتكَ قامةً شامخة بعلمٍ غزير.. وخلقٍ نبيل.. وثناءٍ من الناس عليك وفير..

عرفتك قلعةً.. تتكسّر على سفوحها نصالُ العادين..

وعرفتك شجرة باسقة.. لا تأبه برياح الكائدين.. ولا مكر الماكرين..

ـ فأنت في عين الله تعالى نفس رضيّة..

وهبك الله من عطاياه طاقةً وعلماً.. وخلقاً وفضلاً..

فنلتَ ثناء الناس في الأرض.. وما ذاك إلا من حب الله لك في السماء..

ـ أنت هبةٌ من الله لمرضًى.. يدعون لك في جنح الظلام..

وأنت في أعين الناس جميعاً صفحةٌ بيضاء.. لا يشوبها أثر من كائد ولا ماكر..

ـ وإذا كنتَ تشعر أن ثمةَ طعْن في سمعتك..

فلا تصدّق تلك المشاعر.. فكلُّ ذي نعمة محسود..

ـ وإذا كنتَ تحدّث نفسك: لماذا أنا يمسّني كيدُ شرير؟..

فتذكّر أنه ما نجا من كيد الماكرين أحد..

حتى حبيبك المصطفى ﷺ.. كادت له قريشٌ فخسئوا على ما كادوا..

وحتى أمك عائشة رضي الله عنها.. أصابها الكيد في عرْضها.. فبرأها الله من فوق سبع سماوات..

ـ فكن قويّاً كما عهدتك بإيمانك.. ولا تشغل نفسك بتوافه الأمور..

فما هذه إلا سحابة.. لن تُمطر إلا خيراً اختاره الله لك..

وأنتَ أسمى وأقوى من أن تحجب ضياءَ فضلك وعلمك.. سحابةٌ عابرة..

وأنت تزداد يوماً بعد يوم.. في أعين الجميع.. سموّاً وتقديراً واحتراماً.

ـ اجعل عملك في رضا الله.. وسر على دربه..

فقوافل العاملين المخلصين.. لا تنظر إلى أشواكٍ قد تدمي قدميها من حين إلى حين!..

فهي تنظر إلى السماء لا إلى الأرض.. وتحتسب الشوكةَ تشاكها أجراً عند الله..

فحبيبك المصطفى ﷺ يقول: **«ما يُصيبُ المُسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشَّوْكَةِ يُشاكُها، إلا كَفَّرَ اللّهُ بِها مِن خَطاياهُ»**..

ـ انفضْ غباراً هبّ عليك.. فما وجد له أرضاً تقلّه.. ولا سماءً تظلّه..

وقمْ شامخاً كما عهدتك.. بعطائك الفياض..

ـ حفظك الله يا بنيّ ورعاك.. وتحية من أبٍ ينهل من حنان أبيك..

* * *

الليلة ٩٧٣

حَلِيمٌ وسَفِيه

• لا تناقش السفيه فقد يستدرجك إلى مستــواه.. ثم يغلبك بخبرته في النقاش السقيم.. والجدال العقيم..

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال سفيهٌ لحكيم: لأشتمنّك شتيمة تدخل معك قبرك!..

قال: بل تدخل معك.. لا معي!..

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُخَاطِبُنـي السَّفيـهُ بـكلِّ قُبْحٍ ... فأكـرهُ أن أكـونَ لَـهُ مُجِيبـا
يزيـدُ سفاهـةً فأزيـدُ حِلمـاً ... كعـودٍ زادَه الإحـراقُ طِيبـا
إذا نَطَـقَ السَّفيـهُ فـلا تُجِبْـهُ ... فخيـرٌ مِـنْ إجابتـه السُّكوتُ
فـإنْ كَلَّمْتَـهُ فَرَّجْـتَ عنـه ... وإن خَلَّيْتَـهُ.. كمـداً يمـوتُ

• **هل أنت حليم؟:**

ـ قال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتيت مجلس أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجلستُ فيه..

فجاء رجلٌ فقام في ناحية المجلس.. فجعل يسبُّ أبا حنيفة ويشتمه..

فما قطع أبو حنيفة حديثه.. ولا التفت إلى كلامه..

ولا أجابه أحدٌ من أهل المجلس حتى فرغ أبــو حنيفة من كلامه.. فقام ليدخل داره..

فلما بلغ أبو حنيفة إلى باب داره وقف عند بابه واستقبل الرّجل..

وقال: هذه داري أريد الدخول.. فإن كنتَ مُستَتِـمّ باقي كلامك فأتِمّه.. حتى لا يبقَى شيءٌ مما عندك تخاف عليه الفَوت!..

فاستحيا الرجل، وقال: اجعلني في حِلّ (أي: مُتَحَلِّل مِنْ كُلِّ مَسْؤُولِيَّةٍ)..

فقال: أنت في حِلّ..

فما أجمل هذه الأخلاق!..

ـ يقول الأحنف بن قيس:

«إذا أردتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضبْه.. فإن أنصفك وإلا فاحذرْه»..

ـ ولا تدع موقف غضبٍ واحد يحرق صورتك أمام كل الناس.. ولا تكن كالذي كسر المنبه.. لأنه أيقظه!..

* * *

الليلة ٩٧٤

كنْ كَلَاعِبٍ لَا كَحَكَم..

• مِنَ الناس مَن يهوى النقد الجارح والتقريع اللاذع..
يفتش عن الأخطاء والهفوات..
ويُصدر عليها الأحكام..
فكن في حياتك **كلاعبٍ.. لا حَكَماً من الحكّام..**
لأن الأول يبحث عن الأهداف..
والآخر يبحث عن الأخطاء!..
ومَنْ حرِصَ على تتبع زلات العلماء اجتمع فيه الشر كله..

• **لا تفتش عن عيوب الآخرين:**

ـ لا تراقب الناس.. ولا تتبعْ عثراتهم..
لا تكشف سترهم.. ولا تتجسس عليهم..
يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:
«ما من عبد يعيبُ على أخيه ذنباً.. إلا ويُبتلى به..
فإذا بلغك عن فلان سيئةً.. فقل: غفر الله لنا وله».
ـ اشتغلْ بنفسك.. وأصلحْ عيوبك.. فسوف تُسْأَل فقط عن نفسك لا عن غيرك!..
والله أرحم بهم منك ومن أنفسهم!.

ـ لا يمنعنّك ما تراه من عيوبٍ وأخطاء.. أن تكون سليم الصدر!..

انشغل بباطنك.. ودعْ بواطن الناس لله!..

قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم**»[1]..

قال الخطابي: «معناه، لا يزال يعيب الناس ويذكر مساوئهم.. ويقول: فسد الناس وهلكوا.. فإن فعل ذلك.. فهو أسوأ حالاً منهم فيما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة منهم».

قال مالك: إذا قال ذلك تحزُّناً لما يرى في الناس من أمر دينهم.. فلا أرى به بأساً.. وإذا قال ذلك عجباً في نفسه.. وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي يُنهى عنه».

ـ قيل للربيع بن الهيثم: ما نراك تعيب أحداً؟.

فقال: لست راضياً عن نفسي حتى أتفرّغ لذمّ الناس!..

ـ وإذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه.. فقد تمت خسارته..

* * *

(١) رواه مسلم.

كلُّ إناءٍ بالَّذي فيه يَنْضَحُ

• قلتُ مازحاً لصديقٍ: لقد نمتُ يوم أمس لمدة (٢٠) ساعة متواصلة!..

فقال: بدون أكل؟!..

وقلت لصديق آخر نفس الكلام فأجابني: بدون صلاة؟..

ردةُ فعلٍ تشرحُ حياةَ كل منهما!..

• ضع ضفدعاً على كرسّي من ذهَب.. ستجده يقفز للمستنقع..

هكذا بعضُ البشَر.. مهما ترفع شأنه سيعود للمكان الذي أتى منه..

فـلانٌ فـي الـوَرَى لَكَ شَـاتِمٌ وأنْتَ لـه دونَ الخلائـقِ تمدحُ

فقلـتُ: ذَرُوه مـا بـهِ وطباعـه فـكلُّ إنـاءٍ بالَّذي فيـه ينضحُ

• يقول ابن القيم:

«ومن حمل الناس على المحامل الطيبة، وأحسن الظن بهم:

سلمت نيته..

وانشرح صدره..

وعوفي قلبه..

وحفظه الله من السّوء والمكاره»[١].

• ومَنْ يتجاوز عن الإساءة.. قد لا يكون عاجزاً عن ردّها..

ولكنه عرف قدْر المسيء.. فتجاهله!..

(١) مدارج السالكين (٢/٥١١).

وعرف قدْر نفسه.. فارتقى بها عمّا لا يليق..

- ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «من تزيّن بما ليس فيه.. شانَـهُ اللهُ»!..

فمن تزيّن للناس بما ليس فيه من الدين والعلم وغير ذلك..

فقد جعل نفسه عُرضةً للسؤال عنها..

فإن لم توجد عنده افتضح..

فيشينه ذلك بعد أن ظنّ أنه يزينه..

وقد أخفى عن الناس ما أظهر لله خلافه..

فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهم..

***

الليلة ٩٧٦

بينَ أهْلِ الفَرْضِ وأهْلِ الفَضْل!..

• أهلُ الفرْض كثيرٌ من المسلمين.. وأهلُ الفضل قليلٌ من المحسنين!..

ـ أهل الفرْض يصومون رمضان ويفطرون بقية العام..

وأهل الفضل يصومون الأيام البيض والاثنين والخميس ويوم عرفة وعاشوراء..

ـ أهل الفرْض يُصلّون الفرائض دون نقصان..

وأهل الفضل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

ـ أهل الفرْض ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧].. وأهل الفضل إذا ما ظُلموا هم يُحسنون..

ـ أهل الفرْض يقابلون الحسنة بالحسنة.. والسيئة بالسيئة..

وأهل الفضل يقابلون الحسنةَ بأحسن منها.. والسيئةَ بالحسنة..

ـ أهل الفرض يُخرجون زكاة مالهم فقط..

وأهل الفضل: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة: ٢٧٤]..

ـ أهل الفرْض «يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه»..

وأهل الفضل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]..

ـ أهل الفرض يطمعون في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]..

وأهل الفضل يتنافسون على قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].. فاللهم اجعلنا من أهل الفضل يا أكرم الأكرمين!..

• فالأجلّاء هم الذين يعرفون فضل بعضهم البعض.. وكذلك كلُّ موفق بتوفيق الله..

ـ ولا يطعن في أهل الفضل إلا مخذول..

ولا يبغضهم إلا ساقطٌ مرذول..

وكما قيل قديماً: «لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل».

ـ كان الخليفةُ المأمون قد عهد إلى الإمام الأديب النحوي يحيى الفرّاء أن يلقّن ابنيه النحو..

وذات يوم أراد الفرّاء أن ينهض إلى بعض حوائجه.. فابتدرا إلى نعْل الفرّاء يقدمانها له.. فتنازعا أيهما يقدّمها.. ثم اتفقا على أن يقدّم كل واحد منهما «فردةً».. فقدماها.

وصل الخبر إلى المأمون.. فاستدعى الفراء.. فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟.. قال: ما أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين..

قال: بلى.. مَنْ إذا نهض.. تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين.. حتى رضي كل منهما أن يقدم له فردة.

قال: يا أمير المؤمنين.. لقد أردتُ منْعهما من ذلك.. ولكن خشيتُ أن أدفعهما عن مَكْرُمَةٍ سبقا إليها.. وأكسر نفوسهما عن شريفةٍ حرصا عليها[1]!..

لا يَعرِفُ الفَضلَ لأهلِ الفَضلِ ... إلا أُولو الفَضلِ مِن أَهلِ العَقلِ
هَيهاتَ يَدري الفَضلَ مَن لَيسَ لَهُ ... فَضلٌ ولو كانَ من أَهلِ النُّبلِ

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب (١٥/١٤)، والوفيات، لابن خلكان (٢٢٨/٢).

الدَّعْوَةُ الصَّامِتَة

الليلة ٩٧٧

• مبتعثان عربيان في بريطانيا يتحدثان العربية والإنجليزية..

كانا يتحدثان العربية طالما كانا بمفرديهما.. وحينما يأتي صديقهما البريطاني يتحولان إلى الإنجليزية..

حدث هذا عدة مرات.. فتعجّب صديقُهما البريطاني من ذلك الفعل.. فأراد أن يستفسر ويعرف السبب..

فقالا له: نهانا نبينا ﷺ أن نتحدث سويّاً بلغة لا يفهمها ثالثنا..

فما كان منه إلا أن قال: نبيكم هذا حضاري جدّاً!..

عكف الإنجليزي على دراسة الإسلام وأسلم بعد ستة أشهر.. وكان من كلامه: «أول شيء وقع في قلبي هو ذوق الإسلام في التعامل مع الآخرين»..

فديننا دين جميل.. ولكن علينا أن نُحسن ممارسته.. ونحسن تبليغه..

فقد انتشر الإسلام في كثير من بلدان الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام..

• وهذا السير توماس أرنولد وهو مستشرق بريطاني ألَّف كتاباً بعنوان «الدعوة إلى الإسلام».. وقد قام في هذا الكتاب بالتعريف بدين رسالة الإسلام وامتداده.. وما يدعو إليه الإسلام.. والطريقة التى يدعو بها القرآن.. وهي الأمر بالمعروف والإقناع.. والنهي عن القوة والإكراه في تحويل الكفار.. ويستعرض الكتاب حياة محمد ﷺ باعتباره الداعية إلى الإسلام.. متتبعاً انتشار الإسلام بين الشعوب المسيحية في آسية الغربية.. وانتشاره بين مسيحي إفريقية.. ومسيحيى إسبانيا وأوروبة

المسيحية في عهد الأتــراك.. وفي فارس وأوسط آسيــة.. وكيف انتشر الإسلام بين المغول والتتار حتى وصل إلى الهند والصين..

فكان الكتــاب وثيقة تاريخية كبرى في غايــة الأهمية من مستشرق غير مسلم متبحر في البحث عن الحقيقــة.. وثيقة تثبت بجلاء خرافة انتشار الإسلام بالسيف[١]..

• سئل الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حكم تارك الصلاة؟..

فقال: حُكْمه أن تأخذه معك إلى المسجد!..

فكن داعياً.. ولا تكنْ جلّاداً أو قاضياً!..

• يقول أحد الصالحين: «إن الفقيه كل الفقيــه الذي لا ييئّس الناس من رحمة الله.. ولا يجّرئهم على معاصي الله»..

• ويقول بعض السلف:

«لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا مَنْ كان:

فقيهاً فيما يأمر به.. فقيهاً فيما ينهى عنه..

رفيقاً فيما يأمر به.. رفيقاً فيما ينهى عنه..

حليماً فيما يأمر به.. حليماً فيما ينهى عنه»..

• فهل نسعى إلى ما بشّر به الحبيــب المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«فو اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بكَ رجلاً واحداً، خيرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حمرُ النَّعَمِ»**[٢].

* * *

(١) اقرؤوا الكتاب فهو موجود على النت..

(٢) رواه البخاري.

الليلة ٩٧٨

بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْج

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ الْهَرْجَ»..

قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟..

قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ»..

قَالُوا: أَكْثَرَ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ؟..

قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُم الكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ»..

قَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ! وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟..

قالَ: «لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ»[1]..

أليس هذا ما يحصل الآن؟..

• قال حذيفة رضي الله عنه: «إياكم والفتن.. لا يشخُص إليها أحد.. فوالله ما شخَصَ فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيلُ الدمنَ..

إنها مُشبهةٌ وهي مقبلة.. وتُبينُ وهي مدبرة.. فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم..

وكسّروا سيوفكم.. وقطّعوا أوتاركم»..

قال شمر: «معناه: أن الفتنة إذا أقبلت شبُهتْ على القوم..

(١) السلسلة الصحيحة: ١٦٨٢.

وأرتْهم أنهم على الحق حتى يدخلوا فيها.. ويركبوا منها ما لا يحل..
فإذا أدبرتْ وانقضتْ.. بانَ أمرُها.. فعلِم مَنْ دخل فيها أنه كان على الخطأ»[١]..
• يقول التابعي الجليل طلْق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى..
قالوا: وما التقوى؟.
قال: أن تعمل بطاعة الله.. على نور من الله.. ترجو ثواب الله..
وأن تترك معصية الله.. على نور من الله.. تخاف عقاب الله»[٢]..
وكان طلقٌ يقول في دعائه:
اللهم إني أسألك علم الخائفين منك..
وخوف العالمين بك..
ويقين المتوكلين عليك..
وتوكّل الموقنين بك..
وإنابة المخبتين إليك..
وإخبات المنيبين إليك..
وشكر الصابرين لك..
وصبر الشاكرين لك..
ولحاقاً بالأحياء المرزوقين عندك»..

جسَّ الطبيبُ يدي جَهْلاً فقلتُ له ... إنَّ المُصابَ بقومي خلِّ عنك يدي
إنَّ المُصابَ بإخواني وهُم جَسَدٌ ... وللمصاب تَداعَى سائرُ الجَسَدِ

* * *

(١) لسان العرب (١٣/٥٠٣).
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٩٦).

الليلة ٩٧٩

فَسَادُ الأُمَم

• كَتَبَ رَجلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنِ العِلْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:

«إِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ أَخِي، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ..

كَافِيَ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ..

خَامِصَ البَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ..

لازِماً لِجَمَاعَتِهِمْ، فَافْعَلْ»..

فما أحوجنا إلى مثل عمر وابن عمر رضي الله عنهما في هذه الأيام!..

• يقول محمد بن يوسف ـ أحد كبار رواة الحديث في القرن الثاني الهجري ـ:

«ليس هذا بزمانٍ يُبتغى فيه الفضل.. هذا زمان يُبتغى فيه السلامة!»..

فإذا كان هذا في القرن الثاني للهجرة.. فماذا نقول الآن؟!..

• يُروى عن الأصمعي أنّه قال:

«كنتُ أمشي في السوق، فرأيتُ رجلاً مرّ بحمّالٍ مسكين يحمِلُ سلّة رُمّان، فاختطفَ مِنه رمّانة، وخبّأها في ثوبه ومضى.

فعجبتُ مِنْ ذلك..

ثمّ تبعتُ الرجلَ، فبينما أنا خلفَه إذ مرّ على مِسكين يسألُ الناسَ، فأخرجَ الرمّانةَ، فناولَهُ إيّاها ومَضى، فتبعتُه، وقلتُ له:

يا هذا، رأيتُــك اختلســتَ رُمّانةً من حمّــالٍ مسكيــن، وأعطيتَها ذلكَ المسكين!..

فقال الرجلُ متعجّباً مِني:

أما علِمتَ أننــي أخذتُ الرمانةَ مــن الحمّال المسكيــن، وكانتْ سيئةً واحدةً، فأعطيتُها ذلك الفقيرَ المسكين، فأصبَحتْ عشر حَسناتٍ؟!..

قال الأصمعي:

أما علمتَ أنك أخذتَها سيئةً، وأعطيتَها فلمْ تُقبلْ مِنكَ، لأنّها حرامٌ، والله طيّب لا يقبلُ إلا طيباً؟!»..

فكم من الناس من قاس هذا القياسَ الفاسد.. فوقعَ فيما حرَّم الله!..

• وقد أُضيفَ لفظ «الجاهلية» في القرآن إلى أربع كلمات:

١ ـ ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]..

٢ ـ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]..

٣ ـ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]..

٤ ـ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح: ٢٦]..

فالأول: يأتي في **فساد الحكم..**

والثاني: في **فساد العقيدة..**

والثالث: في **فساد الأخلاق..**

والرابع: في **العصبيات والقبليات..**

وما استفحلت هذه الأربعة في أمّة.. إلا أدّت إلى ذلّها.. ثم فسادها وهلاكها!..

* * *

الليلة ٩٨٠

اصْطَفَاهُم مِنْ عِبَادِه

• من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا .. ﴾

[فاطر: ٣٢ ـ ٣٣].

فقد بيّن تعالى في هذه الآية أن الذين اصطفاهم من عباده هم ثلاثة أقسام:

ـ **الأول**: (**الظالم لنفسه**): وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أيضاً..

فهو الذي قال الله فيه: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾

[التوبة: ١٠٢].

ـ **والثاني**: (**المقتصد**): وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه.. ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات..

ـ **والثالث**: (**السابق بالخيرات**): وهو الذي يأتي بالواجبات ويجتنب المحرمات.. ويتقرب إلى الله بالطاعات والقربات التي هي غير واجبة..

• هل أنت ممن اختصّهم الله برحمته؟:

قالَ تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

نعم اختصك الله عزّ وجلّ برحمته!.

ـ **ألم يصطفيك أن كنتَ مسلماً**.. وحولك مليارت البشر..

منهم من يعبد البقر.. ومنهم من يعبد البشر!..

وكثير منهم لا يعرف له ربّاً خالقاً!..

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [الأنعام: ١٦١]..

ثم اصطفاك تعالى مرة أخرى.. فوفّقك **لاتباع سُنة نبيه** ﷺ..

وحولك من يحارب السنّة ويزعم أنه مسلم!..

ـ واصطفاك ثالثاً **بنعمة السمع والبصر**.. ولو شاء لسلبها منك.. ولن تجد من يردها إليك.. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦]..

فلِمَ السخط؟ ولم الضجر؟ وأنت ممن اصطفاهم الله؟..

فاحمد الله تعالى في كل حال.. واسألْه دوام تلك النعم..

• يروى أن الحافظ ابن حجر العسقلاني.. حينما كان قاضي القضاة مرّ يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة راكباً بغلته.. إذ هجم عليه يهودي زيّات وأثوابه ملطّخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة.. فقبض على لجام البغلة.. وقال: يا شيخ الإسلام، تزعم أن نبيكم قال: «الدُّنيا سِجْنُ المؤمِن وجَنَّة الكَافِر»[1] فأيُّ سجن أنت فيه؟ وأيُّ جنة أنا فيها؟..

فقال الحافظ: أنا بالنسبة لما أعدّ الله لي في الآخرة من النعيم كأني في سجن.. وأنت بالنسبة لما أعدَّ اللهُ لك من النكال والعذاب كأنك الآن في جنة.

فأسلم اليهودي.

* * *

(١) رواه مسلم.

الليلة ٩٨١

البَلَاءُ بِالعَطَاء

• ليس بالضرورة أن يكون البلاء بالحرمان!..

بلْ أعظمُ البلاء يكون بالعطاء!..

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؟!..

أي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا..

وبما يجب فيه الشكر من النعم..

• وأجمل عزاءٍ في البلاء.. أن الله كتبَ على العسر أنْ لا يدوم..

وأنَّ بعد الضيق مخرجاً وفرَجاً!..

وقد يهبُّ غبارٌ.. فينتهي بكثيرٍ من المتذمّرين!..

ويعقبه صفاءٌ.. فلا يفطن إلى تلك النعمة إلا القليل! ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]..

• فإذا كان الغبار قد أحزنكَ عندما ملأ بيتك.. وحملْتَ همّ مسْحِهِ وتنظيفه..

فكيف بقلوبٍ رانَ عليها غبارُ المعاصي وذنوبُ الخلوات؟!..

• وعندما ينزل فيك البلاء ينظر الله إلى قلبك..

فإن عَلِمَ منك الرضا.. يُجازيك بأمْرين: يُهوّن عليك البلاء.. ثم يُرضيك..

• يقول أحد الصالحين: يا ابــن آدم، لا تدري أي النعمتين عليك أفضل: نعمته فيما أعطاك.. أو نعمته فيما زوى عنك..

ولكن ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]..

والرسول ﷺ يقول: «**لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل!**»..

قالوا: يا نبي الله! وكيف يستعجل؟..

قال: «**يقول: قد دعوتُ ربي فلم يستجبْ لي**»[1].

• فلا تستثقلْ زمن البلاء..

ولا تملّنَّ من كثرة الدعاء..

فإنك مُمتَحنٌ بالبلاء..

مُتعَبَّدٌ بالصبر والرجاء..

ولا تيأسنَّ من روح الله..

مهما طال زمن الشقاء والبلاء..

وتذكَّر قول يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

فأعطاه الله سؤْلَه..

• سئل الإمام الشافعي: أي الأحوال أحب إلى الله: العطاء أم البلاء؟..

فقال: ما جاء العطاء إلا بعد البلاء.. فاصبر على البلاء تبشر بالعطاء!..

فالله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

* * *

(١) مسند أحمد.

قصة إسلام الطبيب الأمريكي «لورانس براون»..

• يتحدث الدكتور براون عن قصة إسلامه فيقــول: «رُزقت بطفلة تعاني من آفة خلقية في القلب..

أخبروني أن الطفل المصاب بهذا المرض يحتاج إلى عملية جراحية في القلب، ثم بعد عدة سنــوات يُفتح القلب من جديــد وتجرى له عملية أخرى.. وهكذا..

يقول: حين عرفتُ حالتها شعرت وللمــرة الأولى في حياتي أنني عاجز عن فعل أي شيء..

أُخذت الطفلة مباشرة للعناية المركزة.. ولونُ جسمها من الصدر فما دون، أزرق! لأن جسمها لا يصله الأكسجين.. وهذا يعني أنها ربما تموت..

عندما رأيتُ هذا المنظر شعرتُ أنني وللمــرة الأولى في حياتي بحاجة إلى القوة العظمى!.. فقد كنتُ ملحداً قبل ذلك..

كان عليّ أن أغادر غرفــة العناية المركزة.. وتركــتُ ابنتي مع فريق من الأطباء المتخصصين في مستشفى جامعة جورج واشنطن..

توجهتُ ولأول مرة في حياتي لغرفة العبادة المجاورة.. ثم صليتُ صلاة أهل الإلحاد وقلت فيها:

«يا رب إذا كنتَ موجوداً فأنا أريد مساعدتك».. وأعطيتُ عهداً لخالقي في ذلك اليوم.. وكان ذلك العهد (إذا أنقذ حيــاة ابنتي وهداني للديانة التي يرتضيها فسأتّبع هذا الدين)..

كل هذا استغرق مني (١٥) أو (٢٠) دقيقة..

وعندما عـدتُ إلى غرفة العنايـة المركزة رفع الأطبـاء وجوههم إليّ.. فرأيتُ في وجوههم أن شيئاً ما قد تغيّر!..

كانوا لا يدركون ما الذي حدث! كأنهم مصدومين!..

وحين أقبلتُ عليهم قالوا لي: سوف يكون وضعها جيداً.. ولن تموت!.. وسوف تصبح طفلة طبيعية جدّاً! ولن تحتاج إلى عملية ولا إلى دواء!..

قال أحدهم: في البداية أظهر إيكـو القلب عندها المشكلة العظيمة التي أخبرناك عنها.. أما الآن فهي طبيعية جدّاً!..

حاول الأطبـاء أن يشرحوا لـي كيف حدث هـذا.. فقلـتُ لهم: هذه الشروحات قـد تنفعكم أنتـم.. ولكنها لا تنفعني أنـا!.. لأنني صليتُ صلاتي.. وأعتقدُ أن يد خالقي قد تدخّلتْ!..

تيقنتُ أن خالقي حقق وعْده.. وعليّ أن أحقق وعدي..

وهذا مـا جعلني أبحث فـي الديانات.. بـدأتُ باليهوديـة والنصرانية وبذلتُ كل جهدي لسنوات.. ولكنني لـم أجد الحق في تلك الديانات لوجود التناقضات فيها...

واستمريتُ فـي بحثي حتى وصلتُ إلى الإسـلام.. فوجدتُ أجوبة لكل أسئلتي.. ودخلت الطمأنينة من يومها قلبي... كان ذلك في عام (١٩٩٤م)..

• والدكتور براون خرّيج جامعـة كورنيل الطبّيّة، وتدرب بجامعة جورج واشنطن، وأصبـح جرَّاح عيون.. وهـو أيضاً مُؤلّف كتابيـن في الدين المقارن، بعنوان: «الوصيّة الأولـى والنّهائية»، و«غودد God'ed».. إضافة إلى الرّواية الأشهر: «اللّفيفـة الثامنة»، التي حـازَتْ على جائزة أفضل روايةٍ في الولايات المتَّحدة للعام (٢٠٠٧م).

أَلَا بئسَ القَرِين

الليلة ٩٨٣

• أقصر قصة حزينة تقول: «وعندما ذهب إلــى جهنم لم يجد أصحابه، فقال: أين أصحابي؟!..

فقالوا له: لقد **تابوا جميعاً بسبب وفاتك**»!..

• تفكروا بمن حولكم.. هل هم من المُعينين على الخير أم الشر؟..

فأعظمُ الناسِ ظلماً لصاحبه..

الذي يراه على باطلٍ يخسرُ به آخرتَه..

ثم يجاملُه ويسكتُ.. حفاظاً على صداقته ومودّتِه..

ألا بئس القرين..

والله تعالى أخبرنا عن حال هؤلاء الجلســاء.. وبراءة بعضهم من بعض في الآخــرة.. فقــال: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

• وحذَّرنا الله من مجالسة أهل السوء.. ونهانا عــن الجلوس في مجالسهم التي تنتهك فيها الحرمات.. فقــال سبحانه: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

• قال أبو الأسود الدؤلي: «ما خلق الله خلقاً أضر من صاحب السوء»..

• والذي يجالس أهل السوء يقارنُ أفعالَه السيئة بأفعالهم..

فيستقلُّ سيئاته بجنب سيئاتهم.. فيكون ذلك سبباً في زيادة انحرافه..

• وصاحب السوء يخفي عنك عيوبك.. ويحسّن لك خطاياك.. ويخفّف وقع المعصية في قلبك.. ويهوّن عليك التقصير في الطاعات..

وما أكثر ما ننسى أخطاءنا بسرعة.. لأن أحداً لا يذكّرنا بها!.

• وعظ أحد الصالحين ابنَه فقال له: «إياك وإخوان السوء..! فإنهم يخونون مَنْ رافقهم.. ويفسدون من صادقهم.. وقُرْبُهم أعْدَى من الجَرَب.. ورفضهم والبعد عنهم من استكمال الدين والأدب»..

• وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل وهو يعظه:

«احذر صديقك.. إلا الأمين.. ولا أمين إلا من يخشى الله عز وجل ويطيعه..

ولا تمش مع الفاجر فيعلّمك من فجوره..

ولا تُطْلعه على سرِّك..

ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله سبحانه».

• ولا تتسرع في اختيار الصديق فحسن اختياره يضاهي أهمية حسن اختيار شريك حياتك..

واختر لنفسك من الصالحين صديقاً... فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول:

«**الرَّجلُ على دِينِ خليلِه، فلْينظُرْ أحدُكم مَن يُخالِلْ**»[1]..

• والحياة بعيداً عن أصدقاء السوء ستكون بعيدة عن خيبات الأمل والخيانة.. فأسرارك محفوظة لدى أناس أمينين.

• ويبقى الأهم أن تُحسن التفريق بين الصديق الحق وصديق السوء.

• وتذكر أن الصديق الذي تشتريه بالهدايا.. سوف يأتي يوم ويشتريه غيرك..

(١) صحيح الجامع: ٣٥٤٥.

صَلِّ مئةَ ركعةٍ تَجِدْ ضَالَّتَك

الليلة ٩٨٤

• يروى أن رجلاً دفن مــالاً في مكان ثم قصد بيــت الله الحرام حاجّاً.. فلما عاد بعد شهور طويلة إلى داره في بغداد.. احتاج المال ولكنه نسي المكان الذي أودعه فيه.. فأصابه الهمّ والغم.. فماذا يفعل؟.

نصحوه أن يأتي الإمــامَ أبا حنيفة النعمان.. وليقــصّ عليه قصته.. ولن يعدم الإمام حيلة في استرجاع المال الضائع.

قال الإمام: ليس هذا من الفقه حتى أفتيك..

قال الرجل: يا إمام إنه مالي.. وأنا أحتاجه.. وكلما حاولتُ تذكُّر المكان الذي دفنته فيه تعثرتْ ذاكرتي.

ابتسم الإمام وقال: اعتكف هذه الليلة.. وصلّ مئة ركعة تجدْ ضالتك إن شاء الله.

وبعد صلاة العشاء توجه الرجل بقلبه إلــى ربه.. يدعو ويصلي ويجتهد في الصلاة والدعاء.. فمــا إن صلى ركعات أربع حتــى تذكَّر المكان.. فانطلق إليه وأخرج المال.. وأسرع إلى الإمام أبي حنيفة يشكره ويخبره أن ماله بين يديه.. ويسألــه سبب تذكّره مكان المــال بعد أن فشل في ذلك.

ابتسم الإمام قائلاً: أعلم أن الشيطان يسوءه أن تصلّي وتعبد الله مخلصاً.. فذكّــرك بالمكان الــذي دفنْتَ فيــه مالك.. كــي تتأخر عــن عبادتك وصلاتك..

ألا تريد أن تشكر الله تعالى وتعصي الشيطان وتذله؟.

قال الرجل: بلى والله.

قال الإمام: أسـرع إذاً إلى ما كنت عليه من صـلاة ودعاء.. تُرضِ ربك وتذلّ عدوّك..

• ودخل رجل إلى مجلس الفقيه ابن عقيـل فسأله مستفتياً: إني أنغمس في الماء مـرات كثيرة، ومع ذلك أشـك: أتطهـرتُ أم لا، فماذا أفعل يا سيّدي؟..

قال ابن عقيل: اذهب، فلا صلاة عليك!..

فسأله الرجل متعجباً: وكيف ذلك؟ كيف تسقط عني الصلاة؟!..

ابتسم ابن عقيل ثم قال: يقول النبي ﷺ: «رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائمِ حتَّى يستيقِظَ، وعنِ الصَّبيِّ حتَّى يشُبَّ، وعنِ المعتوهِ حتَّى يعقلَ»[1].

ومَـنْ ينغمس في المـاء مـراراً ـ مثلـك ـ ولا يدري أغتسـلَ أم لا.. مجنون!..

* * *

(١) صحيح الترمذي: ١٤٢٣.

الليلة ٩٨٥

تَسَلَّطَ الشيطانُ على قَلْبِه..

• يروى أن رجلاً مشى في طريقه لملاقاة عدوه!..

أثقلهُ درعه.. فخلعه..

وأثقله سيفه.. فرماه..

وأثقله طعامه وشرابه.. فتركهما..

ثم لاقى عدوه!..

حاسراً..

أعزل..

جائعاً..

فأنّى له أن ينتصر؟!..

كذلك من ثقل عليه الذِّكْر.. فتركه..

وثقلت عليه المُستحبَّات.. فتركها..

وثقلت عليه السنن الرواتب.. ففرّط فيها..

وأثقل عليه أداء الفرائض في وقتها.... فأخّرها..

ثم يشتكي تسلّط الشيطان على قلبه..

مسكينٌ.. صرع نفسه قبل أن يصرعه عدوه..

• فليس مهمّاً أن تنتصر على عدوك..

لكن المهم أن تنتصر على الشر الذي في صدرك..

فإنِ انتصرتَ عليه فسوف يتولاك الله بعنايته..

ويهديك إلى سبل الخير والسلام..

• أحِبَّ الحقَّ.. ولو كنتَ غارقاً في الباطل..

وأحِبَّ أهل الطاعة.. ولو كنت غارقاً في المعصية..

وإذا ابتليت بالشهوات..

فاعلم أن الخلل في الصلوات..

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾

[مريم: ٥٩].

• سئل أحد العلماء:

بماذا تنصحني لاستقبال مواسم الطاعات؟

فقال: خير ما تُستَقبلُ به مواسم الطاعات «**كثرة الاستغفار**»..

لأن ذنوب العبد تحرمه التوفيق..

يقول أحد الصالحين: لا أظن أن الله يعذّب رجلاً يستغفر الله..

فقيل: لماذا؟..

قال: من الذي ألْهمه الاستغفار؟..

فقيل: الله..

فقال: كيف يلْهمه الاستغفار ويريد به أذى؟!..

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

• اقرؤوا القرآن.. واسعوْا في الخيرات.. وأنفقوا مما تحبون..

من الليلة ابدؤوا رحلة التغيير..

* * *

الليلة ٩٨٦

لا تَكُونُوا أعْوَاناً للشَّيطان

• روي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلاً من أهل الشام كان يحضر مجلسه.. فقال للصحابة: ما فعل فلان بن فلان؟..

قالوا: يا أمير المؤمنين تَتابعَ في الشراب ـ الخمر ـ فلم نره منذ أيام..

فدعا عمر كاتبه، فقال:

اكتب «من عمر بن الخطاب، إلى فلان بن فلان، سلامٌ عليك، أما بعد: فإني أحمد إليك الله، الذي لا إلٰـه إلا هو ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]»..

ثم قال لأصحابه:

أدعو الله لأخيكم.. أن يُقبل على الله بقلبه.. ويتوب الله عليه..

فلما وصله كتابُ عمر.. جعل يقرؤه ويردده في نفسه ويقول:

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾.. قد حذّرني عقوبته ووعدني مغفرته..

فلم يزل يرددها على نفسه.. وهو يبكي.. ثم تاب وحسنت توبته..

فلما بلغ عمر خبره، قال لأصحابه:

«إِذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ زَلَّ زَلَّةً، فَقَوِّمُوهُ وَسَـدِّدُوهُ، وَادْعُوا اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، وَيُرَاجِعَ بِهِ إِلَى التَّوْبَةِ، وَلَا تَكُونُوا أَعْوَاناً لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ»[1]..

• وأعمال البرِّ يفعلها (البَـرُّ) و(الفاجر)..

(١) رواه البيهقي في الشعب: ٦٢٦٣.

ولكن ترك المعاصي.. لا يستطيعه إلا (صِدِّيق)..

• يقول أحد العارفين: «إذا عصيتَ الله في مكان.. فلا تفارقْه حتى تعمل فيه طاعة..

ليشهد لك.. مثلما شهد عليك»!..

• يروى أن شاباً تحرّش بامرأة أثناء الطواف في البيت الحرام.. فقالت له:

يا هذا!.. نحن نأتي من آخر الدنيا.. لنغسل هنا خطايانا..

أما أنت!.. فلستُ أدري أين ستغسل خطاياك؟..

يقول الشاب: سقطتْ عليّ هذه الكلمات كالصاعقة.. فارتجف بدني كله!..

وكانت سبب توبتي إلى الله.. وما عصيتُ الله تعالى من يومها قط..

وصدق من قال: «مَن لم يعُدْ إلى الله بلطائفِ الإحسان.. سِيقَ إليه بقيودِ الامتحان»..

فسلوه تعالى أن يجعلنا عبيد إحسان لا عبيد امتحان..

• واسأل نفسك دوماً: أيّ طريق يا نفس تبغين؟..

طريق: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧] !..

أمْ طريق: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] ؟!..

• يقول الحسن البصري: نفْسكَ.. إن لم تشغلْها بالحق.. شغلتْك بالباطل!..

* * *

الليلة ٩٨٧

حَلَّتْ عَلَيَّ الدُّنيا

• جاء نفر إلى خليفة المسلمين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يطلبون الصدقة..
فقال لهم: اكتبوا لي أسماء فقرائكم.
فكتبوا له: فلان وفلان و**سعيد بن عامر**.
فقال لهم: ومَنْ سعيد بن عامر؟..
فقالوا: أميرنا! (أمير مدينة حمص)..
فقال عمر: أميركم فقير؟..
فقالوا: والله إنه لتمرّ عليه الأيام الطوال لا تُوقَد في بيته نار!..
فبكى عمر حتى بلّلت دموعُه لحيتَه.. ثم أمر بألف دينار وقال لهم: اقرؤوا عليه السلام.. وقولوا له: بعث لك أمير المؤمنين بهذا فأحسنْ شأنَك.
فلما عادوا ذهب المولى إلى سعيد بن عامر بالدنانير..
فلما نظر سعيد فإذا بها دنانير.. فأمر بإبعادها عنه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.. إنا لله وإنا إليه راجعون (كأنما نزلت به واقعة).
فهبّت زوجتُه مذعورة وقالت: ما شأنك يا سعيد.. أمات أمير المؤمنين عمر؟.
قال: بل أعظم.
فقالت: أأصيب المسلمون في واقعة؟.
قال: بل أعظم.
فقالت: وما أعظم؟.
فقال: حلّت عليّ الدنيا لتفسد آخرتي!..
قالت: تخلّصْ منها.
فقال: أوَتُعينِنِي على ذلك؟..
قالت: نعم (وهي لا تدري عن الدنانير شيئاً).

فأخذ سعيدُ المالَ فجعله في صُرر.. ووزعه على فقراء المسلمين![1].

• وأوصى **معروف الكرخي** في علته فقال: «إذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلت عليها عرياناً».

• جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلَّني على عمل إذا أنا عملْتُه أحبني اللّهُ وأحبَّني الناس.. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله.. وازهد بما في أيدي الناس يحبُّوك**»[2].

• وقال **وهيب بن الورد**: «الزهد في الدنيا: أن لا تأسى على ما فاتك منها، ولا تفرح بما أتاك منها».

• ومِن هَوَان الدنيا على الله أنه لا يُعْصَى إلّا فيها.. ولا يُنال ما عنده إلّا بتَرْكها[3]..

أنشد الشاعر الزاهد **أبو العتاهية** في حضرة **هارون الرشيد** هذه الأبيات:

رغيفُ خبزٍ يابسٍ ... تأكلُه في زَاوية
وكوزُ ماءٍ باردٍ ... تشربُه مِنْ صَافية
وغرفةٌ ضيقةٌ ... نفسُك فيها خَالية
أو مسجدٌ بمعزلٍ ... عن الورَى في ناحية
تقرأ فيه مصحفاً ... مستنداً بِسَارية
معتبراً بمن مَضَى ... مِنَ القُرون الخَالية
خير من الساعات في ... فيءِ القصورِ العالية
تعقبها عقوبةٌ ... تُصْلي بنارٍ حامية
فهذه وصيَّتي ... مُخْبِرَةٌ بِحَالِيَه
طوبى لمن يسمعُها ... فهي لعمري كافية

فلما سمع الأبيات هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكى حتى كادت أضلاعه تختلف..

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٨/٢١)، وابن الأثير في أسد الغابة (٤٦٣/٢).

(٢) صحيح ابن ماجه: ٣٣١٠.

(٣) تفسير القرطبي (٤١٥/٦).

الليلة ٩٨٨

أُعْطِيْها عَلَى قَدْري!

- كان **الليث بن سعد** فقيهاً وعالماً مصريّاً يعيش في زمن الإمام الشافعي..

وكان أيضاً يتاجر في العسل..

وذات يوم رستْ سفينةٌ له محمّلة بالعسل.. وكان العسل معبأً في براميل..

فأتته سيدة عجوز تحمل وعاءً صغيراً وقالت له: أريد منك أن تملأ هذا الوعاء عسلاً لي.. فرفض.. وذهبت السيدة لحالها!..

أمرَ الليثُ مساعدَه أن يعرف عنوان تلك السيدة.. ويأخذ لها برميلاً كاملاً من العسل.. فتعجب الرجل وقال له:

لقد طلبتْ كميةً صغيرة فرفضتَ.. وها أنت الآن تعطيها برميلاً كاملاً!.

فردّ عليه الليث بن سعد وقال: «يا فتى إنها تطلب على قدْرها.. وأنا أعطيها على قدْري»..

- ولو علم المتصدّقُ حق العلم أن صدقته تقع في (يد الله) قبل يد الفقير.. لكانت لذة المُعطي أكبر من لذة الآخذ!..

- إذا هممتَ بفعل خيرٍ أو صدقةٍ أو أي عملٍ صالح..

فَعَجّل بفعله.. قبل أن يحول بينك وبينه.. شيطانٌ من الإنس أو الجن!..

- ولا تستوي صَدَقَةُ الفقيرِ وصدقةُ الغني.. وفي كلٍّ خير..

فالرسول ﷺ يقول: «سبقَ دِرهمٌ مئةَ ألفِ دِرهمٍ؟».

فقالَ رجلٌ: وكيفَ ذاكَ يا رَسولَ اللهِ؟.

قالَ: «رجلٌ لهُ مالٌ كثيرٌ، أخـذ من عُرْضِه مئةَ ألفِ درهـمٍ تصدَّقَ بها، ورجُلٌ ليسَ لهُ إلَّا دِرهمانِ، فأخذَ أحدَهما فتصدَّقَ بهِ»(١).

- والعطاءُ له أهله.. وله مَن يستحقه..
- والأخلاق أيضاً هي عطاءات:

فحُبكَ للعطاء.. هو عطاءٌ أعطاكه الله.

والحياءُ مِن عورات النَّاس وتتبُّعِها.. أُعطيةٌ أيما أُعطية.

تذكَّر أن المعطي سبحانه قد قال:

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

فَبِرَبِّك، أَيُّ فَـرَحٍ وثقةٍ ستنغمسُ فيها حين تراهُ يختـمُ هذه الآيةَ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

- والأيدي في العطاء ثلاث:

يد بيضاء: وهي الابتداء بالمعروف..

ويد خضراء: وهي اليد المكافئة..

ويد سوداء: وهي اليد المنانة..

* * *

(١) رواه أحمد والنسائي وابن حبان، بسند حسن.

الليلة ٩٨٩

صَدَقَاتٌ جَارِيَات

• فهاهي الصدقات الجارية التي يجري نفعها لك ما جرت منفعتها لغيرك..

ـ يقول رسول الله ﷺ:

«أربعٌ من عملِ الأحياءِ تجري للأمواتِ:

رجلٌ ترك عقباً صالحاً يدعو له ينفعُه دعاؤهم..

ورجلٌ تصدق بصدقةٍ جاريةٍ من بعدِه له أجرُها ما جرت بعدَه..

ورجلٌ عَلَّم علماً فعُمِلَ به من بعدِه، له مثلُ أجرِ من عمِلَ به من غيرِ أن ينقصَ من أجرِ من يعملَ به شيءٌ»[(١)].

ـ ويقول رسول الله ﷺ:

«سبعٌ يجري للعبدِ أجرُهنَّ وهو في قبرِه بعد موتِه:

من علَّم علماً.. أو كرى نهراً..

أو حفر بئراً.. أو غرس نخلاً..

أو بنى مسجداً.. أو ورَّثَ مصحفاً..

أو ترك ولداً يستغفرُ له بعد موتِه»[(٢)].

• **وهذه أوجه خيّرة من الصدقات الجارية:**

ـ حفر الآبار وإيصال المياه الصحية للمناطق التي تحتاجها..

---

(١) صحيح الجامع: ٨٨٨.

(٢) صحيح الترغيب: ٧٣.

ـ المساهمة في بناء مسجد أو مستشفى أو بيوت للفقراء..

ـ إهداء النساء الفقيرات ماكينات خياطة لتعمل عليها وتستفيد من دخلها..

ـ توفير لوازم المساجد من مكيفات وبرادات للمياه وغيرها.

ـ توزيع وجبات الطعام والملابس أو الأثاث على الفقراء..

ـ توفير لوازم دور تحفيظ القرآن والسُّنَّة..

ـ بناء دور الإيواء للأسر الفقيرة أو الأرامل كدور العجزة وغيرهم..

ـ بناء المدارس والمراكز الإسلامية ومساكن للطلاب التي فيها أقلية مسلمة..

ـ بناء مطبخ خيري يقدم الوجبات للأسر الفقيرة.

ـ التبرع بسيارات إسعاف وخصوصاً حال الأزمات والحروب..

ـ المساهمة في توفير الأطراف الصناعية للمصابين في أطرافهم.

ـ نشر المصاحف وتراجم القرآن ووقفها في الدول الفقيرة..

ـ وضع الكتيبات النافعة في أماكن الانتظار في المستشفيات وغيرها.

ـ توزيع الكتيبات على غير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام.

ـ كفالة طلاب العلم وإهداء لوازم الدراسة لأبناء الفقراء..

ـ إنشاء مواقع على شبكة الإنترنت تدعو إلى الإسلام الموافق للكتاب والسُّنَّة.

ـ إنشاء قناة فضائية إسلامية تدعو إلى الإسلام بضوابط شرعية[(١)]..

* * *

(١) كتاب: نهر الحسنات الجاري، للأستاذ عبد اللطيف بن هاجس الغامدي (بتصرف).

لا يقومُ اللَّيْلَ إلَّا..

• فكرتُ يوماً في صلاة الثلث الأخير من الليل فوجدتُ عَجَباً:

ـ فالصلاة المكتوبة نداؤها بصوت البشر..

وصلاة الثلث الأخير نداؤها من رب البشر!..

ـ والصلاة المكتوبة يُؤديها أغلبُ المسلمين..

أما صلاة الثلث الأخير فيُؤديها من اصطفاهم الله من المؤمنين..

ـ وقد يصلي الصلاةَ المكتوبة بعضُ الناس رياءً..

أما صلاة الليل فلا يُصليها أحدٌ إلا خالصةً لوجه الله..

ـ وقد يمتزج في أداء الصلاة المكتوبة تفكيرٌ بمشاغل الدنيا ووساوس الشيطان..

أما صلاة الثلث الأخير فهي انقطاع عن الدنيا وبناءٌ للآخرة.

ـ وقد تؤدي الصلاة المكتوبة كي تُقابل أحداً في المسجد..

أما صلاة الليل فتؤديها لكي تأنس بالحديث مع الله.. تبثه همومك.. وتنشر إليه أشجانك..

ـ وقد يُستجاب في المكتوبة الدعاء..

أما في الثلث الأخير فالله تعالى يقول: «**هل من سائل فأعطيه؟**».

• فهنيئاً لمن حصل على بطاقة دعوة في الليل من رب العالمين..

يا رجالَ اللَّيلِ جُدُّوا ... رُبَّ داعٍ لا يُرَدّ

لا يـقـومُ الـلَّـيْـلَ إلَّا مَـن لَـهُ عـزمٌ وجـدّ

• قال بعض السلف: «والله ما حفظتُ قيام الليل إلا وجدتُ أثر ذلك في علمي وعملي.. في يومي ونهاري»..

• وعن أم الدرداء قالت: قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنتَ خلْقي فحسّنْ خُلُقي، حتى أصبح..

قلت: يا أبا الدرداء، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلُق؟!.

فقال: يا أم الدرداء، إن العبد المسلم يحسُن خُلُقه.. حتى يُدخله حسْنُ خلُقه الجنةَ.. ويسيء خلُقه.. حتى يُدخله سوء خلُقه النار..

• ومن كان لله كما يريد.. كان الله له فوق ما يريد..

ومن أقبل عليه تلقَّاهُ من بعيد..

• وكم هي مريحةٌ مناجاة السجود؟..

تجبر كسوراً.. وتضمّد جروحاً..

فانثروا فيها دموعكم وهمومكم!..

فإنّ مَنْ يسمعكم ربٌّ رحيم..

* * *

يَكْفِيكَ هَمَّك ويَغْفِرُ ذَنْبَك

الليلة ٩٩١

من أعظم مطالب الدنيا: أن يكفيك الله همّك..

ومن أعظم مطالب الآخرة: أن يغفر الله ذنبك..

وهما مضمونان بكثرة الصلاة والسلام على حبيبك المصطفى ﷺ..

فعن أبيّ بن كعب، قال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ علَيك فكَم **أجعلُ لَكَ مِن صلاتي (أي: بدل دعائي الذي أدعو به لنفسي)**؟ فقالَ: «**ما شِئتَ**» قالَ: قلتُ: الرُّبُعَ، قالَ: «**ما شئتَ، فإن زدتَ فهوَ خيرٌ لَكَ**» قُلتُ: النِّصفَ، قالَ: «**ما شِئتَ، فإن زدتَ فهوَ خيرٌ لَكَ**» قالَ: قلتُ: فالثُّلُثَيْنِ، قالَ: «**ما شِئتَ، فإن زدتَ فهوَ خيرٌ لَكَ**» قلتُ: أجعلُ لَكَ صلاتي كلَّها، قالَ: «**إذاً تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغفَرَ لَكَ ذنبُكَ**».[1] فأكثروا من الصلاة عليه..

والمراد بالصلاة هنا: الدعاء.. ومعنى الحديث: أنه سأل النبي ﷺ: هل يجعل ربع دعائه أو نصفه أو كل دعائه.. صلاةً على النبي ﷺ.. يعني: يستبدل بالدعاء الذي كان يدعو به.. فيجعله صلاة على النبي ﷺ.. فأخبره النبي ﷺ أنه إذا جعل دعاءه كله صلاة على النبي ﷺ.. أنه يُكفى همه ويُغفر ذنبه..

- كان أحد المحاضرين يُكثر من الصلاة على النبي ﷺ أثناء محاضرته.. وكان أحد العلمانيين جالساً..

---

(١) صحيح الترمذي: ٢٤٥٧.

اعترض الرجل على المُحاضر عند انتهاء المحاضرة.. (بتضييع الوقت) بكثرة الصلاة على النبي ﷺ !..

فقال لـه المحاضر: أتغسلُ وجهك إن شعـرتَ بالنعـاس وأنت بين أصحابك لا تريد الانصراف عنهم؟..

قال: نعم.

قال المحاضر: أتغسلُ وجهك إن شعرتَ بالعرق يملؤه في حرّ الصيف؟..

قال: نعم.

قال المحاضر: أتغسلُ وجهك حين تستيقظ من النوم؟..

قال: نعم.

قال المحاضر: وكذلك (أغسـل وجهي) بالصلاة علـى الحبيب ﷺ.. فأزداد قرباً منه يـوم القيامة.. وأشرب من يديـه الشريفتين.. وفوق كل ذلك أنال رحمة الله..

• فحين وصف اللهُ القمرَ قال: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]..

وحين وصف الشمسَ قال: ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]..

أما حين وصف الحبيب ﷺ فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]..

فجمع له بيـن الوصفين ليكتمـل الجمال بالجـلال.. وليلتحم الضياء بالنور فيشرق للعالم كله.. يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[1].

---

(١) رواه مسلم.

الليلة ٩٩٢

اسْتَخِرْ رَبَّك

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلِّمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمْر، فليَركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم، إني أستخيرك بعلمك، وأستقدِرك بقدرَتِك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلَم ولا أعلَم، وأنت علام الغيوب، اللهم، إن كنتَ تعلَم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، ويَسِّرْه لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضِنِي به**»[1]..

• والاستخارة تُشرَع عندما يَهُمُّ الإنسان بالأمر من الأمور؛ لقوله في الحديث: «**إذا همَّ**».. ولا تشرع عند الخواطر والأفكار التي تسبق للذهن.. فكم تسببت تلك الخواطر من وسوسة.. وضياع للأوقات..

• والاستخارة تشمل الأمور الواجبة والمستحبة والمباحة.. وقد لا تكون أحياناً في أصل الفعل.. وإنما في أمور أخرى.. كوقت فعله وطريقة أدائه..

ومِن الخطأ قصْرُ الاستخارة على أحوال نادرة أو قليلة.. بل الشأنُ في المسلم اللُّجوء إلى الله عز وجل واستخارتُه في جميع الأمور التي يتردَّد فيها.. «يعلِّمنا الاستخارةَ في الأمور كلِّها»، حتى إنَّ زينب بنت

(١) متفق عليه.

جحش ﵂ صلّت الاستخارة حين عُرِض عليها الزواجُ بالنبي ﷺ.. قال النووي: «ولعلّها استخارت لِخوفها مِن التقصير في حقِّه ﷺ» اهـ.

وتكون في الأمر الذي يريد أن يُقدِم عليه.. سواء كان متردداً فيه أم جازماً..

وليس في الأمر الذي يتردد فيه فقط.. فالاستخارة طلب التوفيق من الله.. ونتائج الأعمال لا يعلمها إلا الله.. فكم من أمر ظن صاحبُه أن فيه خيراً فكان شرّاً له.. وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• وفي الاستخارة دليل على تعلق قلب المؤمن بالله ﷿، وتوكله عليه في سائر أحواله.. وفيها مخرج من الحيرة والشك.. ومدعاة للطمأنينة وراحة البال.. لأن العبد يفوض أمره إلى ربه.. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

• وفي الاستخارة يستشعر العبد أنه لا غنى له عن الله طرفة عين.. فهو يستخير الله في أخص أموره وحاجاته.. لأن العبد لا يعلم مصلحة نفسه.. وفي دعاء الاستخارة أثر بيِّن على قلب المؤمن فيورثه الطمأنينة.. فإن العبد إذا استخار الله.. وقال هذا الدعاء.. أورثه ذلك طمأنينةً في قلبه.. تنقطع معها كل الاضطرابات والأوهام..

ويقول أحدُ السَّلف: ما ندم من استخار الخالق.. وشاور المخلوقين.. وتثبَّت في أمره.. فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويقول أحدُهم: «مِن حق العاقل أن يُضيف إلى رأيه آراءَ العلماء.. ويجمعَ إلى عقلِه عقولَ الحكماء.. فالرأي الفذُّ ربما زلَّ.. والعقل الفردُ ربما ضلَّ».

• ذُكِر أنَّ الإمامَ البخاريَّ استخار قبل كتابة كلِّ حديثٍ في كتابه «صحيح البخاري»، والذي كُتب له القَبولُ فـــي الأرض.. وصار أصحَّ كتابٍ بعد كتاب الله..

* * *

الليلة ٩٩٣

مَتَى يُقَال

• متى تقـــول: «سُبْحَانَكَ اللَّهُــمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْــهَدُ أَنْ لا إِلٰــهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْك»؟..

يقال هذا الذِّكر في خمسة مواطن:

ـ **الأول**: **عقب مجلس ذكر**.. فرَسُولُ اللهِ ﷺ يقول:

«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْــهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَ كالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ»[1].

ـ **الثاني**: **عقب مجلس لغو ولغط**... فالنبي ﷺ يقول:

«من جَلَسَ في مَجْلِــسٍ كَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قبل أَنْ يَقُــومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وبحمدك، لَا إِلَهَ إِلَّا أنــت، أَسْتَغْفِرُكَ ثُمَّ أَتُوبُ إِلَيْــكَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ له ما كان في مَجْلِسِهِ ذلك»[2].

ـ **الثالث**: **عقب وضوء**.. فرَسُولُ اللهِ ﷺ يقول:

«ومَن توضأَ ثم قال سبحانَكَ اللهمَّ وبحمــدِك، لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْك؛ كتب في رِقٍّ ثم طُبِعَ بطابعٍ فلم يُكْسَرْ إلى يومِ القيامةِ»[3].

---

(١) الألباني في الصحيحة: ٨١.

(٢) الألباني في الصحيحة: ٢٦٥١.

(٣) صحيح الترغيب: ٢٢٥.

ـ **الرابع: عقب صلاة..** فعن عَائِشَــةَ ﵂ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان إذا جَلَسَ مَجْلِساً أو صلى [صــلاةً] تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْـــهُ عَائِشَةُ عن الْكَلِمَاتِ. فقال: «**إن تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كان طَابِعاً عَلَيْهِنَّ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذلك كان كَفَّارَةً له، سُبْحَانَكَ اللهم وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»(١).

ـ **الخامس: عقب تلاوة القرآن..** فعَنْ عَائِشَــة ﵂ قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُول الله ﷺ مَجْلِساً قَطّ، وَ لَا تَلَا قُرْآناً، وَلَا صَلَّــى؛ إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قالت: فقلت: يــا رســول الله! أراك ما تجلــس مجلساً ولا تتلــو قرآناً ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات، قَالَ:

«**نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْراً خَتَمَ لَهُ طَابع عَلَى ذَلِكَ الْخَيْر، وَمَنْ قَالَ شَــرّاً كُنَّ لَهُ كَفَّارَة: سُبْحَانك اللَّهُمَّ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْك**»(٢).

- فأبواب الخير لك مفتوحةٌ.. فادخل من أيٍّ تشاء..

* * *

---

(١) الألباني في الصحيحة: ٣١٦٤.

(٢) الألباني في الصحيحة: ٧/٤٩٥.

الليلة ٩٩٤

صَلاةٌ تَعْدِلُ عَمَلَ عَام

• يقول ﷺ: «سيدُ الأيامِ يومُ الجُمُعةِ، فيه خُلِــقَ آدَمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا يومَ الجُمُعةِ»[1].

ويقول ﷺ: «من غسَّل يومَ الجمعةِ واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشى ولم يركبْ، ودنا من الإمام، واستمع، وأنصت، ولم يَلْغُ، كان له بكلِّ خطوةٍ يخطوها من بيتِه إلى المسجدِ، عملُ سَنَةٍ، أجرُ صيامِها وقيامِها»[2].

أي: يحصل له أجر من استوعب السنة بالصيام والقيام..

يقول بعض الأئمة: لم نسمع في الشريعة حديثــاً صحيحاً مشتملاً على مثل هذا الثواب..

• ويوم الجمعة هو الباب الواسع لتحقيق الأمنيات..

اجعلها عادة حميدة.. واجعلها ثقافة.. واجعلها ضرورة..

أن تخلو مع الله قبل غروب الجمعة بـ (٢٠) دقيقة..

لا يشغلك عن الله شاغل.. ولاتكن فيها غافلاً..

اجعــل الدعاء في ساعة الإجابــة.. مفتاحَ تحقيــق رغباتك وتفريج كرباتك..

(١) صحيح ابن خزيمة: ١٧٢٨.

(٢) صحيح الجامع: ٦٤٠٥.

فما على ربي عسير..

تُوفق لساعة الإجابة.. إذا علِم الله من أعماقك..

أنك تُحبها وتُؤمن بها.. وتثق فيها!..

لن يُوفقك الله للدعاء بساعة الإجابة.. إلا وهو يُريد أن يُعطيك..

هذا هو الظن بالله..

فلا تتثاقل عن ساعة الإجابة في عصر الجمعة[1].. فبين خسارتك.. وتحقيق رغباتك.. إرادة..

• وقد وردت أحاديث بأن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه..

واختلف العلماء في تعيين تلك الساعة.. ففي بعضها أنها ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن يقضي الصلاة..

وفي بعضها أنها بعد العصر.. وقد رجح جماعة أنها آخر ساعة قبل الغروب..

كان **سعيد بن جبير** إذا صلى العصر من يوم الجمعة.. لم يكلّم أحداً حتى تغرب الشمس.. كي لا يُحرَم التوفيق من ساعة إجابة..

وكان **المفضل بن فضالة** إذا صلى عصر يوم الجمعة.. خلا في ناحية المسجد وحده فلا يزال يدعو حتى تغرب الشمس..

* * *

(١) الشيخ لافي العوني (بتصرف)..

أَفْضَلُ أيَّامِ الدُّنيا

الليلة ٩٩٥

• أفضل أيام الدنيا وكثير من الناس عنها غافلون..

يقول أبو حامد الغزالي:

«إن الله سبحانه إذا أحب عبداً.. استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال..

وإذا مقَتَهُ.. استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال!..

ليكون ذلك أوجع في عتابه.. وأشد لمقته..

لحرمانه بركة الوقت.. وانتهاكه حرمة الوقت»..

فإلى الذين فاتتهم الغنائمُ فى رمضان..

فدبَّ فى نفوسهم اليأس من رضا الرحمن..

أبشروا.. فهذا موسم الخير والإيمان.. إنها الأيام العشر من ذي الحجة..

وهي أفضل أيام الدنيا على الإطلاق.. لقول النبي ﷺ: «**أفضلُ أيامِ الدنيا أيامُ العشْرِ**»[١].. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما مِن أيَّامٍ العمَلُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ مِن هذهِ الأيَّامِ العَشر**»[٢].

• **أين أنت من الذكر في أيام العشر؟..**

فالنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»[٣]..

---

(١) صحيح الجامع: ١١٣٣.

(٢) صحيح الترمذي: ٧٥٧.

(٣) رواه أحمد وإسناده صحيح.

• **أين أنت من الصيام في أيام العشر؟..**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِـنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيـلِ اللهِ إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»[1]..

• **أين أنت من قيام الليل في أيام العشر؟..**

يقول الصالحون: دقائق الليل غالية، فلا ترخّصوهـا بالغفلة. وأغلى ما تكون دقائق الليل في الأيام والليالي الفاضلات..

• **أين أنت من القرآن في أيام العشر؟..**

فهلموا إلى مائدة الرحمن.. فهذا ربـك قد بسط لك مائدته.. فهل نغتنم أيام النفحات المباركات لنغذّي أرواحنا وقلوبنا من مائدة القرآن!..

• **أين أنت في أيام العشر من الصدقات؟..**

أين أنت من المسلمين المحتاجين.. والفقراء والمشردين؟..

فهل تعامل الله بالصدقة في هذه الأيام..

• **أين أنت من صلة الأرحام في هذه الأيام؟..**

• **أين أنت من تهيئة الأضحية؟..**

• أين أنت من تشجيع الأطفال على حفظ القرآن والذكر في أيام العشر.. وحفظ شيء من نصوص فضائل الأعمال فيها، بمسابقة وجوائز..

اشرحوا لأطفالكم معاني مفردات التهليل والتحميد والتكبير.. وشيئاً من دلالات أسماء الله.. والحكمة من الصلاة والصوم.. وإعانة المحتاجين.. وأثر أيام العشر ويوم عرفة على العباد.. فأطفالنا أمانة في أعناقنا يتعلَّمون منا.. فالطفل يتأثر بوالديه.. وهذا الأثر قد يمتد طوال عمره..

فهنيئاً لمن نال في هذه الأيام من تلك البركات..

---

(١) رواه مسلم.

الليلة ٩٩٦

امْلُكْ مِنَ الدُّنيا

• يوماً ما.. سيمرّ شريـــط حياتك أمام عينيـــك.. فاجعلْه جميلاً يستحق المشاهدة..

املكْ من الدنيـــا ما شئت.. ولكـــن تذكّر دوماً أنك ستخـــرج منها كما جئت..

والدنيا كالماء المالح.. كلما ازددتَ شرباً منها ازددتَ عطشاً.

ومهما جمعتَ من الدنيا..

ومهما حققتَ من الأمنيات..

فلا تنس أمنيةَ يوسف عليه السلام :

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

• كان أحد السلف كثير الصدقات.. فعُوتِب في ذلك!..

فقال: أرأيتم لو أن أحداً أراد الانتقال من دار إلى دار..

أكان يترك في الأولى شيئاً؟!..

• قال الحسن البصري رحمه الله: «مـــا الدنيا كلها من أوّلهـــا إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه ما يُحب.. ثم انتبه»..

• يقول عمر الخيام:

زَخَـــارِفُ الدُّنيـــا أســـاسُ الألَم ... وطَالِـــبُ الدُّنيـــا نديـــمُ النَّـــدَم

فَكُـــنْ خَلِـــيَّ البـــالِ مِـــنْ أمْرِها   فـــكلُّ مـــا فيهـــا شـــقاءٌ وهـــمّ

• ولا تكن مثل مالك الحزين..

هذا الطائر العجيب الذي يغنّي أجمل ألحانه وهو ينزف..

فلا شيء في الدنيا يستحق من دمك نقطة واحدة..

إلا أن تكون في سبيل الله!..

• وليس من الخطر أن تكون السفينة في المـــاء.. لكن الخطر أن يكون الماء في السفينة.

ووجود المؤمن فى الدنيا ليس مشكلة.. ولكن المشكلة أن تكون الدنيا في قلب المؤمن..

فمثَلُ الذي يحصّل الدنيا بدينه.. كمثل رجلٍ رأى وسخاً في أسفل نعله.. فمَسَحه بخدِّه..

وكان الأجدر به أن يشرّف هذا الخدَّ ولا يهينه!..

• قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت.. مع غفلتهم عنه..

وما رأيت صدقاً أشبه بالكذب من قولهم:

إنّا نطلب الجنة.. مع عجزهم عنها.. وتفريطهم في طلبها»..

• ويقول سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من سُرَّ بالدنيـــا.. نُزع خوف الآخرة من قلبه»..

نسيرُ إلى الآجـالِ في كلِّ لحظةٍ   وأعمارُنـــا تُطْوى وَهُـــنَّ مَرَاحِلُ

تَرَحَّلْ من الدنيا بـــزادٍ من التُّقَى   فعُمْـــرُك أيـــامٌ وهُـــنَّ قَلَائِـــلُ

* * *

الليلة ٩٩٧

كُنْ حَكِيماً

• لا ترْضَ قول أحدٍ حتى ترضى فعله..

ولا ترض فعل أحدٍ حتّى ترضى قوله وعقله..

ولا ترض عقل أحدٍ حتى ترضى حياءه!..

ولا تتوقع من نبتة الصبّار أنْ تُثمر لك العنب!..

• تعرَّفْ بحكمة على مَنْ حولك..

كي لا يصدمك المستقبلُ بهم..

• ولا شيء في الدنيا يرفع قدر المرأة مثل العفة..

فهاهما ابنتا شعيب عليه السلام تعفَّفتا عن مزاحمة الرجال على السقي.. فسقى لهما نبيّ! ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: ٢٣].

• ولا شيء يفسد الأخلاق كالمال..

ولا شيء يخترق «القلوب» ككلمة طيبة.. أو ابتسامة مشرقة..

• يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله:

«لا تأمنْ من لم تملأ مراقبةُ الله قلبَه..

على وطن.. ولا قضية.. ولا مال..

فإنك لا تدري متى يميل به الهوى..

فيخونك وهو يزعم أنه لك وفيٌّ أمين»..

• ولا تترك أخاك تأكله الذئاب..

فستجوع الذئاب يوماً ما..

ولن تجد سواك لتأكله!..

• واملك الدنيا وما فيها بثلاثة أحرف: (**رضا**)..

واملك قلوب الناس بثلاثة أحرف: (**خُلُق**)..

ونمْ هانئ البال بأربعة أحرف: (**سماح**)..

وسرْ على طريق الجنة بأربعة أحرف: (**تقوى**)..

يا خادمَ الجسمِ كَمْ تَشْقَى بخدمتِهِ ... أتطلبُ الرِّبْحَ مما فيهِ خُسْرانُ
أَقْبِلْ على الروحِ فاستكملْ فَضَائلها ... فَأَنْتَ بالروحِ لا بالجِسْمِ إِنْسَانُ

• سُئل أحد الصالحين: هل تعرف رجلاً مُستجاب الدعوة؟..

فأجاب: لا.. **بل أعرفُ مَنْ يُجيب الدعوة..**

فعلِّق قلبك برب الخلْق دوماً.. لا بالخلْق!..

* * *

الليلة ٩٩٨

سِرُّ السَّعادَة

• يُحكى أنّ أحد التّجار أرسـل ابنه لكي يتعلم سرّ السّعادة لدى أحكم رجل في العالم.. فمشى الفتى أربعين يوماً حتّى وصل إلى قصر جميل على قمّة جبل.. وفيه يسكن الحكيم الذي يسعى إليه..

وعندما وصل وجد في قصـر الحكيم جمعاً كبيراً مـن النّاس.. فانتظر الشّاب ساعتين ليحين دوره..

أنصت الحكيم بانتباه إلى الشّـاب.. ثمّ قال له: الوقت لا يتّسـع الآن.. وطلب منه أن يقوم بجولة داخل القصر.. ويعود لمقابلته بعد ساعتين..

أضاف الحكيم وهو يقدّم للفتى ملعقةً صغيـرةً فيها نقطتان من الزّيت: أمسـك بهذه الملعقة في يدك طوال جولتك.. وحاذر أن ينسـكب منها الزّيت!..

أخذ الفتى يصعد سـلالم القصر ويهبط مثبّتاً عينيه علـى الملعقة.. ثمّ رجع لمقابلة الحكيم الذي سـأله: هل رأيت السّجاد الفارسيّ في غرفة الطعام؟ والحديقة الجميلة؟ وهل اسـتوقفتك المجلـدات الجميلة في مكتبتي؟..

ارتبك الفتى واعترف له بأنّه لم يرَ شيئاً.. فقد كان همّه الأول ألا يسكب نقطتي الزّيت من الملعقة..

فقال الحكيم: ارجع وتعرّف على معالـم القصر.. فلا يمكنك أن تعتمد على شخص لا يعرف البيت الذي يسكن فيه..

عاد الفتـــى ليتجوّل في القصر منتبهـــاً إلى الرّوائع الفنيّـــة المعلقة على الجدران.. وشاهد الحديقة والزّهور الجميلة.. وعندما رجع إلى الحكيم قصّ عليه بالتّفصيل ما رأى..

فسأله الحكيم: ولكن أين قطرتا الزّيت اللتان عهدت بهما إليك؟..

نظر الفتى إلى الملعقة.. فلاحظ أنّهما قد انسكبتا..

فقال له الحكيم: تلك هي النّصيحة التي أستطيع أن أسديها إليك!..

سرّ السّـــعادة هو أن ترى روائع الدّنيا.. وتســـتمتع بها.. وذلك دون أن تسكب أبداً قطرتي الزّيت..

فهم الفتى مغـــزى القصّة، فالسّـــعادة هـــي تحقيق التّـــوازن بين الأشـــياء.. وقطرتا الزّيت همـــا الإيمان والصّحة.. فهمـــا التوليفة النّاجحة ضدّ التّعاسة.

• والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»[1]..

* * *

(١) صحيح الترمذي: ٢٣٤٦.

جَمَالُ النَّفْس

• جمالُ كُلّ يومٍ ليس فِي شُروقِ الشّمسِ فحسبْ!..

بل في شُكر الله أن وهبَك يوماً آخر تذكُره فيه وتشكرهُ..

• ألسنا نبدأ صباحنا بهذا الهدي النبوي الجميل.. فننال العتق من النار؟..

«مَن قالَ حينَ يصبحُ أو يمسي: اللَّهمَّ إنِّي أصبحتُ أُشهدُكَ، وأُشهدُ حَملةَ عَرشِك وملائِكتَك وجميعَ خلقِك، أنَّكَ أنتَ اللهُ الَّذي لا إلَه إلَّا أنتَ، وأنَّ محمَّداً عبدُك ورسولُك؛ أعتقَ اللهُ رُبعَه مِن النَّارِ؛ فمَن قالَها مرَّتَينِ أعتقَ اللهُ نِصفَه مِن النَّارِ، ومَن قالَها ثلاثاً أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعِه مِن النَّارِ، ومَن قالَها أربعاً أعتقَه اللهُ تعالى مِن النَّارِ»[1]..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الرسول ﷺ إذا أتاه الأمر يسرُّه قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»..

وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: «**الحمد لله على كل حال**»[2]..

• يقول مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: إذَا استقبلتَ العالَمَ **بالنفسِ الواسعةِ**.. رأيتَ حقائقَ السرورِ تزيدُ وتتسِعُ.. وحقائقَ الهمومِ تصغُرُ وتَضيقُ.. وأدركتَ أنَّ دنياكَ إن ضاقتْ فأنتَ الضيِّقُ لا هيَ..

ليسَ الجمالُ بنوعِ ثوبٍ يُرْتَدى ... فالثَّوبُ لا يُعْطِي النفوسَ جَمَالا
لكنَّ ما هُوَ فِي فؤادٍ طاهرٍ ... عرفَ الحياةَ فضيلةً وكمالا

---

(١) رواه النووي في الأذكار بإسناد جيد.

(٢) صحيح الجامع: ٤٦٤٠.

- **وجمال النفس** يجعل كل شيء جميلاً.. إذ تُلقي النفس عليك من ألوانها..
فتنقلب الدار الصغيرة قصراً.. لأنها في سعة النفس لا في مساحتها هي..
وتعرف لنور النهار عذوبة كعذوبة الماء على الظمأ..
ويظهر الليل كأنه معرض جواهر أقيم للحور العين في السماوات..
ويبدو الفجر بألوانه وأنواره كأنه جنة سابحة في الهواء..
- في **جمال النفس** ترى الجمال ضرورة من ضرورات الخليقة..
- **ويكأن الله أمر العالَم ألا يعبس للقلب المبتسم..**

ـ يقول الشاعر:

جمالُ الرُّوحِ ذاكَ هُوَ الجمالُ ... تطيبُ بِهِ الشَّمائلُ والخِلالُ
ولا تُغني إذا حسنتْ وجوهٌ ... وفي الأجسادِ أرواحٌ ثِقَالُ
~~ولا الأخلاقُ ليسَ لها جذورٌ ... مِنَ الإيمانِ تَوَّجَها الكمالُ~~
~~حبالُ الودِّ بالإخلاصِ تَقْوى ... فإن يذهبْ فلن تَقْوى الحبالُ~~
~~حذارِ من الجِدَالِ فكم صديقٍ ... يُعاديه إذا احتدم الجِدالُ~~
~~بأرضِ الخِصب إمَّا شئتَ فأزْرع ... ولا تُجْدِي إذا زُرِعَتْ رِمَالُ~~

ـ ويقول آخر:

ولا يغرَّنكَ الوجهُ الجميلُ فَكَمْ ... في الزَّهْرِ سمٌّ وكم في العُشْبِ عقارُ

ـ وقديماً قالوا:

جمال الروح يهون عليك المصائب..
وجمال النفس يسهل لك المطالب..
وجمال العقل يحقق لك المكاسب.

* * *

الليلة ١٠٠٠

حَسْبِيَ اللهُ ونِـعْمَ الوَكِيل

• «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

دعاءٌ قاله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.. فجعلَ اللهُ النارَ برداً وسلاماً..

ـ «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

دعاءٌ قاله المسـلمون يوم أُحـد، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤] وثبّتهم اللهُ رغم الجِراح..

ـ «حسبي الله ونِعم الوكيل»..

دعاءٌ قالتـه أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوم ركبت على ظهر دابة صفوان بن المعطّل فنزلتْ فيها آيات البراءة والطُّهر..

• أتدرون ما معنى قول المظلوم: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؟..

معناه: أنه نقل ملفّ القضية **من قاضي الأرض إلى قاضي السماء!..**

فاحذروا أن تؤذوا أحداً.. وسلاحه هذا الدعاء!..

• وقد تستطيع ـ بالظُّلم ـ أنْ تَملك كلّ ما تريد..

ولكن بـ (دعْوة واحدة) من (مَظلومٍ).. قد تَفقد كل مَا تملك..

وقد يرتفع الظالم حيناً من الدهر ويعلو شأنه!.. لكن انظر عبر التاريخ.. لتزداد يقيناً بعـدل الله.. ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].. ويقـول تعالـى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

- فإذا ظُـلمتَ.. فقل: «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

ـ وإذا أُبتليتَ.. فقل: «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

ـ وإذا ضاقت بك السُّبل.. وبارت الحيَل.. ولم تجد من الناس أنيساً ولا مؤنساً.. فقل: «حسبي الله ونِـعم الوكيل»

ـ وإذا كنتَ بريئاً وعجزتَ عن إظهار الحقيقة.. فقل: «حســبي الله ونِـعم الوكيل»..

ـ وإذا اجتمع القومُ ليؤذوك.. فقل: «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

ـ وإذا تعسرت الأمور.. فقل: «حسبي الله ونِـعم الوكيل»..

ـ إذا أُرتجَ عليك.. وضاق فُهمك.. وتعسّــر إدراكك.. فقل: «حســبي الله ونِـعم الوكيل».

فبها يدفع اللهُ عنك الأذيّـة.. ويزيح الكُربة..

ويُـستجلَب الرِّزقُ.. وينزل الفَـرَج..

* * *

آخِرُ الكَلِمَات

الليلة ١٠٠١

- لا تعتقد أن نهاية الأحداث هي نهاية العالم..

فليس الكون هو ما ترى عيناك..

- انتظر ضوءاً جديداً.. يمكن أن يتسلل إلى قلبك الحزين..

فيرسم البهجة على وجهك.. ويعيد لقلبك نبضه الجميل..

- لا تقف كثيراً على الأطلال..

وخاصة إذا سكنْتها الخفافيش والأشباح..

- لا تنظر الى الأوراق التي بهتت حروفها.. وتاهت سطورها بين الألم والأحزان..

فسوف تكتشف أن هذه السطور ليست أجمل ما كتبْتَ..

ولا آخر ما سطّرت..

- فرّقْ بين من وضع حروفك في عينيه..

ومَنْ ألقى بها للرياح العاتية..

- وإذا أغلقتِ الشتاءُ أبواب بيتك..

وحاصرتْك تلال الجليد من كل مكان..

فانتظر قدوم الربيع.. وافتح نوافذك لنسمات الهواء العليل..

- لا تسافر إلى الصحراء بحثاً عن أشجار جميلة..

فلن تجد فيها غير القحط والجدب..

• لا تحاول أن تعيد حسابات الأمس وما خسرت فيه..

فحين تسقط أوراق العمر فلن تعود مرة أخرى..

ولكن مع كل ربيع جديد سوف تنبت أوراق جديدة..

فانظر الى تلك الأوراق اليانعة.. ودعْك مما سقط على الأرض..

• ابحث عن الصفاء ولو كان لحظة..

ولا تترك قلبك وأحاسيسك لأشياء ضاع زمانها..

وإذا لم تجد من يسعدك فحاول أن تسعد نفسك..

وإذا لم تجد من يضيء لك قنديلاً.. فلا تبحث عن آخر أطفأه..

وإذا لم تجد من يغرس في أيامك وردة.. فلا تسْعَ لمن غرس في قلبك سهماً ومضى..

فحولنا وجوه كثيرة يمكن أن تضيء في ظلام أيامنا شمعة..

فابحث عن قلب يمنحك الضوء.. ولا تترك نفسك رهينة لأحزان الليالي المظلمة..

❋ ❋ ❋

وأخيراً..

ـ اقتربوا من ربكم..

ـ وترقّوا في تزكية أنفسكم..

ـ ابذلوا وسعكم في تربية أبنائكم..

ـ أتقنوا أعمالكم.. وأحسنوا إلى من حولكم..

ـ تكاتفوا مع إخوانكم.. وأزيلوا الضغينة من قلوبكم..

ـ صَفّوا نواياكم.. وأصلحوا سرائركم..

عندها يشرق صباحكم...

تم بحمد الله

مؤلَّفـــات
الدكتور حسان شمسي باشا

منشورات دار القلم ـ دمشق، دار البشير ـ جدة، مكتبة السوادي ـ جدة، ودار المنارة ـ جدة:

• في أمراض القلب:

١ ـ كيف تقي نفسك من أمراض القلب (الطبعة السادسة).

٢ ـ ارتفاع ضغط الدم (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الدهون.. والكولسترول.. والقلب (الطبعة السادسة).

٤ ـ قلبك بين الصحة والمرض (الطبعة الثانية).

٥ ـ دليلك إلى عمليات القلب الجراحية، بالاشتراك مع الدكتور عبد الله عشميق والدكتور وليد أبو خضير (الطبعة الثالثة).

٦ ـ دليلك إلى القسطرة القلبية، بالاشتراك مع الدكتور خالد الشيبي والدكتور وقار حبيب (الطبعة الثالثة).

٧ ـ دليلك إلى كهربائية القلب، بالاشتراك مع الدكتور رائد سويدان والدكتور فائز بخاري (الطبعة الثانية).

٨ ـ الوقاية من أمراض القلب، بالاشتراك مع البروفسور منصور النزهة (كتيب المجلة العربية، العدد الخامس والثلاثون، فبراير ٢٠٠٠م).

٩ ـ الوقاية من الحمى الروماتيزمية.

١٠ ـ الوقاية من أمراض شرايين القلب التاجية.

• **في الصحة العامة:**

١ ـ وصايا طبيب (الطبعة الرابعة).

٢ ـ الثقافة الصحية متعة الحياة.

٣ ـ شبابك كيف تحافظ عليه.

٤ ـ صحتك بين الحقائق والأوهام.

٥ ـ كيف تتخلص من الصداع؟ (الطبعة الثانية).

٦ ـ كيف تتخلص من الإمساك؟ (الطبعة الثانية).

٧ ـ أطباء الغرب يحذرون من شرب الخمر.

٨ ـ القهوة والشاي: فوائدها وأضرارها (الطبعة الثالثة).

٩ ـ الميلاتونين: هل هو الدواء السحري؟.

١٠ ـ القشرة والصلع والشيب والحناء.

١١ ـ حذار حذار من هذه الكتب.

• **في الطب النبوي:**

١ ـ قبسات من الطب النبوي والأدلة العلمية الحديثة (الطبعة الثالثة).

٢ ـ زيت الزيتون بين الطب والقرآن (الطبعة الرابعة).

٣ ـ الأسرار الطبية الحديثة في السمك والحوت (الطبعة الثالثة).

٤ ـ النوم والأرق والأحلام.. بين الطب والقرآن (الطبعة الثالثة).

٥ ـ الأسودان: التمر والماء (الطبعة الرابعة).

٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن والسُّنَّة (كتيب المجلة العربية).

٧ ـ معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي (الطبعة السابعة).

٨ ـ الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث (الطبعة السابعة).

٩ـ الأسرار الطبية الحديثة في الثوم والبصل (الطبعة الرابعة).
١٠ـ الرضاعة من لبن الأم (الطبعة الثانية).
١١ـ أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث (الطبعة الثانية).
١٢ـ الطب النبوي بين العلم والإعجاز (الطبعة الثانية).

• قضايا طبية فقهية:

١ـ الدليل الطبي والفقهي للمريض في شهر الصيام.
٢ـ الصوم بين الفقه والطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.
٣ـ صحتك في الحج والعمرة (الطبعة الثالثة).
٤ـ صوموا تصحوا (الطبعة الثالثة).
٥ـ رمضان بين يديك (بالاشتراك مع عدد من المؤلفين)، دار العلوم، عمان.

• أخلاقيات الطب:

١ـ مسؤولية الطبيب بين الفقه والقانون، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار (الطبعة الثانية).
٢ـ الرعاية الصحية.. مشاكل وحلول، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.
٣ـ أخلاقيات البحوث الطبية، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار.
٤ـ موسوعة أخلاقيات مهنة الطب، بالاشتراك مع الدكتور محمد علي البار والدكتور عدنان أحمد البار.

• في الأدب والتاريخ:

١ـ هكذا كانوا يوم كنا (الطبعة الثانية).
٢ـ الداء والدواء بين الأطباء والأدباء (الطبعة الثانية).

• في التربية والسلوك:

١ ـ أسعد نفسك وأسعد الآخرين (الطبعة السابعة عشرة).

٢ ـ كيف تربي أبناءك في هذا الزمان (الطبعة الثامنة عشرة).

٣ ـ همسة في أذن شاب (الطبعة العشرون).

٤ ـ همسة في أذن فتاة (الطبعة الحادية والعشرون).

• سلسلة ألف ليلة وليلة للأسرة السعيدة:

١ ـ سهرة عائلية في رياض الجنة (الطبعة الخامسة).

٢ ـ عندما يحلو المساء (الطبعة الرابعة).

٣ ـ قلوب تهوى العطاء.

٤ ـ همسة في أذن زوجين.

٥ ـ قمم تهوى النجاح.

٦ ـ عندما يشرق الصباح.

• كتب باللغة الإنجليزية:

1 - Hope heart care handbook Manchester Free press, Manchester, 1987.

2 - Handbook of coronary care Blackwell Scientific ~~is~~ Publication 1990 London.

3 - Patient’s Guide to heart disease. Dar Al - Manara , Jeddah 1997.

4 - Contemporary bioethics: Islamic Perspective (with Dr Mohammed Ali Albar).

* * *